الكتاب : الديباج الوضي
المؤلف : الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن إبراهيم بن علي الحسيني المتوفى سنة 749 هـ

(ولن تقتلوه): نفى قتله منهم على جهة المبالغة بلن، لما يعلم من عجزهم عن ذلك وتسلطه عليهم بالقهر والا ستيلاء والغلبة منه، وكان أمير المؤمنين قد استعمله على بعض الولايات كالأهواز وغيرها من النواحي، فلما قتل أمير المؤمنين التجأ إلى معاوية ولحق به.

(ألا وإنه سيأمركم بسبي): يحكى أنه لما استولى على الكوفة واستظهر عليها بعد قتل أمير المؤمنين جمع الناس في مسجدها ليأمرهم بلعن أمير المؤمنين وسبه، فلما عزم على ذلك أصابه الله بالفالج(1)، وهي: ريح تصيب الإنسان تفسد أعضاءه كلها، فلما وقع عليه ذلك خرج حاجبه فأمرالناس بالانصراف فانصرفوا، وردَّ الله غيظه عليه، وكان وقحاً(2)، متحامقاً، ذا رأي في المكر والخديعة.

ويحكى عن معاوية أنه قال: أنا للأناة، وعمرو للبديهة، وزياد للأناة والبديهة معاً.

(وبالبراءة(3) مني): مما أنا عليه من الدين والدعاء إلى الله تعالى.

(فأما السب فسبوني): إذا حملكم على ذلك بالقهر بالسيف.

(فإنه لي زكاة): تطهير من الذنوب لما يكفر الله به عني من الذنوب للصبر عليه الآن وكظم الغيظ.

---

(1) أعلام نهج البلاغة –خ–، وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج 58/4 ما لفظه: وأراد زياد أن يعرض أهل الكوفة أجمعين على البراءة من علي عليه السلام ولعنه، وأن يقتل كل من امتنع من ذلك، ويخرب منزله، فضربه الله ذلك اليوم بالطاعون، فمات لا رحمه الله بعد ثلاثة أيام. انتهى.

قلت: وذلك في أيام معاوية.

(2) في (أ): وقيحاً، وفي (ب) ما أثبته.

(3) في شرح النهج: والبراءة.

(377/1)

وفي الحديث: ((ما جرع عبد قط جرعتين(1) بأعظم عند الله من جرعة غيظ يلقاها بحلم، أو جرعة مصيبة يلقاها بصبر جميل)).

(ولكم نجاة): عن القتل بالسيف لأجل الإكراه، وهذا من أمير المؤمنين تساهل في حق نفسه وتواضع لله تعالى، وهضم بجانبه(2) حيث أباح الأذية له بالإكراه، وقد تقرر أن ما كان ضرره راجعاً إلى الغير كالقتل والقذف فإنه لا يدخله الإكراه.

(وأما البراءة فلا تبرَّءوا(3) مني): وإذا أمركم بالبراءة مني فلا تفعلوا؛ لأن البراءة مني خروج عن الدين وانسلال عن الحق.

سؤال؛ كيف أمرهم بسبِّه عند الإكراه، ونهاهم عن البراءة عنه، وكلاهما في باب الإكراه على سواء بل نقول: البراءة منه ضرر راجع إليهم فأبيح بالإكراه؛ بخلاف سبه فإن ضرره راجع إليه؛ فلهذا لم يدخله الإكراه؟

وجوابه؛ هو أنَّا قد ذكرنا أن إباحته لسبِّ(4) نفسه إنما هو على جهة الهضم لنفسه وإسقاط حقها، وهو مما يدخله الإكراه، فأما البراءة(5) منه فهو [في] (6)الحقيقة ضرره راجع إلى الغير، وهو ما يحصل فيه من إيهام الخطأ على أمير المؤمنين، وأنه داعي إلى الضلالة بالتبري عنه ويحط من منصبه في كونه داعياً إلى الله تعالى، مستقيماً على دينه الحنيف وحجته الواضحة، وما هذا حاله فلا يباح بالإكراه لما يتضمن من نقص الدين وثلمه، وإبطال أبهته فافترقا.

____

(1) في (أ): (ما جزع عبد قط جزعتين)، وهو تصحيف، والحديث أورده المؤلف في كتابه: (تصفية القلوب) ص161، عن ابن عمر، وقوله هنا: ((بأعظم عند الله))، في التصفية: ((أفضل عند الله)).

(2) في (ب): لجانبه.

(3) في شرح النهج: تتبرءوا.

(4) في (ب): بسب.

(5) في شرح النهج: تتبرءوا.

(6) سقط من (أ).

(فإني ولدت على الفطرة): تعليل للمنع(1) من التبري عنه، أي أني خلقت في أول حالتي على الإيمان(2) والهدى من توحيد الله وتنزيهه، وذلك لأن الله تعالى [إذا](3) أعطى الإنسان العقل في أول الفطرة، فلو لم تعرض له(4) أسباب الضلال بعد ذلك، فكان مقتضى ذلك معرفة الخالق وتوحيده ولزوم سبيل الهدى وطريقه.

(وسبقت إلى الإسلام(5) والهجرة): أما الإسلام فظاهر، فإن الرسول عليه السلام بعث يوم الإثنين، وأسلم أمير المؤمنين يوم الثلاثاء، ما سبقه أحد من الخلق إلى الإسلام، وأما الهجرة فكذلك.

سؤال؛ كيف قال: سبق إلى الهجرة، وهو لم يهاجر مع الرسول يوم هاجر من مكة، ولم يكن مصاحباً له إذ ذاك؟

وجوابه؛ هو أن تخلفه ما كان إلا من أجل أمر الرسول له بالوقوف لقضاء ديونه ورد ودائعه، فلم يسعه مخالفة الرسول فيما أمر به، ولم يكن يتخلف عنه لولا ذلك، فلهذا وصف نفسه بالسبق إلى الهجرة بالقصد والداعي والإرادة والعزم على ذلك.

(58) ومن كلام له عليه السلام كلَّم به الخوارج

(أصابكم حاصب): الحاصب هي: الريح الشديدة التي تثير بشدتها(6) الحصباء، كما قال تعالى في قصة قوم لوط: {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا}[القمر:34].

---

(1) في (أ): المنع.

(2) في (أ): إيمان، والصواب ما أثبته من (ب).

(3) سقط من (ب).

(4) في (أ): يعرض.

(5) في شرح النهج: إلى الإيمان.

(6) في (أ): شدتها.

(379/1)

(ولا بقي منكم آبر): وهذا دعاء عليهم، والآبر هو: الذي يؤبر النخل ويصلحه، كما يقال: ما بقي منهم نافخ نار، ويروى آثر وهو: الذي يأثر الحديث ويرويه، كما يقال: ما بقي منهم مخبر، فأما آبز(1) بالزاي فمعناه بعيد فلا وجه له(2)، على أنه لما وقع من أمر التحكيم [ما وقع](3)، وكان الدعاء إلى التحكيم خديعة ومكراً(4) من معاوية بإشارة عمرو بن العاص، فقالت الخوارج بعد ذلك: هذا خطأ وكفر في

---

(1) في (أ): آثر، والصواب: آبز بالباء والزاي المعجمتين، كما أثبته من (ب).

(2) قال في شرح ابن أبي الحديد 129/4 مالفظه: قال الرضي رحمه الله: قوله عليه السلام: (ولا بقي منكم آبر) يروى على ثلاثة أوجه: أحدها: أن يكون كما ذكرناه: (آبر) بالراء، من قولهم: رجل آبر، للذي يأبر النخل، أي يصلحه، ويروى: (آثر) بالثاء بثلاث نقط يراد به الذي يأثر الحديث أي يرويه ويحكيه وهو أصح الوجوه عندي كأنه عليه السلام قال: لا بقى منكم مخبر. ويروى:

(آبز)بالزاي المعجمة وهو: الواثب والهالك أيضاً، يقال له: آبز، انتهى. وزاد على تلك التفسيرات ابن أبي الحديد بقوله: فيقال: يجوز أن يريد بقوله ولا بقي منكم آبر أي نمام يفسد ذات البين، والمئبرة: النميمة، وأبَّر فلان أي نمَّ، والآبر أيضاً: من يبغي القوم الغوائل خفية، مأخوذ من أبرت الكلب إذا أطعمته الأبرة في الخبز، وفي الحديث: ((المؤمن كالكلب المأبور)) ويجوز أن يكون أصله هابر أي من يضرب بالسيف فيقطع، وأبدلت الهاء همزة كما قالوا في آل: أهل، وإن صحت الرواية الأخرى: (آثر) بالثاء بثلاث نقط فيمكن أن يريد به ساجي باطن خف البعير، وكانوا يسجون باطن الخف بحديدة ليقتص أثره؛ رجل آثر وبعير مأثور: انتهى.

(3) سقط من (ب).

(4) في (أ): ومكر، وهو خطأ.

(380/1)

دين الله، وقد كفرت يعنون أمير المؤمنين وكفرنا، فتب حتى نبايعك.

فقال عليه السلام مجيباً لهم:

(أبعد إيماني بالله): تصديقي به، واعترافي بوحدانيته.

(وجهادي مع رسول الله [صلى الله عليه] (1)): وبذل نفسي للمجاهدة مصدقاً لما جاء به الرسول ومعترفاً به.

(أشهد على نفسي بالكفر): أقرُّ بأني كافر بالله؛ لأن الإقرار شهادة على النفس.

(قد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين): فالضلال حاصل لسبب الكفر الذي طلبوه منه(2) وعدم الهداية حاصلة(3) بترك الحق وإهمال الدين .

(فأوبوا شر(4) مآب): دعاء عليهم، وآب الرجل إذا رجع إلى أهله، وشر مآب انتصابه على المصدرية كضرب السوط، وأراد جعل الله رجوعكم أشر حال عليكم.

(وارجعوا على [أثر](5) الأعقاب): في التولي عن الدين فساقاً(6) خارجين عن الإسلام، يقال: فلان رجع على أعقابه إذا ارتد وكفر وفسق.

(أما إنكم ستلقون بعدي): تجدون بعد موتي وانقضاء خلافتي.

(ذلاً شاملاً): لا يبقى أحد منكم إلا ناله.

(وسيفاً قاطعاً): يقطع دابركم ويستأصل شأفتكم بالقتل(7).

---

(1) زيادة في شرح النهج.

(2) في (أ): نسبة هكذا، وهو غامض، وما أثبته من (ب).

(3) في (ب): حاصل.
(4) في (أ): فأذنوا بشر، وهو خطأ، والصواب ما أثبته من (ب).
(5) سقط من (أ).
(6) في (أ): فأما، وهو خطأ، والصواب ما أثبته من (ب).
(7) قوله: بالقتل، مكررة في (أ).

(381/1)

(وأثرة يتخذها الظالمون سنة(1)): الأثرة بالتحريك هي الاسم، والمصدر منها هو الأثر بالسكون، وأراد يستأثر عليكم بالأموال، وتؤخذ منكم كرهاً، يتخذها الفسقة وأهل الجور سنة، يجرونها مجرى السنة، في الحث عليها والمواظبة على فعلها فيكم، بلوى من الله تعالى وامتحاناً لما كان من جهتهم من البغي والفسوق.

(59) ومن كلام له عليه السلام لما عزم على حرب الخوارج، وقيل له: إن القوم قد عبروا جسر النهر

الجسر: القنطرة التي يعبر عليها.
يحكى أنهم لما شقوا العصا وتخلفوا عنه وعزموا على المشاقة والحرب له واعتراض الناس بالسيف والقتل للصغير والكبير، وكان متوجهاً إلى حرب معاوية وأهل الشام فرجع إليهم، وقال:
(إن مصارعهم دون النطفة): مقاتلهم حيث صرعوا بيننا وبين النطفة، أراد به الفرات، وهو من الكنايات الرشيقة التي استبدَّ بها وكان مقتضياً لها.
(والله لا يفلتن(2) منهم عشرة): يقول لأصحابه بل يقتلون عن آخرهم.
(ولا يهلك منكم عشرة): بل تنقلبون وافرين مُسَلَّمِيْنَ بعد قتلهم، وهذا منه على الأمر إخبار بالأمور الغيبية المستورة بإعلام الرسول له بذلك(3) وتسلية لأصحابه في الظفر بأعدائهم والانتصار عليهم، وتشجيع لهم على الحرب والإقدام، فلما قتلوا قالوا له: هلك القوم بأجمعهم، فقال:
(كلا والله؛ إنهم نطف في أصلاب الرجال): أراد أن هؤلاء الموجودين وإن هلكوا بالقتل فسيأتي بعدهم آخرون منهم نفوس لم تخلق، ولا وجدت نطفهم بل هي في أصلاب الرجال.
(وقرارات النساء): القرارة: مايستقر فيها الماء القليل.

---

(1) في شرح النهج: وأثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة.

(2) في (أ): لايقتلن، والصواب ما أثبته من (ب)، وفي شرح النهج: لايفلت.
(3) في (ب): ذلك.

(382/1)

قال ابن عباس رضي الله عنه: ما علمي بالقرآن في جنب علم أمير المؤمنين به(1) إلا كالقرارة في المثعنجر(2)، أراد أنهم نطف مستقرة في قراراتها(3) وهي أرحام النساء، والمعنى أنهم أجنة في بطون أمهاتهم، ونطف في أصلاب آبائهم.

(كلما نجم منهم قرن): نجم القرن إذا ظهر، ومنه نجم النبات إذا ظهر.

(قطع): استأصل الله شأفتهم بالسيف من أهل الحق.

(حتى يكون آخرهم لصوصاً سلابين): [حتى يكون في أعقابهم لصوص يأخذون أموال الناس خفية وسلابين](4) يأخذون أموال الناس جهرة [ثم](5) سلباً منهم كالطَّرَّارين والمختلسين.

(لا تقتلوا(6) الخوارج بعدي): اعلم أن الخارجي اسم لمن(7) يظهر على إمام الحق، ويمنعه عن القيام بأمر الله، مع اعتقاده لحق ما جاء به، ولا بد من اعتبار هذه القيود الأربعة(8): أن يكون المخروج عليه مقطوعاً بإمامته.

وأن يكون مانعاً له عن القيام بأمر الله مع أن له منعه.

---

(1) قوله: به سقط من (أ).

(2) المثعنجر: هو أكثر موضع في البحر ماء، والميم والنون زائدتان (النهاية لابن الأثير 213/1 ورواية ابن عباس هي فيه، وفي القاموس المحيط 457 طبعة مؤسسة الرسالة- بيروت - لبنان (ط5) 1416هـ- 1996م، وفي لسان العرب 357/1.

(3) في (ب): قرارتها.

(4) سقط من (ب).

(5) سقط من (أ).

(6) في النهج: لا تقاتلوا.

(7) في (أ): لما، وما أثبته من (ب).

(8) الظاهر من سياق الكلام الذي بعده أنها ثلاثة قيود، فلعل القيد الرابع مندرج تحتها أو يؤخذ من تعريف اسم الخارجي الذي ذكره المؤلف عليه السلام.

(383/1)

وأن يكون معتقداً لحق ماهو فيه بالشبهة والتأويل، فمن هذه حاله فهو خارجي مستحق للأحكام التي سارها أمير المؤمنين في أهل البغي، كما قال أبو حنيفة(1): لولا سيرة أمير المؤمنين في أهل البغي ما كنَّا نعرف أحكامهم، فأما من عداهم من أهل الفسوق كالظلمة وأهل الجور فإنهم قد زادوا عليهم، والطرَّار(2) والمختلسين، وغيرهم من أهل الفسوق، كما أن الكفَّار قد زادوا على الفسَّاق في الحكم، ولهؤلاء أحكام تخالف أحكام أولئك، موضعها الكتب الفقهية، فأراد لاتقتلوا الخوارج بعد موتي إلا مثل قتلي لهم، ولا تسيروا فيهم إلا مثل سيرتي، ولم يرد أنهم لا يقتلون بعده على الإطلاق، فإن حال غيره من الأئمة كحاله في ذلك بالإجماع من جهة الأمة.

---

(1) أبو حنيفة هو النعمان بن ثابت الكوفي، التيمي بالولاء [80-150هـ]، فقيه مجتهد، إمام الحنفية، أصله من فارس، وولد ونشأ بالكوفة، وتفقه على حماد بن سليمان، وكان لا يقبل جوائز الدولة، وأريد على القضاء على الكوفة فامتنع، وأراده المنصور العباسي على القضاء ببغدادا فأبى، فحبس، عرف أبو حنيفة بمودته لآل البيت عليهم السلام، وكان ممن ساند الإمام زيد بن علي عليه السلام في ثورته على الظلم، وكان يفتي بوجوب الخروج مع الإمامين الأخوين محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن، وروي أنه مات مسموماً بسبب موالاته لآل البيت، ودفن في مقابر الخيزران، وله تصانيف منها: الفقه الأكبر في الكلام، والمسند في الحديث، والمخارج في الفقه، وغيرها، وخرج له أئمتنا عليهم السلام، والترمذي. (معجم رجال الاعتبار ص442،443).

(2) الطرَّار: القطَّاع.

(384/1)

(فليس من طلب الحق فأخطأه): بما عرض له من الشبهةوالتأويل، أراد بذلك الخوارج فإنهم تأولوا ما جاءوا به من البغي بشبهة عرضت لهم في ذلك.

(كمن طلب الباطل فأدركه): أراد معاوية، فإن فعله لما فعل من المحاربة ليس عن شبهة، وإنما كان على جهة المشاقة والتمرد والفسوق، فلهذا كان حاله مخالفاً لحال هؤلاء الخوارج، وهكذا الحال في الظلمة والفساق في عصرنا هذا، فإنهم زادوا على الخوارج في الحكم وأنافوا عليهم في ذلك، فلهذا لم يكونوا مشاركين لمن(1) ذكرناه في الاسم والحكم.

(60) ومن كلام له عليه السلام لما خوِّف من أمر الغيلة

(وإن عليَّ من الله جُنة حصينة): الجُنة: ما يستر من درع أو غيره، والحصينة: المانعة، ومنه اشتقاق الحصن والحصان؛ لأنهما يمنعان صاحبهما عن السوء.

(فإذا جاء يومي): اليوم الذي قدر الله خروج نفسي فيه.

(انفرجت عني): الفرج هو: الشق، ومنه سمي الفرج لشقه، عني أي جاوزتني(2) بانفراجها.

(وأسلمتني): من قولهم: أسلمه للقتل وزال عنه.

(فحينئذ): جاء يومي وانفرجت عني، والتنوين بدل من هذه الجمل السابقة.

(لا يطيش السهم): الذي أُرْمَى به بل يقع عليَّ.

(ولا يبرأ الكلم): الذي جرحت به، يقال: كلمه بالسيف إذا جرحه.

(61) [ومن خطبة له عليه السلام](3)

(ألا وإن الدنيا دار): يقام فيها مدة، ويلبث فيها أياماً.

(لا يسلم منها إلا فيها): أراد أنها موضع النجاة ومكان التجارة، و موضع التزود للآخرة، فلا تقع السلامة من شرها إلا فيها؛ لأن الآخرة ليست(4) داراً للأعمال.

---

(1) في (أ): كمن.

(2) في (أ): أو جازتني، وما أثبته من (ب).

(3) زيادة في (ب) وفي شرح النهج.

(4) في (أ): ليس، وفي (ب) كما أثبته.

(385/1)

(ولا ينجى بشيء كان لها): يعني أن السلامة لاتكون بشيء من الأعمال التي تكون من أجلها أصلاً، وإنما تكون بما(1) كان من أجل الله وطلب وجهه، فأما ما كان للدنيا فهو باطل ضائع.

(ابتلي الناس بها فتنة): امتحنهم الله تعالى بسببها محنة عظيمة، مزج حبها بأفئدتهم، وزين زهرتها في أعينهم.

(فما أخذوه(2) منها لها): مما(3) استهلكوه مما أعطاهم الله منها لطلب لذاتها، والتفاخر فيها.

(أخرجوا منه): نزعوا منه ولم يكن باقياً لهم دائماً.

(وحوسبوا عليه): لما أخذوه من غير حله، وأنفقوه واستعملوه في غير وجهه.

(وما أخذوه فيها(4) لغيرها): وما استهلكوه مما أعطاهم الله منها لوجه الله تعالى، وطلباً للدار(5) الآخرة.

(قدموا عليه): أحسن مقدم من الثواب والأجر العظيم.

(وأقاموا فيه): في الجنة حيث لا يظعن الساكن، ولايرحل المقيم.

اللَّهُمَّ، اجعلنا ممن أراد الآخرة وسعى لها سعيها مع الإيمان بك والتصديق برسلك.

(وإنها(6) عند ذوي العقول): الضمير للدنيا عند ذوي الأبصار المنتفعين بعقولهم.

(كفيء الظل، بينا تراه سابغاً): والظل: عبارة عما يسقط عن كل منتصب، بينا هو بين نشأت عنه الألف(7)، والسابغ هو: الفايض، ومنه قولهم: درع سابغة إذا كانت فايضة.

(حتى قلص): ارتفع وشمر.

(وزائداً حتى نقص): وأراد بذلك من طلوع الشمس إلى زوالها، فإن الظل لايزال ينقص بعد زيادته إلى أول الزوال، ثم يزيد بعد ذلك، وسابغاً وزائداً منصوب على الحال من الضمير في تراه.

---

(1) في (أ): لما، وما أثبته من (ب).

(2) في (أ): أخذوا.

(3) في (ب): بما.

(4) في النهج وفي شرح النهج: منها.

(5) في (ب): الدار.

(6) في شرح النهج: فإنها.

(7) في (أ): والألف، وهو خطأ.

---

(62) ومن خطبة له عليه السلام

(واتقوا الله عباد الله): التقوى هي: الإتيان بالطاعات، والانكفاف عن المعاصي، واشتقاقها من الوقاية؛ لأنها تقي صاحبها عن العقاب.

(وبادروا آجالكم بأعمالكم): أجل الإنسان: منقطع عمره، والمبادرة هي: المعاجلة، وأراد عاجلوا بأعمالكم قبل حلول الموت بكم.

(وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم): يقال للشرِي: بيع؛ لأنه يقع (1)للثمن، وأراد واشتروا الآخرة الباقية بالدنيا الزائلة عنكم.

(وترحلوا فقد(2) حُد يَ لكم): ترحل(3) وارتحل إذا انتقل، والحدو هو: السوق، يعني انتقلوا عنها، وقد(4) سيق بكم، ونهاية من يستاق هو الوصول إلى الغاية.

(واستعدوا للموت فقد أظل بكم): اطلبوا أهبة الموت فقد أشرف ودنا، وقوله: أظل بكم، إما بالطاء

بنطقة من أسفلها أي أشرف، وإما بالظاء بنقطة من أعلاها أي دنا وقرب، وكلاهما محتمل كما ترى.

(وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا): ومثِّلوا أنفسكم(5) بحال قوم صرخ بهم صارخ وهم نيام، فانتبهوا على أفزع ما يكون وأسرعه، من شدة الخوف والفزع

(وعَلِمُوا أن الدنيا ليست بدار لهم فاستبدلوا): الضمير للقوم، وتحققوا عذائر الصارخ أن الدنيا ليست بدارٍ لهم على الحقيقة؛ لزوالها، فعملوا على الاستبدال بها غيرها.

---

(1) في (أ): بيع، وفي (ب) ما أثبته.

(2) في (ب): فلقد، والعبارة في شرح النهج: وترحلوا فقد جدَّ بكم.

(3) قوله: ترحل سقط من (ب).

(4) في (ب): فقد.

(5) في (ب): نفوسكم.

(387/1)

(فإن الله لم يخلقكم عبثاً): وإنما دخلت الفاء ها هنا دالة على انقطاع الجملة التي بعدها عمَّا قبلها، ومشعرة بالمباينة، بخلاف ما إذا كانت الجملتان في حكم الجملة الواحدة فإن الفاء لاتدخل، كقوله تعالى: {اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ[شَيْءٌ عَظِيمٌ](1)}[الحج:1] {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ}[الشورى:43] وهذا كثير الوقوع في كتاب الله تعالى، وفيه تحريك للرغبات إلى إحراز علم الإعراب، وشرف موقعه، وأراد أن الله خلقكم إحساناً من جهته ولم يكن ذلك لغير غرض: {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً}[المؤمنون:115] والغرض هو الوصول إلى منافع الآخرة ودرجاتها.

(ولم يترككم سُدى): السُدى بالضم والفتح هو: الإهمال، أي لم يترككم مهملين عن الرعاية والحفظ والعناية.

(وما بين أحدكم(2) وبين الجنة أو النار إلا الموت ينزل به): أراد أن الغاية التي بين الحصول في الجنة أو في(3) النار، ليس إلا حلول الموت ونزوله، فإنه عند معاينته ونزوله يرى مكانه من الجنة أو من النار، نسأل الله حسن الاستعداد لنزوله وهجومه.

(وإن غاية تنقصها اللحظة): اللحظة(4) هي: حركة العين للإبصار، يقال: لحظني بعينه إذا أبصرني بها، وإنما كانت اللحظة ناقصة لها؛ لأنها تقرب منها وتدلي إليها.

(وتهدمها الساعة): هدمه إذا أبطله وأفسده، والساعة: عبارة عن الوقت الحاضر.

---

(1) زيادة في (ب).

(2) في (أ): وما بين أحد.

(3) قوله: في زيادة في (ب).

(4) قوله: اللحظة سقط من (ب).

(388/1)

قال القطامي(1):

وكنَّا كَالْحَرِيْقِ لِذِيْ نَفَاخٍ .... فَتَخْبُو سَاعَةً وَتَهُبُّ سَاعا(2)

والنَّفَاخُ هي: الريح إذا جاءت بقوة وشدة.

(لجديرة بقصر المدة): فلان جدير بكذا أي حقيق به، والمعنى أنه حقيق بأن تكون مدته(3) قصيرة.

(وإن غائباً يحدوه الجديدان الليل والنهار): وإنما قيل لهما: جديدان؛ لأنهما لا يَخْلَقَان ولا يبليان عمر(4) الدهر.

(لحري بسرعة الأوبة): الحري: الحقيق أيضاً بالشيء، والأوبة هي: الرجوع.

(وإن قادماً يقدم بالفوز أو الشقوة): أراد وإن قادماً يقدم على ربه إما بالشقاوة لتفريطه، وإمابالسعادة لتأهبه.

(لمستحق لأفضل العدة(5)): لأهل أن يكون مستحقاً لأفضل العدة وأعلاها وأشرفها.

(فاتقى عبد ربه): هذا خبر في معنى الأمر، وأراد ليتق الله امرؤ.

(نصح نفسه): بالمعاملة بالتقوى، والنصيحة لله تعالى.

(قدَّم توبته): خوفاً من الموت أن يسبقه عليها.

(غلب شهوته): بالانكفاف عن المحرمات، وحذف الواو من هذه الجمل نوع من أنواع البديع يسمى التعدية، وهذا كقولك: فلان يهب الألوف، يكرم الضيوف، يقود الجيوش.

(فإن أجله مستور عنه): لا يعلم متى يرد عليه بالانقطاع.

---

(1) هو: عمير بن شييم بن عمرو بن عباد، أبو سعيد التغلبي، الملقب بالقطامي، المتوفى نحو سنة 130هـ، شاعر غزل فحل، كان من نصارى تغلب في العراق وأسلم، ومن شعره البيت المشهور:

قد يدرك المتأني بعض حاجته .... وقد يكون مع المستعجل الزلل

وله ديوان شعر مطبوع (الأعلام 5/88-89).

(2) في (ب): ساعة.

(3) في (أ): مدة.

(4) في (أ): عن، وهو خطأ، والصواب ما أثبته من (ب).

(5) بعده في شرح النهج: فتزودوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غداً.

(389/1)

(وأمله خادع له): بالتغرير والتسويفات الباطلة.

(والشيطان موكل به): مجعولاً لمكان المحنة وشدة البلية كالوكيل الملازم الذي لاينفك عنه.

(يُزَيِّن له المعصية ليركبها): يُحَسِّنها في عينه ويهوِّن أمرها ليواقعها ويكون مرتكباً لها بغروره.

(ويمنيه التوبة ليسوِّفها): أراد ويخدعه بالأماني الكاذبة في انتظاره للتوبة فيقول: سوف أفعل سوف أفعل.

(حتى تهجم عليه منيته): هجم عليه السيل إذا أتاه على بغتة، وأراد بالمنية الموت.

(أغفل ما يكون عنها): وهو في أشد ما يكون من الغفلة عنها، وانتصاب أغفل على الصفة للمصدر، أي هجوماً يغفل فيه عنها، وما نكرة موصوفة كقولك: ربما تكره النفوس.

(فيا لها حسرة): فيا للنداء ومناداها محذوف تقديره فيا قوم، واللام متعلقة بفعل محذوف تقديره اعجبوا لها، وحسرة منصوب على التمييز أي من حسرة.

([على](1) كل ذي غفلة): على كل صاحب غفلة.

(أن يكون عمره عليه حجة): من أن يكون عمره عليه من أعظم الحجج وأقوى البراهين حيث أمهل غاية الإمهال من غير تزود.

(وأن تؤديه أيامه إلى شقوة!(2)): وأن تكون أيامه المجعولة سبباً في نجاته إلى نيل الخسارة بالنفس والشقوة بالكسر هي: الحالة والشقوة بالفتح هو: الشقاء.

---

(1) زيادة في (ب) وفي النهج.

(2) في شرح النهج: الشقوة.

(390/1)

(نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تبطره نعمة): لا تكسبه بطراً ولا أشراً.

(ولا تقصر به عن طاعة ربه غاية): فإنه لا غاية من الطاعة إلا والله مستحق لها فما يقع من ذلك فهو تقصير في حق الله.

(ولا تحل به بعد الموت ندامة): حل به الغضب إذا خالطه وخامره، وأراد به أنه لا يخالطه بعد الموت ندامة إذ لاينفع الندم في تلك الحال.
(ولا كآبة): والكآبة: سوء الحال، وإنما نكَّر قوله: (شقوة، ونعمة، وغاية، وندامة، وكآبة) دلالة على ما لها من الموقع والمبالغة.
اللَّهُمَّ، أدخلنا برحمتك تحت هذه الدعوة المرفوعة، وتقبَّل منَّا ومنه هذه الكلمات المسموعة.

(391/1)

الديباج الوضي
في الكشف عن أسرار كلام الوصي
السفر الأول

الإمام المؤيد بالله
أبو الحسين يحيى بن حمزة بن علي الحسيني

تحقيق
خالد قاسم محمد المتوكل

(395/2)

---

(63) ومن خطبة له عليه السلام
(الحمد لله الذي لم يسبق له حال حالاً، فيكون أولاً قبل أن يكون آخراً، ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً): أراد أنه تعالى منزَّه عن تجدد الأحوال والصفات عليه، وأن صفات ذاته تعالى أزلية ليس لثبوتها أول ولا غاية(1)، فليس شيء من أحواله متقدماً على غيرها(2) من الحالات الثابتة لذاته، فلهذا قال: لم يسبق له حال حالاً، يشير إلى ما قلناه فلم تكن الأولية في حقه متقدمه على الآخرية،

فيوصف بالقبلية، وتوصف الآخرية بالبعدية، ولا كان الظهور له سابقا فيكون موصوفاً بالقبلية ويكون وصفه بالبطون، يوصف بالبعدية، بل الأولية والآخرية ثابتان معاً في حالة واحدة؛ لأن أوليته بلا نهاية فهو أول لكل موجود، وآخريته بلا نهاية فهو آخر لكل موجود، وظهوره إنما هو بالأدلة، وبطونه إنما هو عن الحواس، وقوله: فيكون منصوب(3)؛ لأنه جواب للنفي(4).

(كل مسمى بالوحدة غيره قليل): أراد أنه موصوف بالوحدة من غير تعدد وما هذا حاله فإنه لايقال(5) فيه: قليل؛ لأن القلة والكثرة إنما تكون فيما يكون متعدداً فلهذا يكون النقصان فيه قلة والزيادة عليه كثرة، وغيرمنصوب لأنه استثناء موجب.

---

(1) في (ب): ولا له غاية.

(2) في (ب): غيره.

(3) في (أ): منصوباً.

(4) في (ب): النفي.

(5) في (ب): فلا يقال.

(396/2)

(وكل عزيز غيره ذليل): لأن كل عزيز سواه فعزه(1) إنما يكون من جهة غيره إما بسيف قاهر [وإما بعشيرة غالبة وإما بمال ممدود، ومن كان عزه لا بغيره فعزه](2) لامحالة بذاته، وهو تعالى عزه من جهة ذاته، فلهذا لم يوصف بالذلة في حال.

(وكل قوي غيره ضعيف): لأن قوة غيره إنما كانت(3) بأسباب عارضة، وأمور مكتسبة سواه فإن قوته(4) لذاته.

(وكل مالك غيره مملوك): لأن ملك غيره من جهته تعالى، وأماملكه فإنما هو من جهة نفسه .

(وكل عالم غيره متعلم): لأنه هو العالم لذاته، وسواه لاعلم له إلاماكان من جهة الله .

(وكل قادرغيره يقدر ويعجز): أراد أن كل من عداه فهو قادر بقدرة ، ومن هذه حاله ربما عرض له العجز كماتعرض له القدرة، ومن كان قادراً لذاته فإنه لايعرض له العجز بحال

(وكل سميع غيره يصم عن لطيف الأصوات، ويصمه كبيرها(5)): أراد أن كل سميع سواه فإنه إنما يسمع بالآلات، والآلة مركبة على تركيب مخصوص، فربما لَطُفَ الصوت وخفي وبَعُدَ فلا يدركه لزوال شرط إدراكه، وربما كبر(6) الصوت فغيَّر البنية عن حالها وأفسدها، فلهذا أصمه كبيرها(7)؛ لزواله عن حد الاستقامة.

فأما من إدراكه لذاته فلا(8) يغيب عنه صغيرها وإن دق، ولا يصم حاسة عن(9) إدراك كبيرها لما

كان مفسداً لها.

---

(1) في نسخة: فعزته (هامش في ب)
(2) ما بين المعقوفين سقط من (ب).
(3) في (ب): تكون.
(4) في (أ): قوة، والصواب كما أثبته من (ب).
(5) في (أ): كثيرها.
(6) في (أ): كثر.
(7) في (أ): كثيرها.
(8) في (أ): لا يغيب.
(9) في (أ): على.

(397/2)

(ويذهب عنه ما بَعُدَ منها): إما من لايشرط انتقال محال الأصوات، فإنما لم تدرك(1) الأصوات البعيدة، لحصول السواتر بيننا وبينها وهذا هو قول أكثر المتكلمين، وإما على قول من يشترط انتقال محال الأصوات كما هو المحكي عن النظام(2) فإنما لم يدرك البعيد منها لوجود المانع من انتقالها.
(وكل بصير غيره يعمى عن خفي الألوان ولطيف الأجسام): لأن من عداه إنما يبصر بالآلة والحاسة، وربما كانت على صفة في الإدراك تزول عن خفي الألوان ولطيف الأجسام، من القرب والبعد واستقامة البصر، وغير ذلك من الموانع وهو تعالى مبصر لذاته فلا يشترط في حقه إلا وجود المدرك لا غير.
(وكل ظاهر غيره غير باطن، وكل باطن غيره غير ظاهر): أراد أن كل من كان موصوفاً بالظهور، فهو غير موصوف بالبطون، لأنه يكون كذباً، وهكذا عكس ما قلناه؛ لأن من كان ظاهراً فإنما يكون ظهوره بالمشاهدة، ومن هذه حاله فلا يكون باطناً بحال، وما كان خفياً باطناً من الأمور فلا يكون ظاهراً بحال، لما في ذلك من المناقضة، فأما الله تعالى فإنه يصدق عليه وصفنا له بالظهور والبطون من غير مناقضة في ذلك لصلاحية ذلك في حقه.

---

(1) في (أ): يدرك.
(2) هو: إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري، أبو إسحاق النظام، المتوفى سنة 231هـ، من أئمة

المعتزلة، تبحر في علوم الفلسفة واطلع على أكثر ما كتبه رجالها من طبيعيين وإلهيين، وانفرد بآراء خاصة، تابعته فيها فرقة من المعتزلة، سميت: النظامية، نسبة إليه. (الأعلام 43/1).

(398/2)

(لم يخلق الخلق لتشديد سلطان): لأن السلطنة في حق غيره إنما تكون شدتها وكمال قوتها باجتماع الجند(1) والأعوان من أرباب الدولة لنفوذ الأمر وتقوية الإيالة ولا يمكن تقدير ذلك لغيره بحال.

(ولا تخوف من عواقب الزمان): لطرؤ الطوارئ ووقوع الحوادث فيكون الخلق أعواناً له على ذلك وأصلاً في دفعه.

(ولا استعانة على ند مثاور): ولا فعل ذلك استعانة على مثل له يأخذ بثأره منه وينقم بِذَحْلِهِ(2) الذي هو عنده له.

(ولا شريك مكاثر): ولا استعانة على مشارك له في ملكه، متكاثر بما يخلق من الخلق فخراً على ذلك الشريك وتطاولاً عليه.

(ولا ضد مناف(3)): ولا له(4) ضد فيقال: إنه يريد زواله ونفيه فيتكثر بالخلق إعانة له على ذلك، فما كان خلق هذه المكونات(5) لشيء مما ذكرناه لبطلان ذلك.

(ولكن خلائق مربوبون): هم خلائق أوجدهم بقدرته مربوبون مملوكون في جميع أمورهم ومدبرون في كل أحوالهم، لايملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.

(وعباد داخرون): مقهورون في حكم الرق، والدخور هو: الذل والصَّغار من دخره إذا صغره وأذله.

(لم يحلل(6) في الأشياء فيقال: هو فيها): لو حلَّ في بعض المحالِّ كما يزعمه بعض الزنادقة، لقيل هو فيه ولو كان فيه لكان محدثاً؛ لا ستحالة سبق الحال على محله وهو بلا أول فبطل حلوله.

---

(1) في (ب): الجنود والإخوان.

(2) الذَّحْل: الحقد والعداوة، يقال: طلب بذحله أي بثأره، والجمع ذحول. (مختار الصحاح ص220).

(3) في نسخة: منافر (هامش في ب) وقال فيه: ومعنى منافر أي محاكم في الحسب، نافرت زيداً فنفرته أي غلبته. انتهى.

(4) قوله: له، سقط من (أ)، وعبارة شرح النهج: ولا ضد منافر.

(5) في (أ): المكتوبات.

(6) في (ب): لم يحل.

(كائن): أي ثابت غير مستقر في المحالِّ، وذلك باطل بالبرهان العقلي.
(ولم ينأ عنها فيقال: هو منها مباين): النأي: البُعْدُ، وقد نأى عنه أي بَعُدَ، وأراد لم ينأ عنها بالبُعْدِ الحسي الذي يكون بينه وبينها فراغات وأمكنة ولو كان الأمر هكذا لكان يقال [فيه](1): إنه مباين لها أي بعيد عنها وهذ محال في حقه لأنه ليس حاصلاً في جهة فيشار إليه بالقرب والبعد.
(لم يؤده ما(2) خلق ابتداء): أراد أنه لم يثقله والأود: الثقل يقال: آدَهُ يَؤدُهُ أَوْداً إذا أثقله، ما أوجده على جهة الابتداء له من غير سبب له في ذلك.
(ولا تدبير ما ذرأ): ولا أثقله أيضاً تدبير ما ذرأ من الخلق لكثرتهم، وبلوغهم مبلغاً عظيماً لا يعلمه إلا هو.
(ولا وقف به عجز عمَّا خلق): الواحد من الخلق إذا عجز عن فعل شيء وقف عنه وتوقف عن إتمامه، فلهذا قال: لم يقف به عجز؛ لأنه قادر من جهة الذات فلا يطرؤ عليه العجز بحال.
(ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدر): الولوج: الدخول في الشيء، يقال: ولجت المنزل ولوجاً إذا دخلت فيه(3)، وأراد أن الشبهة لم تدخل عليه فيما خلق، وأحكم خلقه من الأقضية العجيبة، والتقديرات المحكمة والأمور المتقنة، بل كل شيء عنده بمقدار، وصادر على منهاج الحكمة وقانون المصلحة.
(بل قضاء متقن): صادر على جهة الإحكام.
(وعلم مبرم(4)): قوي رصين لا يتغير، ومنه خيط مبرم أي مفتول طاقين(5) لقوته وحصافته.
(المأمول مع النقم): المرجو للعفو مع القدرة على الانتقام.

---

(1) زيادة في (ب).
(2) في (ب) وفي شرح النهج: لم يؤده خلق ما ابتدأ.
(3) في (ب): إليه.
(4) في شرح النهج وفي (ب): وعلم محكم، وأمر مبرم.
(5) في (أ): طاس، هكذا بدون إعجام، وما أثبته من (ب).

(المرهوب مع النعم): المخشي سطوته عند إفضاله بالنعم على جهة الاستدراج، ولهذا قال عليه السلام:

((يا ابن آدم، إذا رأيت الله يتابع عليك النعم فاحذره))، ولهذا قال تعالى:{سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ}[الأعراف:182]، بالإملاء وترادف النعم.

(64) ومن كلام له عليه السلام في بعض أيام صفين

(معاشر المسلمين، استشعروا الخشية): الشعار من اللباس(1) ما يلي الجسد، والدثار: ما كان فوقه، وأراد البسوا الخشية واجعلوها ملاصقة لقلوبكم.

(وتجلببوا السكينة): الجلباب هو: الملحفة، قالت امرأة ترثي قتيلاً:

تَمْشِي النُّسُورُ إليه وهي لاهيةٌ .... مَشْيَ العَذَارَى عليهنَّ الْجَلاَبِيْبُ(2)

وأراد اجعلوا السكينة جلباباً شاملاً عليكم.

(وعضوا على النواجذ): وضعه هاهنا كناية عن الصبر.

(فإنه أنبى للسيوف عن الهامّ(3)): نبا الشيء عني إذا بَعُدَ وتجافا، وأنبئته إذا رفعته، وأراد أن العضُّ على النواجذ أشد تجافياً وأكثر تباعداً للسيوف عن أن تعضُّ عليها الهام وتمسكها، والهامُّ: جمع هامة وهي الرأس.

(وقلقلوا السيوف): حركوها.

(في أغمادها): في قرابها(4)، ليكون ذلك أسرع لسلها عند الحاجة إليها.

(قبل سلها): قبل الحاجة إلى سلها.

(والحظوا الخزر): الخزر هو: النظر بمؤخرالعين ازدراءً للعدو واستصغاراً لحاله، ومنه قولهم:

تخازرت [عيني] (5) ومالي من خزر(6)

---

(1) في (أ): الناس، وهو تحريف.

(2) أورده في لسان العرب 477/1، ونسبه لجنوب أخت عمرو ذي الكلب ترثيه.

(3) بعده في شرح النهج: وأكملوا اللامة.

(4) في (ب): قربها.

(5) سقط من (أ).

(6) هو في لسان العرب 833/1، وروايته في:

إذا تخازرت وما بي من خزر

.

(واطعنوا الشزر): من شمال ويمين وخلف وقدام.
(ونافحوا بالظُّبا): المنافحة: مثل المكافحة، وهي استقبال العدو بالسيوف مسلولة في وجهه، واشتقاقه من نفح العرق بالدم إذا نزل(1).
(وصلوا السيوف بالخطا): أراد استعملوها مع كل خطوة فإنه أمضى لمضاربها، ومن هذا قال بعضهم:
إذا قصرت أسيافُنا كان وصلُها

خطانا إلى أعدائِنا فنضارب(2)

(وأكملوا اللامّة): آلة الحرب كلها لما فيه من مزيد النفع وكثرة التشجع(3) وفي الحديث: ((ما كان لنبي إذا لبس لامة حربه أن ينزعها حتى يقاتل))(4).
(واعلموا أنكم بعين الله): بحفظ من الله تعالى وكلايته ورعايته كما قال تعالى: {فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}[الطور:48]، و{تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا}[القمر:14].

---

(1) في (أ): نزا، وما أثبته من (ب).
(2) البيت ورد في شرح ابن أبي الحديد 170/5بدون نسبة إلى قائله، وعزاه محققه إلى الخزانة 24/3، ونسبه إلى الأخنس بن شهاب، وإلى الأشباه والنظائر120/1، ونسبه إلى قيس بن الخطيم.
(3) في (أ): الشجع.
(4) روى قريباً منه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام في كتاب: (الرد على الحسن بن محمد بن الحنفية) في مجموع رسائل الإمام الهادي إلى الحق ص348 بلفظ: ((إنه ليس لنبي إذا لبس لامته أن ينزعها حتى يقاتل عدوه))، وكما في مجموع الهادي هو في موسوعة أطراف الحديث 584/3، وقوله: ((أن ينزعها))، في الموسوعة: ((أن يضعها))، وعزاه إلى مسند أحمد بن حنبل 351/3، والدر المنثور للسيوطي 94/2، وكنز العمال برقم (32232) وغيرها.

(ومع ابن عم رسول الله(1)): مصاحبين لمن هو أقرب الخلق إلى الرسول، وأنصرهم لدينه، وأكثرهم جهاداً في سبيله.

(فعاودوا الكر): ليكن منكم العودة إليه مرة بعد مرة، والكر هو: الرجوع إلى القتال والمواظبة على ذلك.

(واستحيوا من الفر): من الانكشاف عن المعركة وموضع القتال، إذ الثبوت لايدني أجلاًلم يحضر، والفرار لاينجي من أجل قد قرب.

(فإنه عار في الأعقاب): العارهو: السبة والملامة في الأعقاب، أراد من يعقب الإنسان ويخلفه، وكان الرجل إذا فعل فعلاً يلام عليه عُيِّر به أولاده بعده، قالت ليلى الأخيلية(2):

لَعَمْرُكَ مَا فِي الموتِ عارٌ على الفَتى

إذا لم تُصِبْه في الحياةِ الْمَعَايِرُ(3)

أي المعايب.

(ونار يوم الحساب): لما ظهر فيه من الوعيد، بقوله: {وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ}[الأنفال:16].

(وطيبوا عن أنفسكم نفساً): أراد ولتكن خواطركم منشرحة بتحقق البصيرة(4) في الدنيا، والفوز بالجنة في الآخرة، وطيبوا نفوساً بهذا، وانتصاب نفساً على التمييز بعد الفاعل.

(وامشوا إلى الموت مشياً سُجُحاً): وسيروا إليه سيراً سهلاً، والسجح: السهل، ومنه قولهم: ملكت فأسجح، أي سهِّل.

---

(1) في (أ): وتبع ابن عم رسول الله، وما أثبته من (ب) والنهج.

(2) هي: ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب الأخيلية، المتوفاة نحو سنة 80همن بني عامر بن صعصعة، شاعرة فصيحة ذكية جميلة، اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير، ولها ديوان شعر مطبوع (الأعلام 249/5).

(3) أورده في اللسان 941/2، وقولها هنا: (على الفتى)، في اللسان: (على امرئ).

(4) في (ب): بتحقيق النصرة في الدنيا.

(عليكم بهذا السواد الأعظم): قوله: عليكم من باب الإغراء، كقولك: عليك زيداً ودونك عمراً(1)، وعليك ودونك اسمان من أسماء الأفعال ينصبان ما بعدهما، فعليك زيداً أي الزمه، ودونك عمراً أي

خذه، وكان القياس هاهنا طرح حرف الجر، ولكنه أتى بالباء دالة على الملاصقة، كأنه قال: ألصقوا نفوسكم بهذا السواد الأعظم أي الجيوش المتكاثرة من أهل الشام وأحزابهم(2).

(والرواق المطنَّب): الرواق: الخيمة، والمطنب: المجعول له(3) أطناب عظيمة، وأراد خيام معاوية ومضاربه، وفي الحديث: ((حيث ضرب الشيطان رواقه ومد أطنابه)) (4).

(فاضربوا ثبجه): الثبج من كل شيء: وسطه وثبج الرمل: معظمه.

(فإن الشيطان كامن(5) في كسره): الكسر: الجانب، يقال: قعد في كسربيته، أي في جانبه، وأراد بالشيطان إما إبليس لإضلاله لهم وإغوائه إياهم فهو حاصل معهم أينما كانوا، وإما معاوية لخدعه بأصحابه ومكره بهم، فكلاهما محتمل.

(قد قدم للوثبة يداً): أراد إذا أمكنته فرصة وثب عليها متقدماً.

(وأخَّر للنكوص رجلاً): أراد وإذا لم يمكنه(6) فرصة تأخر ليحصلها من بعد، وإنما علق الوثوب باليد لأنه عند الوثوب يعمل يديه ويتكل عليهما، وعلق النكوص على الرجل لأنه يعملها ويتكل عليها في التأخر لامحالة.

---

(1) في (أ): وعمراً، وهو خطأ،

(2) في (ب): وإخوانهم.

(3) قوله: له سقط من (أ).

(4) الحديث هو لعائشة، انظر لسان العرب 1258/1، ونهاية ابن الأثير 278/2، وقوله هنا: (رواقه)، فيهما: (روقه)، وكما أورده المؤلف هنا هو في مختار الصحاح ص264، وقوله: (حيث)، في المختار: (حين)، وقوله: (رواقه)، فيه: (روقه).

(5) في (أ): كان من كسره.

(6) في (ب): تمكنه.

(404/2)

(فصمداً صمداً): أي اقصدوه(1) قصداً، وإنما كرره لما فيه من مزيد التأكيد.

(حتى يتجلى(2) لكم عمود الحق): يتضح لكم منار الحق عما يشوبه(3) من تكدير الشبه، واستعاره من عمود الصبح عند تجليه عن ظلمة الليل.

(وأنتم الأعلون): لما معكم من الحق والبصيرة.

(والله معكم): بالتأييد والنصر.

(ولن يَتِرَكُم أعمالكم): ينقصكم أجور أعمالكم وثوابها على جهادكم.

وأقول: إن هذا لكلام(4) من يقتحم موارد الموت، وينغمس في غمار الحرب مصلتاً سيفه، فيقطُّ الرقاب، و يجدل(5) الأبطال، ويعود به ينطف(6) دماً، ويقطر مهجاً كما كانت خلائق أمير المؤمنين وشيمه.

(65) ومن كلام له عليه السلام في معنى الأنصار

قالوا: لما انتهت أخبار السقيفة وأنباؤها إلى أمير المؤمنين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، قال عليه السلام:

(ما قالت الأنصار؟): أخبار ما كان في أمر السقيفة طويلة، وذلك أنه لما توفي رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم] (7) واختار الله جواره، تركوا أهم الأشياء وهو غسل رسول الله وجهازه ودفنه وبكَّروا إلى سقيفة بني ساعدة، وهي بالقرب من المدينة للاشتوار فيمن يقوم بالأمر فجرى هناك شجار طويل، وا دَّعاها كل واحد، وأمير المؤمنين لم يحضرها وغيره من جُلّة الصحابة وأكابرهم، فانتهت الأنباء إلى أمير المؤمنين بمقالة(8) الأنصار في ذلك:

---

(1) في (أ): أقصده، وفي (ب) كما أثبته.
(2) في شرح النهج: ينجلي.
(3) في (أ): عما سواه، وما أثبته من (ب).
(4) في (أ): الكلام من يقحم، والصواب كما أثبته من(ب).
(5) في (أ): ويجذّ، وما أثبته من (ب).
(6) في (أ): وينطف، وفي (ب) كما أثبته، وقوله: ينطف أي يسيل.
(7) زيادة في (ب).
(8) في (ب): مقالة.

(405/2)

(منَّا أمير، ومنكم أمير(1)): يعنون قريشاً، فقال:

(هلا احتججتم عليهم بأن رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم](2) وصى(3) بأن يحسن إلى محسنهم ويُتجاوز عن مسيئهم!).

(قالوا: وما في هذا من الحجة عليهم؟): أراد بذلك [أن] يبطلوا(4) مقالتهم هذه ودعواهم فيما ادعوه من أن الإمامة كائنة فيهم: ويقال لهم:

(لو كانت الإمارة(5) فيهم لم تكن الوصية بهم): لأن من كان أميراً فالوصية إليه في الخلق وليس

الوصية به.

سؤال؛ أرى أمير المؤمنين عوَّل في إبطال مقالتهم على الوصية بهم، ولم يذكرلهم الخبر عن الرسول ((بأن الأئمة من قريش)) (6) كما احتج به أبو بكر عليهم وأبطل مقالتهم به، فأراه عدل عنه؟

---

(1) العبارة في شرح النهج: قالوا: قالت: منا أمير، ومنكم أمير.

(2) زيادة في شرح النهج.

(3) في (ب): أوصى.

(4) في (أ): أراد ما لم يطلبوا، وفي (ب) كما أثبته.

(5) في شرح النهج: الإمامة.

(6) حديث ((الأئمة من قريش)) أخرجه العلامة أحمد بن يوسف زبارة في أنوار التمام 407/5، من حديث لفظه: ((الأئمة من قريش، ما إذا حكموا عدلوا، وإذا قسموا أقسطوا، وإذا استرحموا رحموا، فمن لم يفعل ذلمك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين))، وعزاه إلى الجامع الكافي، وهو بلفظ: ((الأئمة من قريش))، في موسوعة أطراف الحديث 202/4، وعزاه إلى مصادر كثيرة منها: مسند أحمد بن حنبل 183/3، 129، 345/4، وسنن البيهقي 121/3، 144/8،143، ومستدرك الحاكم 76/4، وغيرها.

(406/2)

وجوابه؛ هو أن ما ذكره أمير المؤمنين أقطع للجاجهم وأحسم لمادة شغبهم، لأنهم معترفون بصحة الوصية لما لهم فيه من مزيد النفع والشرف، ولعلهم ينكرون ما قاله أبو بكر من الحديث أو يعترفون به، لكن يحتاجون إلى صحته ونقله، فلهذا كان الاحتجاج عليهم بما يعترفون به ليكون(1) إلزاماً، وهو أفحم للخصم وأقطع للمادة في الخصومة.

(ثم قال [عليه السلام](2): فما(3) قالت قريش؟ قالوا: احتجت بأنها شجرة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: احتجوا بالشجرة، وأضاعوا الثمرة): أراد أن مقالتهم هذه تلزمهم القول بإمامتي وأني أحق بها لأمرين:

أما أولاً: فإذا كانت غاية حجتهم أنهم من شجرة رسول الله لاغير وليسوا من الثمرة، ومن يكون جامعاً للشجرة والثمرة فهو أحق لامحالة بها باضطرار العقول على منهاج استدلالهم.

وأما ثانياً: فالثمرة لامحالة أطيب من الشجرة وأعلا حالاً وأعظم فضلاً، فإذا كانت الإمامة مستحقة بالأدنى، كيف لاتكون مستحقة بالأشرف(4) والأعلا، فهذا هو مراده بما أشار إليه من كلامه هذا.

---

(1) في (أ): يكون، وفي (ب) ما أثبته.
(2) زيادة في شرح النهج.
(3) في النهج: فماذا.
(4) في (ب): فيكف لاتستحق بالأشرف.

(407/2)

---

(66) ومن كلام له عليه السلام في محمد بن أبي بكر(1) لما قلده مصر فملكت عليه وقتل رحمه الله تعالى

(وقد أردت تولية مصر هاشم بن عتبة(2)): وقد عزمت وتقوى في(3) خاطري، تولية هاشم لما فيه من مزيد الصلاحيه والنهضة والقوة.

(ولو وليته إياها لما خلَّ لهم العرصة ولا أنهزهم الفرصة): أراد أني لو عزمت على توليته إياها، فإنه كان شديد الأنفة، عظيم السطوة كثير الهيبة في أفئدتهم، وكان لا يترك لهم فسيحة فيما يتعلق بأمر الدين مما يتعلق بإصلاح الدولة وأمر السياسة، ولا يجدون له فرصة فيغنموها عليه، لشدة شكيمته، فجعل ما ذكره كناية عما فصلناه في أمرهاشم بن عتبة.

---

(1) هو: محمد بن أبي بكر الصديق عبد الله بن قحافة التيمي القرشي [10-38هـ] أمير مصر من قبل أمير المؤمنين علي عليه السلام، كان يدعى عابد قريش، ولد بين المدينة ومكة في حجة أمير المؤمنين، وكان قد تزوج أمير المؤمنين بأمه أسماء بنت عميس بعد وفاة أبيه، وشهد مع أمير المؤمنين عليه السلام وقعتي الجمل وصفين، وقتله جيش معاوية وهو أمير مصر بقيادة عمرو بن العاص، وأحرق في جلد حمار، واشتد حزن أمير المؤمنين عليه السلام عليه لما بلغه قتله. (انظر معجم رجال الاعتبار ص372).
(2) هو: هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، المتوفى سنة 37هـ، خطيب من الفرسان، يلقب بالمرقال، وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص، وشهد القادسية مع عمه سعد، وأصيبت عينه يوم اليرموك، وكان مع الإمام علي عليه السلام في حروبه، وتولى قيادة الرجالة في صفين، واستشهد في آخر أيامها. (انظر الأعلام 66/8).
(3) قوله: في سقط من (أ).

(408/2)

(بلا ذم لمحمد بن أبي بكر): أراد وليس ما ذكرته في هاشم، فليس تقصيراً في همة محمد بن أبي بكر، ولا تعجيزاً لحاله في ذلك، وكانت مصر من أهم الأعمال والولايات عنده، وقد كان ولاها الأشتر فمات في الطريق قبل وصوله، ثم ولاها محمد بن أبي بكرفا ستشهد فيها(1).

(فلقد كان لي(2) حبيباً): يحبني وأحبه.

(وكان لي ربيباً): الربيب: ابن امرأة الرجل من غيره(3)، وهكذا الربيبة أيضاً.

(67) ومن كلام له عليه السلام في ذم أصحابه

(كم أداريكم): المدارة للناس هي: الملاينة، وأرادكم أليّن لكم عريكتي(4) ومعاطفي، وأسَّهل لكم خلائقي.

(كما تدارى البكار العمدة): البكار: جمع بكر وهو الفتى من الإبل، والعمدة هو: انشداخ داخل سنام البعيرمن الركوب وظاهره سالم، فإن البعير يشفق ويحاذر عن أن ينُالها بشيء.

(والثياب المتداعية): المسرعة إلى البلاء؛ لأن كل واحد منها يدعو الآخر إلى الانخراق.

---

(1) انظر ولاية محمد بن أبي بكر رضي الله عنه على مصر وأخبار مقتله شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 6/65-101.

(2) في النهج: إلي.

(3) أم محمد بن أبي بكر أسماء بنت عميس، كانت تحت جعفر بن أبي طالب، هاجرت معه إلى الحبشة، فولدت له هناك عبد الله بن جعفر الجواد، ثم قتل عنها يوم مؤتة، فخلف عليها أبو بكر الصديق فأولدها محمداً، ثم مات عنها، فخلف عليها الإمام علي بن أبي طالب، وكان محمد ربيبه وخرّيجه، وجارياً عنده مجرى أولاده، رضع الولاء والتشيع مذ زمن الصبا، فنشأ عليه، فلم يكن يعرف له أباً غير علي، ولا يعتقد لأحد فضيلة غيره، حتى قال عليعليه السلام: محمد ابني من صلب أبي بكر. (انظر شرح النهج لابن أبي الحديد 6/53).

(4) العريكة: الطبيعة، وفلان لين العريكة أي سلس.

(كلما حيصت من جانب): خيطت من جهة ولفقت.

(تهتكت من آخر): من جانب آخر لهونها ورثتها، فحالي معكم فيما أدعوكم إليه مشبه لما ذكرته.

(كلما أطل عليكم): أطل بالطاء والظاء جميعاً كما مضى في غيره(1).

(منسر من مناسير(2) أهل الشام): الْمَنْسِر بالنون والسين منقوطة بثلاث(3) من أسفلها: القطعة من

الخيل من أصحاب معاوية.

(أغلق كل رجل منكم بابه): رده وصار محتجباً به.

(وانجحر انجحار الضَّبَّة في جحرها): الضب: حيوان يكون(4) في الخبوت، يقال: إنه إذا رأى الماء مات، وقوله: انجحر انجحار الضبة في جحرها، من باب الاشتقاق، كقوله تعالى: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}[الروم:30] وغيره.

(والضَّبُع في وجارها): الوجار بالجيم هو: موضعها ومكانها، وأراد بما ذكره أن الجيوش من أهل الشام إذا رأوها فعلوا ما ذكره فشلاً عن القتل، وطيشاً عن ملابسة الحرب.

(الذليل والله من نصرتموه): لأن من حاله هذه(5) فالمنتصر به يكون وحده لا محالة لتفرقهم عنه فهو ذليل لانفراده.

(ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل): الأفوق من النبال: الذي لا فوق له، والناصل: الذي ليس في أسفله نصله، وأراد قلة النفع به؛ لأن ما هذا حاله من السهام فلا نفع للرامي به.

(إنكم والله لكثير في الباحات(6)): الباحات: جمع باحة(7) وهي ساحات الدور.

(قليل تحت الرايات): الرايات: جمع راية، وهو العلم يكون في الحرب.

---

(1) أطل بالطاء المهملة أي أشرف، وأظل بالظاء المعجمة أي دنا وقرب.

(2) في النهج: مناسر.

(3) في (ب): ثلاث.

(4) في (ب): يؤكل.

(5) في (ب): من هذه حاله.

(6) في (ب): الساحات.

(7) في (ب): الساحات: جمع ساحة.

(410/2)

(وإني لعالم بما(1) يصلحكم): يجمع أغراضكم ويقوِّي دواعيكم إلى اتباعي.

(ويقيم أودكم): اعوجاجكم من أخذ المال من غير وجهه(2) وصرفه فيكم على غير حله والا نقياد لأهوائكم كلها.

(ولكني والله لا أرى صلاحكم(3) بإفساد نفسي): أراد أني إن تابعت أغراضكم خالفت الدين، وكان عليَّ ضرر ذلك، ولكم غنمه في اتباعي لما وافقكم، وفي ذلك فساد نفسي وإهلاكها.

(أضرع الله خدودكم): أي أذلها، من الضراعة، وهي: الذل والخضوع، وأراد بالخدود الوجوه؛ لأنها

أعز ما يكون في الإنسان، فإذا ذل فغيره بالذل أحق وأولى.

(وأتعس جدودكم): الإتعاس هو: الإهلاك، وأصله الكبَّ، وهو ضد الانتعاش.

(لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل): أراد أن ولوعهم بالباطل أكثر من ولوعهم بالحق فلأجل هذا عرفوا ذاك وأنكروا هذا.

(ولا تبطلون الباطل كإبطالكم الحق!): وأراد أيضاً أن إماتتهم للحق وإبطاله أكثر من إبطالهم للباطل لكثرة تعلقهم بالباطل، ونفورهم عن الحق.

(68) وقال عليه السلام في سحرة اليوم الذي ضرب فيه

السحر والسحرة هو: الوقت قبل الفجر.

(ملكتني عيني): غلبني النوم، وهو من لطيف الا ستعارة وعجيبها؛ لأن النوم إذا جاشت مراجله ملك الإنسان واستولى عليه وأضافه إلى العين لأنها أول ما يظهر(4) فيه علامة النوم.

(فسنح لي رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم](5)): من السنوح وهو: العروض.

(فقلت: يارسول الله، ماذا لقيت من أمتك؟): من مكابدة الشدائد ومعاناة العظائم.

(من الأود): الاعوجاج في طرقهم.

(واللدد): وهو شدة الخصومة في مخاطبتهم.

(فقال عليه السلام: ((ادع عليهم))): لاستحقاقهم لذلك.

---

(1) في (أ): لما.

(2) في (ب): حله.

(3) في شرح النهج: إصلاحكم.

(4) في (ب): ما تظهر.

(5) زيادة في النهج.

(فقلت: اللَّهُمَّ، أبدلني بهم(1) خيراً منهم): جوارك في الآخرة ومرافقة أوليائك والكون معهم في دار كرامتك.

(وأبدلهم بي شراً مني(2)): ممن يكون والياً عليهم، لايراعي لهم حقاً، ولا يعلِّمهم معالم دينهم.

وأقول: لقد استجاب الله منه هذه الدعوة فنقله إلى جواره، واختار له ما عنده، وأبدلهم به معاوية ويزيد وزياد والحجاج، وغيرهم ممن لا يعرج على صلاحهم، ومنهمك في الدنيا، ولا يخطر بباله خاطرة(3)

من الدين وأحواله.

(69) ومن كلام له عليه السلام في ذم أهل العراق

(أما بعد، يا أهل العراق، فإنما أنتم كالمرأة الحامل، حملت فلما أتمت أملصت ومات قيمها، وطال تأيمها): أراد بالعراق أهل الكوفة والبصرة، فإنما مثلكم، إما في قولكم بألسنتكم من نصرتي ومخالفتكم في أفعالكم بخذلاني، وإما في أمري لكم بالجهاد لعدوكم ونكوصكم على أعقابكم في ذلك، فكله محتمل كما ترى، كمثل الحامل التي علقت بولد فلما تمَّ عددها أملصت أي أسقطت، والملص: الزلق، ومات قيمها: زوجها، وطال تأيمها: مكثت زماناً طويلاً بلا زوج.

(وورثها أبعدها): القرابة الأبعدون بعد موتها.

(أما والله ما أتيتكم اختياراً؛ ولكن جئت إليكم شوقاً(4)): أراد ما جئت إليكم [إلا](5) بغير خبرتي لكم وتجربتي إياكم، فمن خبر أحوالكم وجربها لم يطمع في نصرتكم له، وإنما جئت إليكم شوقاً إلى نصرتكم لي، وإعانتكم على أموري كلها فانكشف الحال على خلاف ذلك.

(ولقد بلغني أنكم تقولون: [عليٌّ](6) يكذب): فيما يقوله من أخباره التي أخبرنا بها.

---

(1) في (أ): منهم.

(2) في شرح النهج: شراً لهم مني.

(3) في (ب): خاطر.

(4) في شرح النهج: سوقاً.

(5) سقط من (أ).

(6) زيادة في شرح النهج.

(412/2)

(قاتلكم الله!): استغراق في التعجب من مقالتهم هذه.

(فعلى من أكذب؟): فيما أخبرت به.

(أعلى الله؟): أتكون فريتي كما زعمتم على الله؟

(فأنا أول من آمن به): ومن سبق إيمانه بالله فليس مستحقاً أن يكون كاذباً عليه.

(أم على نبيه؟): أو تكون فريتي على الرسول.

(فأنا أول من صدَّقه): في نبوته فيستحيل أن أكذب عليه.

(كلا والله): ردع وزجر لهم عن هذه الفرية، وتهكم بهم في هذه المقالة.

(ولكنها(1) لهجة): لسان صدق وكلمة حق.

(غبتم عنها): غابت أذهانكم عن ضبطها ومعرفة معناها.

(ولم تكونوا(2) من أهلها): ممن يختص بها ويعرف قدرها، وأراد باللهجة، إما ما يأمر(3) به من المصالح، ويذكره من المواعظ الشافية، وينهى عن المفاسد، وإما ما كان عَهِدَ إليه الرسول عليه السلام في أمر إمامته وتقريرها، وتعريفه بما يؤول إليه أمره في ذلك.

(ويل امِّه(4)): أراد ويل لأمه، لكنه حذف لا وجره، وحذف همزة أم، وفي حركة اللام الباقية الضم على الأصل؛ لأنه مرفوع، والكسر على الاتباع.

---

(1) في النهج: لكنها، بدون الواو.

(2) في (أ): يكونوا، وفي (ب) ما أثبته.

(3) في (أ): ما أمر.

(4) في (أ): ويلمه، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج.

(413/2)

والويل: كلمة عذاب، وتستعمل تارة مضافاً، وليس فيه إلا النصب على المصدرية، كقولك: ويلك وويله وويل زيد، وتارة مفرداً، إما منصوباً كقولك: [ويلاً لك](1) وويلاً له، وإما مرفوعاً على الابتداء كقولك: ويل له وويل لزيد، قال الله تعالى: {وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ}[الجاثية:7]، قال كعب بن زهير(2):

وَيْلُمَّهَا خلةٌ لو أنَّها صدقت .... موعودُها أو لو ان النصحَ مقبولُ(3)

(كيلاً): أي مكيلاً، وانتصابه على التمييز.

(بغير ثمن!): يعني من غير عوض ممن ابتاعه.

(لو كان له وعاء): فيه روايتان:

أحدهما: وعاء، أي لو كان لمن يسمعه أذن تعيه وتكون قابلة له.

وثانيهما: وعًّا جمع واعٍ نحو جاهل وجهَّال، أي لو كان رجال يقبلونه ويقرُّ في صدورهم.

({وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ})[ص:88]: فهذه الآية قد وقعت في هذه الخطبة أحسن موقع حتى صارت إنساناً لمقلتها، وطرازاً لحلتها، أبهى من الوشي المرقوم، وأذكى رائحة من المسك المختوم.

---

(1) سقط من (ب).

(2) هو: كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، أبو المضرب، المتوفى سنة 26هـ، شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد ، له ديوان شعر مطبوع، اشتهر في الجاهلية، ولما ظهر الإسلام هجا

النبيصلى الله عليه وآله وسلم، فهدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم دمه، فجاءه كعب مستأمناً وقد أسلم، وأنشده لاميته المشهورة:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

فعفا عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخلع عليه بردته (انظر الأعلام 226/5).

(3) البيت أورده ابن الأثير في النهاية 72/2، وقوله هنا: (ويلمها)، في النهاية: (ياويحها)، وهو من قصيدته المشهورة اللامية المذكورة في سيرة ابن هشام 154/4، ورواية البيت فيها:

فيالها خلة لو أنها صدقت .... بوعدها أو لو ان النصح مقبول

(414/2)

---

(70) ومن خطبة له عليه السلام علَّم الناس فيها الصلاة على الرسول [صلى الله عليه وآله](1)

(اللَّهُمَّ، داحي المدحوات): الدحو هو: البسط والمدُّ، قال الله تعالى: {وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا}[النازعات:30] وأراد باسط الأرضين المبسوطات.

(وداعم المسموكات): وممسك السماوات المرفوعات؛ لأن المسموك هو: المرفوع، والدعامة تمسك الأشياء عن السقوط.

(وجابل القلوب): جبله على الشيء إذا طبعه عليه، ومنه الجبلَّة، وأراد وطابع القلوب.

(على فطرتها(2) شقيها وسعيدها): [و] (3)جاعلها على فطرة أي خلقة تكون متمكنة معها من تحصيل الشقاوة والسعادة، وقادرة(4) على ذلك، وهذا ظاهر في خلقة الإنسان، فإن الله تعالى ركَّبه تركيباً ينال به كل واحد من الأمرين على قدر ما يشاء ويريد.

(اجعل شرائف صلواتك): الصلاة من الله تعالى هي الرحمة، وأراد اجعل أشرف ما يكون من رحمتك.

(ونوامي بركاتك): وأزيد ما يكون من إحساناتك الفاضلة.

(على محمد عبدك ورسولك): الشاكر لنعمائك، والمتحمل لأداء رسالاتك.

(الخاتم لما سبق): من نبوة الأنبياء قبله، لقوله تعالى: {وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}[الأحزاب:40].

(والفاتح لما انغلق): إما لما اندرس من الشرائع قبله فإنها كانت قد امحت آثارها واندرست أعلامها، وإما لما استعجم(5) من المشكلات والأسرار البديعة.

(والمعلن): الإعلان هو: الإظهار، والمعلن هو: المظهر.

(للحق(6)): للدين القيم من إثبات الصانع وتوحيده.

---

(1) زيادة في شرح النهج.

(2) في شرح النهج: فطراتها.
(3) سقط من (ب).
(4) في (أ): وتارة، وهو خطأ، والصواب ما أثبته من (ب).
(5) في (أ): انفجم، ولعل الصواب: انعجم، وفي (ب) ما أثبته.
(6) في شرح النهج: الحق.

(بالحق): بالمعجزات الباهرة، والأدلة القاهرة.
(دافع(1) جيشات الأباطيل): المزيل، من دفع الشيء إذا أزاله عن موضعه، وجيشات: جمع جيشة، واشتقاقها إما من جاش البحر إذا زخر، أو من جاش القدر إذا غلت، والأباطيل: جمع لم يسمع له مفرد؛ كأنه جمع لإبطيل؛ لئن باطل لا يجمع على أباطيل، فلهذا قدر مفرده، وأراد أنه مزيل بما جاء به من الحق زواخرالشبه والتمويهات.
(والدامغ): الدمغ هو: هيض قِحْف الرأس(2) وكسره.
(صولات): جمع صولة وهي: الاستطالة، يقال: صال الجمل إذا غلب وقهر عن أن يملك رأسه.
(الأضاليل): جمع لا واحد له؛ لأن الضلالة لا تجمع على أضاليل، وإنما يقدّر له واحد وهو إضليل.
(كما حمِّل فاضطلع): الكاف متعلقة باجعل، والضلاعة: القوة، واضطلع أي قوي، والمعنى اجعل شرائف صلواتك مشبهة في تقريرها وثبوتها، لما حُمِّل من أعباء النبوة، وقوي على حمله وقام به.
(قائماً بأمرك): ماضياً عزمه في إبلاغ ما أمر به.
(مستوفزاً في مرضاتك): الوفاز: العجلة، أي مستعجلاً في تحصيل الأمور المرضية لك.
(غير ناكل عن قُدُمٍ): نَكَلَ يَنْكُلُ إذا خاف وجبن، والناكل هو: الجبان، وأراد أنه غير جبان عن تقدم فيما أمر به وأجدَّ بإبلاغه.
(ولا واهٍ في عزمٍ): وَهَى أمره إذا ضعف، أي أن عزيمته فيما همَّ به من أمر الدين لا تضعف.
(واعياً لوحيك): حافظاً لما أوحيته إليه، غير مبدل ولا مغيِّر.
(حافظاً لعهدك): لما عهدته إليه عن الضياع والإهمال.

---

(1) في شرح النهج: والدافع.
(2) الهيض: الكسر والتفتيت، وقِحْف الرأس: هو العظم الذي فوق الدماغ.

(ماضياً على نفاذ أمرك): مستمراً، من قولهم: مضى لحاجته إذا مر طالباً لها على إبلاغ ما أمر به وإيصاله، وهذه الأسماء كلها منصوبة على الحال من اسم الرسول.

(حتى أورى قبس القابس): أورى الزند: إذا ظهرت ناره، والقبس هو: شعلة النار(1)، والقابس هو: الفاعل لذلك، واستعاره ها هنا لما أتى به الرسول عليه السلام من الفوائد الدينية والآداب(2) الحكمية.

(وأضاء الطريق): أنارها وأوضحها.

(للخابط): أي من أجل الخابط(3)، وهو الذي يمشي على غير طريق.

(وهديت به القلوب): أصابت هدايتها ببركته.

(بعد خوضات الفتن(4)): بعد أن خاضت(5) إلى ذلك غمرات الحروب وتجرع غصصها.

(وأقام موضحات الأعلام): العلم هو: ما ينصب لمعرفة الطريق، وأراد أنه(6) أقام الحجة(7) الموضحة لأعلام الهداية وطرق النجاة.

(ونيرات الأحكام): وأقام الأحكام النيرة من علوم الشريعة وأخبار النبوة.

(فهو أمينك): الأمين من عذابك.

(المأمون): المجعول أميناً على خلقك من جهتك فيما أرسلته به، ويحتمل أن يكون الأمين والمأمون بمعنى واحد، مثل قولهم: أنا(8) حبيبك المحبوب.

(وخازن علمك): حافظ علمك الذي علمته(9) إياه عن الإهمال حتى يضعه حيث أمرته(10).

(المخزون): الذي خزنته عندك حتى بلغته إياه.

(وشهيدك يوم الدين): إشارة إلى قوله تعالى: {وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيدًا}[النساء:41] بعد شهادة الأنبياء على أممهم.

---

(1) في (أ): شعلة نار، وفي (ب) ما أثبته.

(2) في (ب): والأدوات.

(3) في (ب): الخبط.

(4) في النهج: بعد خوضات الفتن والآثام.

(5) في (ب): خاض.

(6) في (أ): به، وفي(ب) ما أثبته.

(7) في (ب): الحجج.

(8) قوله: أنا سقط من (ب).

(9) في (أ): علمه، وفي (ب) كما أثبته.

(10) في (ب): أمر به.

(417/2)

(وبعيثك بالحق): إشارة إلى قوله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ}[البقرة:119].

(ورسولك إلىالخلق): إشارة إلى قوله تعالى: {وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً}[النساء:79].

[اللَّهُمَّ، افسح له مفسحاً في ظلك، واجزه مضاعفات الخير من فضلك] (1)

(اللَّهُمَّ، أعلِ على بناء البانين بناءه): اجعل منزلته ومحله أرفع المنازل والمحال عندك في الدنيا والآخرة.

(وأكرم لديك منزله(2)): المنزل بفتح الميم والزاي: النزول والحلول، وأراد اجعل استقراره في الجنة أكرم نزوله(3).

(وأتمم له نوره): أكمل له هداه الذي بعثته به بكثرة الأتباع واتساع علم شريعته.

(واجزه من ابتعاثك له): واجعل له عندك جزاءً من أجل ابتعاثك له على صفات محمودة.

(مقبول الشهادة): فيما شهد به على أمته.

(مرضي المقالة): فيما قاله ونطق به، {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى}[النجم:3].

(ذا منطق عدل): صاحب لسان صدق، لا يزوغ في مقالته.

(وخِطة(4) فصل): الخِطة بالكسر: ما يخطُّه الإنسان من الأرض ليعمره، والخُطة بالضم هي: الأمر والقصة(5)، وهو المراد ها هنا؛ لأن غرضه(6) أنه ذو أمر فصل ليس هزلاً.

(اللَّهُمَّ، اجمع بيننا وبينه): وافق بيننا وبينه.

(في برد العيش): الذي لا أذية فيه ولا تكدير للذته.

---

(1) ما بين المعكوفين زيادة في النهج وهي حاشية في (ب)، وقال في آخرها: صح أصل نهج.

(2) في شرح النهج: منزلته.

(3) في (ب): نزول.

(4) في شرح النهج: وخطبة فصل.

(5) في النسختين: والقضية، وهو تحريف، وأثبته من مختار الصحاح.

(6) في (أ): لاغرضه، وهو خطأ، والصواب ما أثبته من (ب).

(418/2)

(وقرارة(1) النعمة): ومستقرالكرامة التي لا ظعون عنها لساكنها.

(ومنى الشهوات): وغاية الأماني المشتهاة.

(وأهواء اللذات): التي يهواها كل مخلوق.

(ورخاء الدَّعة): التي لا تنغيص فيها.

(ومنتهى الطمأنينة): وغاية القرارالمطمئن.

(وتحف الكرامة): ونفائس الإكرام وعظائمه، وأراد بما ذكره نعيم الجنة، فإنه جامع لما ذكره من أمر(2) الأوصاف وأبلغ.

اللَّهُمَّ، أكرمنا بجوارك في دار الكرامة.

(71) ومن كلام له عليه السلام لمروان بن الحكم بالبصرة

قالوا: أخذ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل، فاستشفع فيه(3) الحسن والحسين إلى أميرالمؤمنين "، فكلماه في ذلك فخلا سبيله، فقالا [له] (4): يبايعك ياأمير المؤمنين؟ فقال:

(ألم(5) يبايعني بعد قتل عثمان؟): أراد ليس هذه البيعة بأولى من تلك، فإذا غدر في تلك فهو غادر في هذه.

(لا حاجة [لي](6) في بيعته): لقلة جدواها وعدم الفائدة فيها.

(إنَّها كفٌّ يهودية): قيل: إن الحكم والد مروان كان يهودياً باليمامة، وقيل: أراد أن الغالب في اليهود هو الغدر(7)، فلهذا شبهه بأكف اليهود، وهذا هو الأقرب في كلامه.

(لو بايعني بكفه(8) لغدر باسته): أراد إن وفى من جهة فهو يغدر من جهة أخرى، وقوله: لغدر باسته فيه وجهان:

---

(1) في شرح النهج وفي نسخة: وقرار.

(2) قوله: أمر سقط من (ب).

(3) قوله: فيه زيادة في (ب).

(4) زيادة في (ب).

(5) في النهج: أو لم.

(6) سقط من (أ).

(7) أعلام نهج البلاغة –خ–.

(8) في نسخة وفي شرح النهج: بيده.

أحدهما: أن تكون الباء متعلقة بغدر كما هو الظاهر، وعلى هذا يكون معناه لو بايعني بكفه لغدر في دهره كله، أخذاً من قولهم: فلان(1) ما زال على است الدهر مجنوناً.

قال أبو نخيلة(2):

ما زال مذْ كان على استِ الدهر .... ذا حَمق ممرى(3) وعقل يَحْرى

وثانيهما: ألا تكون الباء متعلقة بغدر ويكون قد تم الكلام من قوله(4): لغدر، وقوله: باسته، كلام مستأنف، وهي كلمة شتم للعرب، قال الحطيئة(5):

فباستِ بني قيْسٍ واستاه طيّ .... وباست بني دودان حاشا بني نَصر(6)

---

(1) قوله: فلان، سقط من (ب)، والقول هو لأبي زيد الأنصاري، انظر لسان العرب 59/1.

(2) أبو نخيلة، هو اسمه، وكنيته أبو الجنيد بن حزن بن زائدة بن لقيط الحمامي السعدي التميمي، المتوفى نحو سنة 145هـ، شاعر راجز، كان عاقاً لأبيه فنفاه أبوه عن نفسه، فخرج إلى الشام، فكان من المقربين لملوك بني أمية ثم لبني العباس (انظر الأعلام 15/8).

(3) في (ب): ذا حمق ينزى، ويحرى أي ينقص، والبيت هو من بيتين وردا في أساس البلاغة ص:202) وهما:

من كان لايدري فإني أدري .... ما زال مجنوناً على است الدهر

ذا جسد ينمي وعقل يحري .... هبه لإخوانك يوم النحر

وبيت أبي نخيلة الذي أورده المؤلف هنا أورده أيضاً في لسان العرب 59/1، وبداية الشطر الثاني فيه: ذا حمق ينمي

(4) في (ب): بقوله.

(5) هو: جرول بن أوس بن مالك العبسي، أبو مليكة، المتوفى نحو سنة 45هـ، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، كان هجّاء عنيفاً، لم يكد يسلم من لسانه أحد، هجا أمه وأباه ونفسه. (انظر الأعلام 118/2).

(6) البيت ورد في أساس البلاغة ص202، بدون نسبة إلى قائله، وأوله فيه:

فباست بني عبس...إلخ

وفي نسخة أخرى: (لغدر بسبته): السبة: الاست أيضاً.

(أما إن له إمرةً كلعقة الكلب أنفه): كانت خلافته عشرة أشهر، ويحكى أنه قال لخالد بن يزيد بن معاوية(1): يا ابن رطبة الاست، وكانت أم خالد زوجة له خلف عليها بعد يزيد، فبلغها ذلك، فيروى أنها قعدت على وجهه حتى قتلته(2)، وإنما قال: كلعقة الكلب أنفه إشارة إلى قرب مدتها وتقاصر أطرافها.

(وهو أبو الأكبش الأربعة): عنى بالأكبش الأربعة أعظم أولاده وهم: عبد الملك، وعبد العزيز، ومحمد(3)

---

(1) هو: خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي، أبو هاشم، المتوفى سنة 90هعلى الأصح، اشتغل بالكيمياء والطب والنجوم فأتقنها، وألف فيها رسائل (الأعلام2/300).

(2) الرواية بالتفصيل انظرها في شرح ابن أبي الحديد 165/6.

(3) في (ب): ومحمد بن الحكم، وهو خطأ، والصواب ما أثبته من (ب)، وما فسره المؤلف هنا لقوله: وهو أبو الأكبش الأربعة، فسره كذلك السيد علي بن ناصر الحسيني مؤلف أعلام نهج البلاغة -خ- إلا أنه قال في ذكر الثالث: ومحمد والد مروان الحمار. انتهى._ ... _وقال ابن أبي الحديد في الشرح ما لفظه: أبو الأكبش الأربعة بنو عبد الملك: الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام، ولم يل الخلافة من بني أمية ولا من غيرهم أربعة أخوة إلا هؤلاء، وكل الناس فسروا الأكبش الأربعة بمن ذكرناهم، وعندي أنه يجوز أن يعني به بني مروان لصلبه وهم: عبد الملك، وعبد العزيز، وبشر، ومحمد، إلى أن قال: أما عبد الملك فولي الخلافة، وأما بشر فولي العراق، وأما محمد فولي الجزيرة، وأما عبد العزيز فولي مصر، ولكل منهم آثار مشهورة، وهذا التفسير أولى؛ لأن الوليد وأخوته أبناء أمية، وهؤلاء بنوه لصلبه، انتهى. (انظر شرح النهج 147/6-148)،

(421/2)

والحكم، فهؤلاء هم أنفس أولاده، وكان له أحد عشر ذكراً.

(وستلقى الأمة منه ومن ولده موتاً(1) أحمر): وكان أولهم عبد الملك بن مروان، وآخرهم مروان بن محمد بن مروان، وعلى إثره انقضت الدولة الأموية، ثم بويع للسفاح بعده، وكان(2) مدتها من لدن معاوية إلى مروان بن محمد تسعين سنة وتسعة أشهر وخمسة أيام، وكانت عدة خلفائها أربعة عشر رجلاً، جميعهم كانوا على الظلم والفسق والفجور والانهماك في أنواع اللذات المحظورة، وإهمال الخلق، فلهذا قالعليه السلام: تلقى الأمة منه موتاً أحمر، يشير إلى ذلك.

(72) ومن كلام له عليه السلام في بيعة عثمان

(لقد علمتم أني أحق بهامن غيري): أراد الخلافة لما كان [من الرسول في حقي من الأخبار ولفضلي وتقدمي وسابقتي وغير ذلك] (3) من الأدلة الدالة على كونه أحق بها وأولى.

(والله لأُسْلَمَنَّ(4)): أمرها ولأبعدنَّ عن التلبس(5) بها.

(مهما سلمت أمور المسلمين): أراد مهما كان الحيف عليَّ فلا أبالي مهما كان الدين مستقيماً، وأحكام الدين جارية على قانونها.

(ولم يكن فيها جور): ظلم وعدوان في مخالفة(6) كتاب الله وسنة رسوله.

(إلا عليَّ خاصة): وفي هذا دلالة على تظلمه وتوجعه في نفسه.

(التماساً لأجر ذلك وفضله): بترك حقي وكظم غيظي، وتحمل الغيظ والصبر عليه.

---

(1) في النهج: يوماً.

(2) في (ب): وكانت.

(3) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(4) في النسخ: لأتسلمن، وما أثبته من النهج ومن شرح النهج.

(5) في (أ): التلبيس، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(6) في (ب): ومخالفة لكتاب الله...إلخ.

(422/2)

(وزهداً فيما تنافستموه): أي علا قدره عندكم، من قولهم(1): نفس الشيء إذا علا قدره، وأراد تنافستم فيه ولكنه حذف الحرف وعداه بنفسه.

(من زخرفه): يعني الذهب.

(وزبرجه): أراد الزينة {كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ}[الزخرف:35].

(73) ومن كلام له عليه السلام في مقتل عثمان

(أولم ينه أمية(2) علمها بي(3) عن قرفي!): قرفه إذانقصه وعابه، وأراد أولم يمنع بني أمية ما يعلمون من حالي وخصالي التي انفردت بها، وصفاتي التي تميزت بها من بين الخلائق عن نقصي وعيبي.

(أما(4) وزع الجهال سابقتي عن تهمتي!): وزعه إذا كفَّه، وأراد أما(5) كفَّ الجهال الذين لا علم لهم ولا دراية بسابقتي(6) في الدين في نصرته والجهاد لمن خالفه، وقرابتي من الرسول عن أن يتهموني

بما لايليق بي فعله مما زعموه من قتل عثمان، وأني راضٍ به!!
(ولما وعظهم الله به أبلغ من لساني): وللذي زجرهم الله به من قوله: {وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}[النساء:112]، وغير ذلك من الآيات الوعيدية أبلغ مما(7) أنطق به.

---

(1) في (ب): من قوله.
(2) في النهج: بني أمية.
(3) قوله: بي، سقط من (أ).
(4) في شرح النهج: أوما.
(5) في (أ): ما بدون همزة الاستفهام، وما أثبته من (ب).
(6) في (ب): سابقتي.
(7) في (ب): ما.

(423/2)

(أنا حجيج المارقين): أنا مخاصم من مرق من الدين كالخوارج ومفحم لهم بالحجة، وإنما أنا خابر لأمورهم وسابر(1) لها بالفحص عن أحوالهم، من قولهم: حججت شجته بالميل(2)، إذا دريت بغورها لتعالجها، والمارق هو: الخارج من الدين، أخذاً له من مروق السهم إذا خرج من الجانب الآخر.
(وخصيم المرتابين(3)): خصمه إذا نازعه وشاجره، وأراد أنا منازع الشاكين في دين الله، وأهل الريبة في الصدق.
(على كتاب الله تعرض(4) الأمثال): فمن وافقت صفته صفة الأبرار والصالحين فهو منهم، ومن وافقت صفته صفة الفجار وأهل الشقاوة فهو منهم، فهو الصادق الذي لا يكذب، والميزان الذي لا يحيف.
(وبما في الصدور تجازى العباد): أراد أن(5) المجازاة إنما تكون بما في سراير القلوب وضمائرها دون ظاهرها، فربما كان ظاهر عمل سوءاً وهو عند الله زاكياً وعكسه، فالمجازاة على الحقيقة بما في القلوب من ذلك.

(74) ومن خطبة له عليه السلام](6)

---

(1) في النسختين: ساتر، ولعل الصواب كما أثبته: سابر بالباء من السبر وهو: التجربة والفحص

والامتحان.

(2) حج الشجة يحجها حجاً إذا سبرها بالميل ليعالجها، والحجاج: المسبار، وحج العظم يحجه حجاً قطعه من الجرح واستخرجه، وقيل: حج الجرح سبره ليعرف غوره (انظر لسان العرب 570/1).

(3) في النهج وشرح النهج: وخصيم الناكثين والمرتابين.

(4) في (أ): بعرض.

(5) قوله: إن، زيادة في (ب).

(6) ما بين المعكوفين سقط من (أ)، وهو في (ب) وفي شرح النهج.

(424/2)

(رحم الله امرأ سمع حكماً فوعى): الرحمة من الله تعالى في الدنيا بفعل الألطاف الخفية، كقوله: {ولولا رحمة ربي} وفي الآخرة ثواب، كقوله تعالى: {وَأَدْخَلْنَاهُ(1) فِي رَحْمَتِنَا}[الأنبياء:75] وأراد أعطي موعظة فحفظها قلبه (2)، وانتفع بها في دينه.

(ودعي إلى رشد(3) فدنا): إلى ما يرشده في الدين والدنيا فقرب له وأصغى إلى داعيه.

(وأخذ بحجزة هاد فنجا): الحجزة بالضم هي: معقد الإزار، وهو استعارة هاهنا، ضرب بيده على معقد إزار داعي الخير، فأنجاه عن الحيرة والشبهات.

(راقب ربه): أي جعله رقيباً عليه، أي شاهداً في السر والعلانية.

(وخاف ذنبه): وأشفق من عقوبته.

(قدَّم خالصاً): سبَّق لنفسه عملاً خالصاً عن الرياء.

(وعمل صالحاً): وفعل فعلاً يصلح أن يكون مقبولاً، ويصلح أن يكون مثاباً عليه.

(اكتسب مذخوراً): طلب الاكتساب لما يصلح ادّخاره من الأعمال المرضية.

(واجتنب محذوراً): جانب من الأفعال السيئة ما يجب الحذر منه.

(رمى غرضاً): الغرض: ما يرمى، وأراد أصاب غرضاً أو رمى غرضاً فأصابه برميه، والمراد من هذا هو إحراز(4) المقصود في أمره كله.

(وأحرز عوضاً): أي أحرز ما يكون عوضاً عن الأعمال الصالحة وهو أجرها وثوابها.

(وكذَّب مناه(5)): أراد لم يعرِّج على الأماني ولم يتكل عليها؛ لأنها دأب العجزة وأهل الكسل.

(جعل الصبر مطية نجاته): وهو استعارة، وأراد أنه ركب عليها فينجو من الأهوال والشدائد.

(والتقوى عدة وفاته): لأن لكل شيءٍ عدة، وعدة الموت هو التقوى لله والخوف منه.

---

(1) في (ب): وأدخلناهم في رحمتنا.

(2) في (ب): في قلبه.
(3) في شرح النهج: رشاد.
(4) في (ب): والمراد ها هنا إحراز... إلخ.
(5) قبله في النهج: كابر هواه.

(425/2)

(ركب الطريق(1) الغراء): أي سار الطريق الواضحة، أخذاً لها من غرة الفرس.
(ولزم(2) المحجة البيضاء): أي لم يسلك يميناً وشمالاً، وإنما استقام على المنهاج الواضح.
(وبادر الأجل): عاجل المدة التي قدَّرها الله له فاغتنمها وعمل فيها.
(واغتنم المهل): من الغنيمة، والمهل هي: أيام المهلة، وأراد جعلها زماناً لاغتنام الأعمال الصالحة.
(وتزوَّد من العمل): جعله له زاداً إلى الآخرة، وهو تقوى الله تعالى، كما قاله: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى}[البقرة:197].

(75) ومن كلام له عليه السلام يخاطب به بني أمية
(إن بني أمية): أراد من كان في أيامه من بني أمية، ومن يأتي بعده.
(ليفوقونني(3) تراث محمد تفويقاً): أي يعطونني من المال قليلاً قليلاً كفواق الناقة، وهو: الحلبة الواحدة من لبنها، وأراد بتراث محمد ما كان لرسول الله الولاية(4) في أخذه وصرفه في وجهه من جميع الأموال كلها فهو إليه، وتأكيده بالمصدر مبالغة في فعلهم لذلك.
(والله لئن عشت(5)): بقيت له(6) مدة أعيش فيها.
(لأَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ اللّحّامِ): أخرجها من أيديهم وأسلّها من تحت معاطفهم، كما يفعل القصَّاب(7) الذي يقطع اللحم.

---

(1) في النهج: الطريقة.
(2) في (أ): ولزوم، وما أثبته من (ب)، ومن نسخة أخرى.
(3) في (أ): يفوقونني، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج.
(4) في (ب): الولا.
(5) في النهج: والله لئن بقيتُ لهم ...إلخ، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(6) له، سقط من (ب)، وظنن فوقها في (أ) بقوله: ظ: لي.
(7) القصب: القطع، ومنه القصاب.

(في(1) الوِذَامِ التَّرِبَة): في الأكراش، الواحدة منها وَذَمَةٌ، التي قد وقعت في الترب ونفضت منه فتساقط منها، ويروى: (في التراب الوذمة): وهو من القلب، و[هو](2) جعل الموصوف صفة والصفة موصوفاً، وهو من بديع البلاغة وغريب الفصاحة وقد يجيء القلب في الفاعل والمفعول، كما قال: بلغت سوأتهم هُجْر.

(76) [ومن كلمات كان عليه السلام يدعو بها](3)

(اللَّهُمَّ، اغفر لي ما أنت أعلم به مني): أراد أن الله تعالى محيط بجميع الصغائر والكبائر والسر والعلانية بحيث لا تخفى عليه خافية، فسأله غفران ما هو عالم [به] (4) ليكون عاماً شاملاً، وهذا مبالغة في الدعاء وتضرع.

(فإن عدت): في الذنب جهلاً فيما يتوجه من حقك وغروراً من النفس.

(فعد لي بالمغفرة): إحساناً من عندك، وتفضلاً من جودك.

(اللَّهُمَّ، اغفر لي ما وأيت من نفسي): وأى إذا وعد، وأراد طلب المغفرة لما وعده من الإقلاع عنه، والتوبة منه.

(ولم تجد له وفاء عندي): أراد أني قد خالفت فيما وعدت، وعدت إليه مرة ثانية فاغفر لي.

(اللَّهُمَّ، اغفر لي ما تقربت به إليك): من فعل الطاعات وأنواع القرب والعبادات.

(ثم خالفه قلبي): إما بالشهوة والغفلة فيه(5) أو في بغضه(6) عن أن يكون مفعولاً لوجهك، وإما بالقصور عما تستحقه من التعظيم والجلال اللذين يجبان على من كان موصوفاً بالعبودية.

---

(1) في، سقط من النهج.

(2) سقط من (أ).

(3) ما بين المعقوفين سقط من النسختين، وهو زيادة من شرح النهج.

(4) سقط من (أ).

(5) قوله: فيه سقط من (أ).

(6) في (ب): نقصه، وقوله: عن، سقط من (أ).

(اللَّهُمَّ، اغفر لي رمزات الألحاظ): الألحاظ: جمع لحظ ولَحَاظ بالفتح هو: النظر بمؤخر العين، والرمز هو: الإشارة بالشفتين والحاجب، وأراد اغفر ما لا يطلع عليه لدقته إلا أنت، كقوله تعالى(1): {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ}[غافر:19].

(وسقطات الألفاظ): وما يسقط من رديء القول وخطأه وزلله.

(وشهوات الجنان): وما يشتهيه الجنان وهو القلب مما يكون مخالفاً لأمرك.

(وهفوات اللسان): الهفوة: الزلة، وهفوات اللسان زلاته في منطقه، اللَّهُمَّ، استجب له دعاءه وأدخلنا [فيه](2) برحمتك.

(77) ومن كلام له عليه السلام لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج،

فقال له(3): يا أمير المؤمنين، إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم، فقال عليه السلام:

(أتزعم أنك تهدي إلى الساعة): تدل(4) عليها وترشد إلى طريقها.

(التي من سار فيها صرف عنه السوء): جنِّب المكروه وصرف عنه ما يسوؤه(5).

(وتخوِّف الساعة(6)): وتحذر الوقت.

(الذي من سار فيه(7) حاق به الضر): أي أحاط به ما يضره من المكروه.

(فمن صدقك في هذا(8)): الإشارة إلى ما سبق من القول في إسناد النفع والضر إلى النجوم.

(فقد كذّب القرآن): لأن القرآن دال بصرائحه ونصوصه على أن كل ما نزل من السماء من نفع وضر فهو من جهة الله تعالى وقضائه وتقديره وبلائه، فخلاف ذلك يكون تكذيباً ورداً.

---

(1) قوله: تعالى سقط من (ب).

(2) سقط من (أ).

(3) له، زيادة في النهج.

(4) في (أ): يدل.

(5) في (ب): ماسواه.

(6) في شرح النهج: وتخوف من الساعة.

(7) في شرح النهج وفي نسخة: فيها.

(8) في شرح النهج، وفي نسخة: بهذا.

(واستغناء(1) عن الا ستعانة بالله في نيل المحبوب، ودفع المكروه): لأن هذه الأمور كلها من النفع والضر إذا كانت مضافة إلى تأثير النجوم، والعقول والأفلاك السماوية، وحصولها من جهتها على جهة الإيجاب فلا حاجة بنا إلى الاستعانة بالله تعالى في ذلك ولا إلى طلب الألطاف من جهته.

(وينبغي في قولك هذا): فيما زعمته من تأثير هذه النجوم.

(للعامل بأمرك): بالذي أمرته، وقلت له به.

(أن يوليك الحمد دون ربه): أن يعطيك جميع المحامد من العبادة والشكر.

(لأنك زعمت أنك(2) هديته إلى الساعة التي نال فيها النفع وأمن من الضر(3)): فوجب له ذلك جزاء على ما فعله معك من الإحسان بدلالته لك على اكتساب النفع، ودفع الضرر.

(أيها الناس، إياكم وتعلُّم علم النجوم): تحذيراً عن ذلك لما فيه من الضرر على الأديان الإلهية، ويدخل شكاً في التوحيد بإثبات إله آخر مدبر معبود، كما هو مذهب الصابئة(4) وأهل النجوم(5).

---

(1) في (ب): وفي شرح النهج: واستغنى.

(2) في نسخة وفي شرح النهج: لأنك بزعمك أنت هديته.

(3) في (ب): الضرر، وفي شرح النهج: وأمن الضر.

(4) الصابئة: اسم فرقة من الفرق الكفرية، مخصوصة قيل: من النصارى، وقيل: بل فرقة مستقلة وهو الأصح، وهم مقرُّون بالصانع وقدمه، ويزعمون أن الفلك حي سميع بصير وكواكبه ملائكة وعبدوها، إلى غير ذلك (المنية والأمل في شرح الملل والنحل ص18، 75،76).

(5) أهل النجوم هم المنجمية، فرقة من الفرق الكفرية، ينسبون إلى النجوم وهي الكواكب، ويزعمون قدم الفلك ولا صانع له، ويقولون: إن حركة الفلك إلى المغرب والكواكب إلى المشرق، ويزعمون أن الكواكب تنفع وتضر وتعطي وتمنع، وغير ذلك من الأقاويل (انظر المنية والأمل ص18-19، ص76-78).

(إلا ما يُهْتدى به في بر أو بحر): فإن ما هذا حاله فلا بأس بمعرفة أحواله، وكيفية جريه لمافي ذلك من المنفعة بالاهتداء، كما قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ}[الأنعام:97].

(فإنها تدعو إلى الكهانة): وهي تعاطي علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، وسبب ذلك هو أن الله عز سلطانه إذا أراد نفاذ أمر من أقضيته، أوحاه إلى سماء الدنيا فتسترقه الشياطين، ويأتون به إلى الكهان فيكذبون عليه أضعافه، فلما نزل القرآن، وحرست السماء بالشهب ارتفعت الكهانة وبطلت بعد

النبوة.

(المنجم كالكاهن): لأن المنجم يدعي إضافة هذه الآثار كلها إلى النجوم، والكاهن هو: الذي يدعي تعاطي علوم الغيوب(1)، وكلاهما كاذب فيما يقوله.

(والكاهن كالساحر): لأن الساحر يدعي أنه يخلق، فهو في كذبه مثل كذب الكاهن.

(والساحر كالكافر): وأراد أنه كافر إذا كان يزعم أنه يخلق مثل خلق الله تعالى، فهو كفر وردة وإن(2) اعترف بأن ما جاء به مخرقة وكذب فلا كفر هناك.

(والكافر في النار): لكفره خالداً فيها مخلداً بلا خلاف بين الأمة، إلا شذوذاً ذهبوا إلى خلاف ذلك، وهو قول مردود، فلا حاجة إلى إبطاله.

(سيروا على اسم الله وعونه): اغزوا وسافروا أي وقت شئتم، من غير تعريج على أقوال أهل التنجيم، واذكروا اسم الله عند خروجكم، واطلبوا منه المعونة في أسفاركم.

واعلم: أن القول بالنجوم يكون على وجهين:

أحدهما: أن يقال: بأنها أحياء ناطقة، وتضاف هذه الآثار إليها، وأنها معبودة خالقة رازقة(3) كما هو مذهب الصابئة وغيرهم، وهذا كفر لا محالة.

---

(1) في (ب): الغيب.

(2) في (ب): وإذا.

(3) في (ب): رزَّاقة.

وثانيهما: أن تكون هذه الآثار مضافة إلى الله تعالى، وأنها مسخرة مدَّبرة لما يريد الله فيها من المصالح، وأنه تعالى أجرى العادة بأنه لا يفعل بعض الأفعال إلا عند طلوعها وغروبها، فهذا لا بأس به، ولا يطرق خللاً في اعتقاد التوحيد.

(78) ومن كلام له عليه السلام في ذم النساء بعد حرب الجمل

(معاشر المسلمين(1)، إن النساء نواقص الإيمان): اعلم أن هذا الكلام يشير به إلى عائشة، والسبب في خروجها إلى البصرة محاربة لأمير المؤمنين هو أن طلحة والزبير ويعلى بن منية(2) اجتمعوا في مكة وعائشة واقفة بها، فتلاوموا على قتل عثمان، وضربوا لسهام(3) الرأي، وقالوا: كيف لنا بأن تكون معنا أم المؤمنين فأتوها، وقالوا لها(4): أنت قتلت عثمان لطعنها عليه وعيبها إياه،و ذكروا لها أنه لا توبة لها إلا بالمسير معهم حتى تقتل قتلة عثمان ويرد الأمر إلى أهله، فسارت معهم لهذه

الشبهة من غير أن تكون على بينة من أمرها وبصيرة من حالها، ولهذا لما نبح عليها كلاب الحوأب(5) همت بالرجوع حتى شهدوا لها بالزور(6)

---

(1) في شرح النهج: معاشر الناس.
(2) هو يعلى بن منية، وقيل: هي أمه، وفي الأعلام: يعلى بن أمية بن أبي عبيد التميمي الحنظلي، المتوفى سنة 37هـ، صحابي من سكان مكة، وكان حليفاً لقريش، أسلم بعد الفتح، وشهد الطائف وحنين وتبوك مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واستعمله أبوبكر وعمر وعثمان، ولما قتل عثمان كان يعلى مع الزبير وعائشة يوم الجمل، ثم صار من أصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام وقتل معه بصفين سنة 37هـ. (انظر معجم رجال الاعتبار 498، والأعلام 204/8).
(3) في (ب): سهام.
(4) قوله: لها سقط من (ب).
(5) الحوأب: موضع قريب من البصرة. (انظر لسان العرب 544/1).
(6) المغني 20/2/79-80، وشرح النهج لابن أبي الحديد 225/6.

(431/2)

، ويقال: إنَّها أول شهادة(1) في الإسلام بالزور(2)، ولا شك في فسقها، وهلاكها عند خروجها لحرب أمير المؤمنين بلا خلاف بين الأمة(3) لبغيها عليه، لولا أن الله تداركها برحمة منه بالتوبة عن ذلك، وسبب ذلك مطاوعتها(4) لغيرها، والانقياد له، ولهذا قال أمير المؤمنين:

(امتحنت بأربعة لم يمتحن بها قبلي أحد: عائشة، وهي أطوع الناس، والزبير مع شجاعته، وطلحة مع سخائه، ويعلى بن منية مع كثرة ماله)(5).

(نواقص الحظوظ، نواقص العقول): ومن هذا(6) حاله كيف يكون زعيماً لغيره، و(7)محتكماً لأمره.

ثم فسر عليه السلام ما ذكره من هذه الخصال فقال:

(أما نقصان إيمانهن فقعودهن عن الصلاة والصوم أيام حيضهن): ومن نقص إيمانه نقص قدره عند الله تعالى.

([وأما نقصان] (8) عقولهن؛ فشهادة الامرأتين منهنَّ بشهادة(9) الرجل الواحد): لأن العقل إذا كان وافراً فصاحبه شديد التحفظ على ثقة في الأمر من الزلل، فعضد إحداهما(10) بالأخرى إشارة إلى ذلك.

(وأما نقصان حظوظهنَّ فمواريثهنَّ على النصف(11) من مواريث الرجال): إشارة إلى قوله تعالى: {فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ}[النساء:176] وهذا حيث يكون تعصيب الرجال لهن.

(1) في (ب) مكتوب فوقها: شهدت.

(2) المغني 80/2/20.

(3) في (أ): بين الأئمة.

(4) في (أ): مطاوعة، وما أثبته من (ب).

(5) المغني 80/2/20.

(6) في (ب): هذه.

(7) الواو سقط من (ب).

(8) سقط من (أ)، وهو في النهج وفي(ب).

(9) في نسخة وشرح النهج: كشهادة.

(10) في (ب): فقصد لإحداهما بالأخرى...إلخ، وفي نسخة أخرى: فعضد إحداهما.

(11) في شرح النهج وفي النهج: الأنصاف.

(432/2)

(فاتقوا شرار النساء): اللواتي لا دين لهنَّ؛ لأنه إذا انضمَّ إلى هذه الخصال قلة الدين ازداد الضرر وكثر لا محالة.

(وكونوا من خيارهنَّ على حذر): اللواتي فيهنَّ الصلاح لأن(1) الغي والجهل إذا كان فيهنَّ طباعاً فإنه لا يؤمن شر هذه الخصال.

(ولا تطيعوهن في المعروف): أراد أنهن إذا منعن عما يكون معروفاً متواطئاً عليه بين الخلق كان صواباً حسناً.

(حتى لا يلغن(2) في المنكر): لأن من مُنِعَ من الأمور المباحة، ولم يؤذن له في فعلها علم لا محالة أنه لا يطاع فيما يَهِمُّ به من الأمورالقبيحة المنكرة، وناهيك باسترذالهنَّ أن الله تعالى نقصهنَّ في هذه الأمور مع ما ينضاف إلى ذلك من المنع من القضاء والإمامة.

(79) [ومن كلام له عليه السلام](3)

(أيها الناس، الزهادة قصر الأمل): أراد أن غاية الزهد ونهاية أمره هو تقصير الأمل، لأن من قصر أمله زكا عمله.

(والشكر عند النعم): أراد أنه لا يستحق الشكر إلا لأجل النعمة.

(والورع عند المحارم): أي أنه لا يظهر الورع الصحيح إلا عند موافقة(4) المحارم، فإن هو امتنع

[عند](5) عروضها كان الورع متحققاً، وإن هو واقعها كان الورع باطلاً.
(فإن عزب ذلك عنكم): عزب عنه حكمه إذا بَعُدَ، وأراد إن بَعُدَ ذلك والإشارة إلى ما تقدم من الورع والشكر.

---

(1) في (أ): لا لغي، وهو خطأ، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.
(2) في (ب) وفي شرح النهج وفي نسخة أخرى: لا يطعمن.
(3) زيادة في (ب) وفي شرح النهج.
(4) في نسخة أخرى: مواقفة.
(5) سقط من (أ).

(433/2)

(فلا يغلب الحِمام(1) صبركم): الحِمام بالكسر في الفاء هو قدر الموت، وأراد إن بَعُدَ عليكم الوفاء بما ذكره من هذه الأمور فلا يردن الموت عليكم وأنتم مخلُّون بهذه(2) الواجبات عليكم، بل يأتيكم وأنتم صابرون على تأديتها وغير مُخِلين بها.
(ولا تنسوا عند النعم شكركم): ما يجب عليكم من شكرها، وإنما أضاف الشكر إليهم لما لهم به من مزيد الا ختصاص، كأنه قال: الشكر الذي يكون لائقاً بكم وتكونون أحق به.
(فقد أعذر الله إليكم): أعذرإليه إذا صار ذا عذر، ومنه المثل: أعذرمن أنذر، قال زهير:
على رِسْلِكمْ إنَّا سَنُعْدِي وراءكم .... فتمنعُكم أرْماحُنا أو سَنُعْذَرُ(3)
(بحجج مسفرة ظاهرة): بأعلام بينة واضحة لا لبس فيها.
(وكُتُب بارزة العذر واضحة): وكتب على ألسنة الرسل قاطعة لمعاذيركم، مو ضحة للحجة عليكم.
(فالدنيا(4) دار أولها عناء): تعب وشدة ومكايدة الشرور.
(وآخرها فناء): زوال وتغير، إما بالإعدام على رأي أكثر المتكلمين في أن الله يعدم العالم ويعيده إلى حالته الأولى في العدم، وإما بالتغيير لنظامه كما هو المختار عندنا، وإليه تشير ظواهر الشريعة ونصوصها، وقد ذكرنا ما نختاره في الكتب العقلية.
(في حلالها حساب): من أين اكتسبه؟ وَفِيْمَ أنفقه؟.
(وفي حرامها عقاب): خلود في النار في عقاب دائم.
(من استغنى فيها فتن): بلذاتها وزخارفها، وكانت سبباً لفتنته بإعراضه عن الآخرة.

---

(1) في شرح النهج: الحرام.

(2) في (أ): هذه.
(3) لسان العرب 718/2.
(4) في شرح النهج: ومن كلام له عليه السلام في صفة الدنيا: ما أصف من دار، أولها عناء ...إلخ.

(434/2)

(ومن افتقر إليها(1) حزن): لما يرى من تنعم أهلها بها، ومكابدته(2) لشدائد الفقروعظائمه.
(ومن ساعاها فاتته): ومن جرى معها في حبها وطلب لذاتها سبقته(3)، ولم يدرك لها غاية.
(ومن قعد(4) عنها واتته): تأخر عن طلبها، وصار مصاحباً لها بالرفق كفاه اليسير منها.
(ومن أبصر بها بصَّرته): جعلها له عبرة يتعظ بها(5)، وينظر إلى مصارع من رغب فيها أرته العجائب من ذلك.
(ومن أبصر إليها): بالرغبة إليها والاطمئنان.
(أعمته): عن إبصار المواعظ والا نتفاع بها.

(80) ومن خطبة له عليه السلام عجيبة تسمى [الغراء] وإنما سميت الغراء أخذاً لها من غرة الفرس؛ لما فيها من المواعظ الدينية الظاهرة، والحكم البينة

(الحمد لله الذي علا بحوله): الحول هو: القوة، وأراد بالعلو ها هنا القهر والغلبة، وأراد أنه قهر بقوته.
(ودنا بطوله): الدنو هو: القرب، والطول هو: المن، وأراد أنه قريب من الخلق بما أنالهم من طوله، ونعمته عليهم، ولطفه بهم، ورحمته إياهم.
(مانح كل غنيمة وفضل): منحه إذا أعطاه، والغنيمة والفضل هو: العطاء من غير استحقاق.
(وكاشف كل عظيمة وأزل): الكاشف هو: الرافع، وأراد أنه الرافع لكل بلوى وشدةمن شدائد الدنيا وأهوالها، والأزل هو: الشدة.
(أحمده على عواطف كرمه): العواطف: جمع عاطفة، وفيها وجهان:
أحدهما: أن يجعل اشتقاقها من العطف وهو الميل، يقال: عطفت أي ملت؛ لأن نعم الله مائلة إلى الخلق.

---

(1) في النهج: فيها.
(2) في (أ): ومكايدته، وما أثبته من (ب).

(3) في (أ): تشقيه، وما أثبته من (ب)، ومن نسخة أخرى.

(4) في (أ): بعد، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى ومن شرح النهج.

(5) قوله: بها سقط من (ب).

(435/2)

وثانيهما: أن يكون اشتقاقها من عطف إذا أشفق عليه، وتكون العاطفة ها هنا مصدر كالعافية والكاذبة.

(وسوابغ نعمه): السابغة هي: الكاملة، ومنه قوله تعالى: {وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً}[لقمان:20] أي أكملها.

(وأومن به أولاً بادياً): لكونه أولاً بلا بداية، وبادياً أي ظاهراً لا لبس في إثباته.

(وأستهديه قريباً هادياً): أطلب(1) منه الهداية لكونه قريباً بالرحمة فاعلاً للهداية لمن أرادها.

(وأستعينه قاهراً قادراً): وأطلب منه الإعانة؛ لكونه قاهراً لمن عصاه، قادراً على فعل الإعانة.

(وأتوكل عليه كافياً ناصراً): أكل أمري إليه؛ لكونه كافياً لمن استند إليه ناصراً لمن استعان به.

(وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ أرسله لإنفاذ أمره): أي لإخلاصه عما يقطعه، أخذاً من قولهم: نفذ السهم إذا خلص عن القوس، ومنه قولهم: نفذ السهم عن الرمية إذا خلص عنها، و(2)أراد أنه خالص فيما أمر به من الطاعات.

(وإنهاء عذره): أنهيت الشيء إذا بلغته(3)، وأراد إبلاغ ما أعذربه إليهم وإيصاله(4).

(وتقديم نذره): وأن يكون إنذاره سابقاً إليهم، والنذر والعذر إما مصدران بمعنى الإعذار والإنذار، وإما جمع عذير ونذير.

(أوصيكم عباد الله بتقوى الله): بخوفه ومراقبته في السر والعلانية.

(الذي ضرب لكم الأمثال): لتتعظوا بها وتكون زاجرة لكم عن الوقوع في المكاره، وحاثة لكم على الإتيان بمراداته.

(ووقّت لكم الآجال): جعلها منتهى للبثكم في الدنيا، ومتنفساً لفعل الأعمال الصالحة.

---

(1) في (ب): واطلب.

(2) الواو زيادة في (ب).

(3) في نسخة أخرى: إذا أبلغته.

(4) في (أ): واتصالهم، وفي (ب) وفي نسخة: وإيصاله كما أثبته.

(وألبسكم الرياش): وأنعم عليكم من الفاخر(1) من اللباس تلبسونه.

(وأرفغ لكم المعاش): الرفغ والرفاغة بالغين المعجمة هي: الرخاء والسعة في العيش.

(فأحاط(2) بكم الإحصاء): أراد وجعل الإحصاء وهو: الحصر، محيطاً بأعمالكم صغيرها وكبيرها، كما قال تعالى: {وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ}[القمر:53].

(وأرصد لكم الجزاء): أعد لكم الجزاء على الأعمال كلها، من قولهم: أرصدت له كذا إذا أعددته له.

(وآثركم بالنعم السوابغ): آثرته بكذا إذا جعلته مستبداً(3) به(4)، قال تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}[الحشر:9] وأراد جعلكم مستبدين(5) من جهته بالنعم الكوامل.

(والرفد الروافغ): أراد العطايا الواسعة، جمع رفدة وهي العطية، مثل نعمة ونعم.

(وأنذركم بالحجج البوالغ): التي لا أحد(6) في البيان والوضوح إلا وقد بلغته.

(فأحصاكم عدداً): فأحاط بكم في جميع أحوالكم عدة وحصراً، كما قال تعالى: {وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا}[الجن:28].

(ووظف لكم أمداً(7)): وقدَّر لكم غاية تبلغونها، والوظيفة: ما يقدر للإنسان من كسوة ونفقة.

(في قرار خِبْرَة): موضع الاختبار وهي الدنيا.

(ودار عبرة): مكان الاعتبار.

---

(1) في (ب): بالفاخر.

(2) في شرح النهج وفي نسخة: وأحاط.

(3) في النسختين: مستثيراً، وما أثبته من نسخة أخرى.

(4) قوله: به، سقط من (أ).

(5) في النسختين: مستثيرين، وما أثبته من نسخة أخرى.

(6) في (أ): التي لاحد البيان، وهو خطأ، والصواب ما أثبته من (ب).

(7) في شرح النهج: مدداً.

(أنتم مختبرون فيها): أي ممتحنون بأنواع البلايا، وضروب(1) المحن، أو مختبرون من يؤمن منكم ومن يكفر، كما قال تعالى(2): {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}[هود:7].

(ومحاسبون عليها):ش: على ما كان منكم فيها من الأعمال القبيحة، أو محاسبون على ما أوصل إليكم من النعم فيها.

(فإن الدنيا رَنقٌ مشربها): رنق الماء إذا تكدر، ومشرب الماء: الموضع الذي يؤخذ منه للاستقاء.

(رَدِغٌ مَشْرَعُهَا): ردغ الماء إذا تغير بالطين والوحل، وفي الحديث: ((من سقى صبياً لا يعلم خمراً سقاه الله من ردغة(3) الخبال)) ومشرع الماء: مورده.

(مُوْنِقٌ مَنْظَرُهَا): معجبة نضارتها(4) وحسنها لمن رءاها.

(مُوْبِقٌ مَخْبَرُهَا): مهلك خبرها، والمخبر هو: الخبر وهو: التجربة، يقال: خبرت هذا إذا جرَّبته.

(غُرُوْرٌ): كثيرة الخديعة والمكر بأهلها، ويغترون بها كثيراً، فالمبالغة حاصلة من غرورها(5)، وكثرة اغترار أهلها بها.

(حائِلٌ(6)): أي متقلبة بأهلها إلى حال بعد حال، من قولهم: حال يحول إذا انتقل من موضع إلى موضع.

(وضوء آفل): ونور بينا تراه حاصلاً إذا غاب، من قولهم: أفلت الشمس إذا غابت.

(وظل زائل): ذاهب.

---

(1) في (ب): وضرب.

(2) قوله: تعالى زيادة في (ب).

(3) في (أ): ردغ، وفي (ب) كما أثبته.

(4) في نسخة أخرى: نظارها.

(5) في (أ): غررها.

(6) في (أ): محايل.

(438/2)

(وسناد مائل): السناد: ما يستند إليه، والمائل هو: المعوج، وأراد أنها مائلة عن حد الاستقامة في أحوالها كلها، واستعاره من السناد وهي: الناقة الشديدة الخلق، قال ذو الرمة(1):

جُمَالِيَّةٌ حَرْفٌ سِنادٌ يُقِلُّها .... وَظِيْف أَزَجُّ الْخَطْوِ ظَمآنُ سَهْوَقُ(2)

فهذه أوصاف الدنياكما ذكر تها(3) فإنها تغر الإنسان وتخدعه.

(حتى(4) إذا أنس نافرها): سكن خاطر من نفر عنها بخدعها.

(واطمأن ناكرها): انشرح صدر من أنكرها بمكرها به.

(قمصت بأرجلها): قمص الفرس قموصاً إذا رفع(5) يديه ووضعهما جميعاً، وأراد أنها وثبت عليه

على هذه الهيئة، وهو عبارة عن شدة حالها في التغير والزوال.

(وقنصت بأحبلها): وصادت بشركها، وهي: الحبال.

(وأقصدت بأسهمها): أقصد السهم إذا أصاب وقتل في مكانه.

سؤال؛ أراه جمع السهام والحبال جمع قلة، والغرض ها هنا هو التكثير والإعلام، بأن حبال الدنيا وسهامها في غاية الكثرة، فما وجه ذلك؟

---

(1) ذو الرمة هو: غيلان بن عقبة بن نهيس العدوي من مضر، أبو الحارث [77-117هـ] شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره، له ديوان شعر مطبوع ضخم، توفي بأصبهان، وقيل: بالبادية. (الأعلام 124/5).

(2) في (ب): شهوق، وبيت ذي الرمة هذا الذي ذكره المؤلف هنا هو في لسان العرب 216/2، وقال في تفسيره: وجمالية: ناقة عظيمة مشبهة بالجمل لعظم خلقها، والحرف: الناقة الضامرة الصلبة مشبهة بالحرف من الجبل، وأزج الخطو واسعة، والوظيف: عظم الساق، والسهوق: الطويل، انتهى. قلت: وقوله هنا: (يقلُّها)، في لسان العرب: (يشلُّها).

(3) في (ب): ذكرها.

(4) قوله: حتى سقط من (أ).

(5) في (أ): أرفع.

(439/2)

وجوابه؛ هو أن الغرض التنبيه على عظم حالها في الخدع والتغرير بأهلها(1)، وأن سهامها وإن قلت فهي قاتلة، وأن حبالهاوإن قلت فهي قابضة مهلكة، فلذلك لا يقال له(2): قليل.

(وأعلقت المرء(3) أرهاق المنية(4)): العلق: الهوى والمحبة(5)، قال:

ولقد أردتُ الصبرَ عنكِ فعاقَنِي .... عَلَقٌ بقلبي من هواكِ قديمُ(6)

والأرهاق جمع رهق وهو: الدنو، يقال: رهقت فلاناً أي دنوت منه، والمعنى أنها صارت ذا محبة وهوى بإدنائه من المنية، وتقريبه منها، ويجوز أن يريد بأعلقت أي تعلقت به ونشبت، من قولهم: علق الظبي بالحبالة إذا نشب فيها.

(قائدة له إلى ضنك المضجع): الضنك: الضيق، وأراد أنها بمنزلة من يقوده إلى ضيق ما يضطجع فيه وهو قبره آخذة له بزمامه.

(ووحشة المرجع): الوحشة: الهم والخلوة، وأراد ووحشة ما يرجع إليه وهو وضعه في لحده.

(ومعاينة المحل): وإبصار محله بالعين إما في جنة وإما في نار.

(وثواب العمل): وتقوده إلى تحقق ثواب العمل وعقابه.

(وكذلك): وعلى مثل هذه الحالة، والإشارة إلى ما تقدم ذكره من ذكر حال المنية وفعلها بالإنسان.

(الخلف يعقب(7) السلف): السلف هم(8): الماضون، والخلف هم: الذين يتلونهم، و(9)يكون حالهم في الموت والفناء.

---

(1) قوله: بأهلها، سقط من (أ).

(2) في (ب): لايقال: ناله قليل.

(3) في (أ): المرار، وهو خطأ، والصواب ما أثبته من (ب) والنهج..

(4) لفظ العبارة في النهج: وأعلقت المرء أوهاق المنية.

(5) في (أ): والمحنة.

(6) البيت هو لكثيِّر عزة، انظر لسان العرب 862/2.

(7) في النهج: بعقب.

(8) في (أ): هو، وما أثبته من (ب).

(9) الواو سقط من (ب).

(440/2)

(لا تقلع المنية اختراماً): أقلع السحاب إذا ذهب، والخرم: نقص الشيء وإفساده، وخرم أنفه إذا قطع وترتها، ونصب الا خترام إما على أنه مفعول له أي لا تقلع من أجل الا خترام، كقولك: ضربته تأديباً، أو مصدر في موضع الحال أي لا تقلع مخترمة لهم قاطعة لآجالهم.

(ولا يرعوي الباقون اجتراماً): ارعوى عن الشيء إذا كف عنه، وامتنع منه، وغرضه هو أن من بقي لا يمتنع عن المنية وإنما هو بصدد ملاقاتها(1)، والاجترام هو: الامتناع، وانتصابه إما مفعول له أي من أجل الا متناع، وإما مصدر في موضع الحال.

(يحتذون مثالاً): حذا الشيء واحتذاه إذا كان مقتدياً به، وأراد أنهم يقتدون على مثال من مضمن أسلافهم في الموت والقبر وسائر الأهوال.

(ويمضون أرسالاً): من قولهم: مضى في أمره إذا استمر على فعله وكان مقبلاً عليه، وأرسالاً جماعة بعد جماعة، وفوجاً بعد فوج، من قولهم: جاءت الإبل أرسالاً أي قطعاً بعد قطع.

(إلى غاية الانتهاء): وهي التي قدّرها الله تعالى وعلمها من انقطاع التكليف، وبطلان نظام العالم.

(وصيُّور الفناء): صيُّور كل أمر: آخره الذي يصير إليه، وتؤول إليه حالته، ووزنه إما فيعول مثل صيهود، وإما فعُّول مثل سَفُّود(2)، والقصد فيه المبالغة في الصيرورة.

(حتى إذا تصرَّمت الأمور): صرم الشيء قطعه، وأراد به انقطاع التكاليف، وطي الدنيا، وإقبال الآخرة.

(وانقضت(3) الدهور): فرغت وانقطعت(4) أيامها.

---

(1) في (أ) و(ب): خلافاتها، وما أثبته من نسخة أخرى.

(2) السَّفُّود بوزن التَّنُّور: الحديدة التي يشوى بها اللحم. (مختار الصحاح ص300).

(3) في النهج: وتقضت.

(4) في (ب): وانقضت.

(441/2)

(وأزف الحشر والنشور): أزف الأمر إذا قرب وقته، الحشر هو: سوق الناس إلى المحشر، والنشور: إما نشر الصحف(1)، وإما نشر الأجسام بعد طيها وتفرقها.

(أخرجهم): العالم بأجزائهم بعد تفريقها(2)، والقادر على ردها بعد ذهابها.

(من ضرائح القبور): جمع ضريح، وهو: الشق على جهة الا ستواء، واللحد: ما كان مائلاً عن السمت، وفي الحديث: ((اللحد لنا، والضرح(3) لغيرنا)) (4) بالضاد المنقوطة.

(وأوكار الطيور): أماكنها.

(وأوجرة السباع): جمع وجار بالجيم وهو: مستقرها.

(ومطارح المهالك): المطارح: جمع مطرح، والمهالك: جمع مهلكة، والغرض من هذا هو أن الله تعالى يجمعهم على حالتهم الأولى وإن تفرقوا في هذه الجهات المتفرقة، وطرحوا في المهالك البعيدة.

(سراعاً): أي مسرعين، وانتصابه على الحال من الهاء في أخرجهم(5).

(إلى أمره): إلى امتثال أمره حيث أمرهم بالخروج.

---

(1) في (أ): المصحف، وما أثبته من (ب)، ومن نسخة أخرى.

(2) في (ب) وفي نسخة أخرى: تفرقها.

(3) في (أ): الضريح، وما أثبته من (ب)، ومن نسخة أخرى.

(4) أخرجه الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام في الأحكام 118/1، من حديث عن الإمام عليعليه السلام، وص119 عن أبيه عن جده، ورواه الإمام القاسم بن محمد عليه السلام في الاعتصام 187/2، من حديث، وعزاه إلى مجموع الإمام زيد بن علي عليهما السلام، عن أبيه، عن جده، عن علي"، وإلى الأحكام، وشرح التجريد، وأصول الأحكام، والشفاء، وأخرجه الإمام أحمد بن

عيسى بن زيد بن علي عليه السلام في أماليه في الجزء الثاني ص432 باب ما ذكر في وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودفنه، بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام، وبطريق آخر بسنده أيضاً عن الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام

(5) في (أ): إخراجهم.

(442/2)

(مهطعين): أهطع الرجل إذا مد عنقه وصوب رأسه، قال الشاعر:

تَعَبَّدَنِي نِمْرُ بن سَعْدٍ وقد أُرَى .... ونِمْرُ بن سَعْدٍ لي مُطِيعٌ ومُهْطِعُ(1)

(إلى معاده): المعاد هو: موضع العود، كالمدخل موضع الدخول، وأراد إلى معاد الله الذي جعله لهم.

(رعيلاً): جماعة بعد جماعة.

(صموتاً): لا ينطقون، كما قال تعالى: {هَذَا يَوْمُ لاَ يَنطِقُونَ}[المرسلات:35].

(قياماً): على أرجلهم، لا يثنونها للاستراحة.

(صفوفاً): صفاً بعد صف.

(ينفذهم البصر): لتقارب أطرافهم وتلاصقهم.

(ويسمعهم الداعي): لكثرة تزاحمهم.

(عليهم لَبوس الاستكانة): اللَّبوس: ما يلبس نحو القميص والقَبَاء، قال تعالى: {وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ}[الأنبياء:80] أراد الدرع، والاستكانة هي: المسكنة، ولبسها من باب الا ستعارة، كما قال تعالى: {فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ}[النحل:112].

(وضرع الاستسلام والذلة): الضرع والضراعة: الذل، والاستسلام: الانقياد.

(قد ضلت الحيل): بطلت وانقطعت من كل وجه فلا سبيل إلى استعمالها.

(وانقطع الأمل): إما ما كانوا يأملونه في الدنيا ويسوفونه، وإما ما كانوا يرجونه في الآخرة من خلاف ما هم عليه الآن من تحقق الأمور ويقينها(2).

(وهوت الأفئدة كاظمة): أراد هوت أفئدتهم أي ذهبت عقولهم من شدة الفزع، وكثرة القلق، كما قال تعالى: {وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ}[إبراهيم:43] أي لا عقول فيها، والكاظم: المغتاظ، أي تعطلت مغتاظة(3) من شدة الأمر وفزعه.

---

(1) البيت في لسان العرب 811/3، بدون نسبة إلى قائله.

(2) في (ب): وتعينها، وفي نسخة أخرى: وتيقنها.
(3) في (أ): مغاظة، وما أثبته من (ب)، ومن نسخة أخرى.

(443/2)

(وخشعت الأصوات مهينمة): الهينمة: الصوت الخفي، وأراد أن الأصوات ضعيفة لذهاب القوى وزوالها.

(وألجم العرق): يحتمل أن يكون أرادبه قد بلغ أفواههم حتى ألجمها، كما ورد في الحديث: ((إن منهم من يلجمه العرق، ومنهم من يبلغ به إلى كعبه، ومنهم إلى أنصاف ساقيه))(1) ، ويحتمل أن يكون جعله كناية عن شدة الخوف وكثرة(2) الا نزعاج حتى يصير ملجماً لا يتكلم.

(وعظم الشَّفَقُ): أشفق الرجل إشفاقاً إذا خاف، والاسم منه الشفق.

(وانهلت المدامع): انهلَّ الشحم إذا ذاب، وانهلَّت السحابة إذا سكبت ماؤها، وأراد سكبت الأعين دموعها.

(واستكت المسامع(3)): أي صُمَّت من عظم ما تسمعه، وضاقت عن قبوله، قال النابغة(4):

---

(1) أخرج نحوه من حديث الموفق بالله عليه السلام في الاعتبار وسلوة العارفين ص463 برقم (379) عن أبي أمامة، والحديث بلفظ: ((إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((تدنو الشمس يوم القيامة على قيد ميل، ويزاد في حرها كذا وكذا، يغلي منها الهام كما يغلى القدر على الأثافي، يعرقون منها على قدر خطاياهم، فمنهم من يبلغ كفيه، ومنهم من يبلغ إلى ساقيه، ومنهم من يبلغ إلى وسطه، ومنهم من يلجمه العرق))، قال محقق الاعتبار في تخريج الحديث ما لفظه: أخرجه أحمد 254/5، وانظر موسوعة الأطراف 355/4.

(2) في (أ): وكثر.

(3) في شرح النهج: وأرعدت الأسماع.

(4) هو النابغة الذبياني زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة المتوفى نحو سنة 18ق.هـ، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ، فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها، وله ديوان شعر مطبوع، وعاش عمراً طويلاً (الأعلام 54/3-55).

(444/2)

أتاني أبيتَ اللعنَ أنَّك لُمْتَنِي .... وتلك التي تَسْتَكُّ منها المسامعُ(1)

(لزأرة(2) الداعي): شدة صوته، ومنه زأرة الأسد نهيمه، وأسد مزأرٌ (3) إذا كان شديد الصيحة.

(إلى فصل الخطاب): قطع الشجار فيما بين الخلق، وإزالة الخصومة.

(ومقايضة الجزاء): قاضت السن تقيض قيضاً إذا سقطت، وأراد سقوط الثواب بالعقاب وسقوط العقاب بالثواب، وهذه إشارة إلى ما يقوله المتكلمون من الإحباط والتكفير الحاصلين في الثواب والعقاب، فإذا دلت الأدلة على بطلان اجتماعهما فلا بد فيهمامن التساقط لا ستحالة استحقاقهما مجتمعين.

(ونكال العقاب، ونوال الثواب): خير الثواب وشر العقاب، وأضاف النكال إلى العقاب(4) لاختصاصه به، وأضاف النوال إلى الثواب لاختصاصه به.

(عباد): أي من وصفناه بهذه الصفات هم عباد ملك الله(5) تعالى، يتصرف فيهم كيف شاء(6).

(مخلوقون اقتداراً): موجودون بقدرة الله تعالى ومضافون إلى إبداعه.

(ومربوبون اقتساراً): الرب هو: المالك، وأراد أنهم مملوكون قسراً بغير رضاهم لذلك.

(ومقبوضون احتضاراً): قبضهم بزوال نفوسهم بآفات كثيرة، والاحتضار بالضاد المنقوطة هو: الإصابة بالسوء، ومنه قوله تعالى: {وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ}[المؤمنون:98] ومنه لبن محتضرإذا كان متغيراً بآفة طرت عليه.

(ومضمنون أجداثاً): الجدث: القبر، وتضمينه إياه إيداعه فيه، قال تعالى: {مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ}[يس:51].

---

(1) أورده في لسان العرب 172/2، وفي أساس البلاغة ص216، ورواية الشطر الأول فيه: وأخبرت خير الناس أنك لمتني ....

(2) في شرح النهج: لزبرة.

(3) في (أ): مزأراً.

(4) في (ب): العذاب.

(5) في نسخة أخرى: لله.

(6) في (ب): يشاء.

(445/2)

(وكائنون رفاتاً): الرفات: المتحطم الهشيم، قال الله تعالى: {أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا}[الإسراء:49] وأراد أنهم صائرون في قبورهم لتطاول الأزمنة، وطول المكث على هذه الصفة.

(ومبعثون(1) أفراداً): أراد أنهم يحشرون كل واحد منهم وحده، لا يجمعهم جامع، {لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}[عبس:37]، {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ}[الأنعام:94] والأفراد: جمع فرد.

(ومدينون جزاء): الدين: الجزاء والمكافأة، يقال: دانه يدينه أي جازاه، ويقال: كما تدين تدان، أي كما تجازي تجازى، ومنه قوله تعالى: {أَئِنَّا لَمَدِينُونَ}[الصافات:53] أي مجزيون محاسبون، وجزاء مفعول له أي مدينون من أجل الجزاء.

(ومميزون حساباً): التمييز: رفع اللبس عن الأشياء، وأراد أنهم في حسابهم متميزون، منهم من يحاسب ومنهم من لايحاسب، ومن حوسب فتارة يحاسب حساباً يسيراً، ومرة حساباً عسيراً، وانتصاب حساباً على التمييز بعد الفاعل.

(قد أمهلوا): المهل: المدة،أي(2) جعلت لهم مدة.

(في طلب المخرج): عمَّا كلفوا.

(وهدوا): بُيِّن لهم بالأدلة الواضحة من جهة العقل والنقل.

(سبيل المنهج): طريق الحق الذي ينتهجه من كان على الطريقة المحمودة.

(وعُمِّروا): ومدَّ لهم في أعمارهم.

(مهل المستعتب): المستعتب: الطالب للرضى، وأراد أنه قد نفس لهم في الآجال التي تمكنهم بها طلب الرضى لله تعالى واستعتابه فيما كلفهم إياه.

---

(1) في (ب) وفي النهج: ومبعوثون.

(2) في (ب): التي.

(446/2)

(وكشف لهم(1) سُدَفُ الرِّيبِ): السُّدْفة: تطلق على الضوء والظلام، وهي من الأضداد، وهي ها هنا للظلام، وأراد وأوضحت لهم بالأدلة الواضحة ظلم الشكوك في زمن التكليف، وقول من قال: إنهم إذا عاينوا يوم القيامة ترتفع شكوكهم، لا وجه له ها هنا؛ لأن كلامه إنما هو في حكاية حالهم في الدنيا.

(وخُلُّوا): تركوا، من قولهم: خليته ورأيه أي تركته.

(لمضمار الجياد): المضمار: مدة تضمير الفرس للمسابقة، ويقال للموضع أيضاً، وتضمير الفرس هو أن تعلف حتى تسمن، ثم ترد إلى القوت أربعين يوماً، وأراد أن الدنيا ومدة العمر هي كا لمضمار ليستفد منها للآ خرة بالأعمال الصالحة، والمتاجر الرابحة.

(ورَوِّيَة الارتياد): وفكرة الطلب، من قولهم: ارتاده إذا طلبه.

(وأناة المقتبس المرتاد): الأناة هي: التأني في الأمور، وأراد وتأني(2) المستفيد الطالب لما يصلحه

في كل أموره، فهم قد فعل لهم هذه الأفعال، وصرفوا على هذه التصاريف.

(في مدة الأجل): في زمان الآجال الموقتة لهم(3).

(ومضطرب المهل): المضطرب: موضع الا ضطراب وزمانه، وأراد ها هنا المكان، والمعنى أنهم قد مكثوا في زمان الأجل، وموضع الإمهال لبطلان حجتهم، وفساد عللهم:{لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}[النساء:165].

(فيا): حرف للنداء ومناداه محذوف، تقديره: فياقوم اعجبوا.

(لها أمثالاً): واللام متعلقة باعجبوا، ونصب أمثالاً على التمييز أي من أمثال.

(صائبة): مطابقة للصواب، موافقة للحق.

(ومواعظ): جمع موعظة.

(شافية): فيها الشفاء لأمراض القلوب المعتلة بالإعراض عن الآخرة.

---

(1) في (ب) وشرح النهج: وكشفت عنهم.

(2) في (أ): ويتأنى.

(3) في (ب): له.

(447/2)

(لو صادفت): المصادفة: الملاقاة(1).

(قلوباً زاكية): طاهرة نقية عن الشبهات.

(وأسماعاً واعية): وعى الشيء إذا حفظه، وأراد حافظة لما يُلْقَى إليها ويُقَرُّ في أسماعها.

(وآراءً عازمة): وخواطر لها آراء قاطعة من غير تردد فيما تعزم عليه.

(وألباباً): اللب: العقل.

(حازمة): إما بالجيم من جزم الشيء إذا قطعه، وإما بالحاء أي أخذها بالحزم في جميع أحوالها، وكلاهما جيد ها هنا.

(فا تقوا الله): راقبوه.

(تقية من سمع فخشع): مراقبة من سمع هذه المواعظ والوعيدات، فخشع لها: ذل وخضع.

(واقترف): خالط المعصية واكتسبها غروراًمن نفسه وجهلاً.

(فاعترف): بكونها(2) معصية، وفزع إلى التوبة والإنابة منها.

(ووجل): أشفق وخاف من الله تعالى.

(فعمل): الأعمال الصالحة ليأمن من(3) خوف العقاب ووجله.

(وحاذر): الوقوع من المهلكات.

(فبادر): سارع في العمل بمايصلحه وينجيه.

(وأيقن): بالمجازاة وتحقق أمر(4) الآخرة.

(فأحسن): الخلاص من أهوالها.

(وعُبِّر): في سلوك طريق الحق.

(فاعتبر): بمن سلف قبله من الأمم الماضية، والقرون الخالية.

(وحذّر): من العقاب.

(فازدجر): بهذه الوعيدات، وامتنع من مواقعة القبائح.

(وأجاب): دعاء الحق لما دعاه.

(فأناب): فرجع عن الغي والضلال.

(وراجع): نفسه ما كان منها من المواقعة(5) للمعاصي، والإقدام عليها.

(فتاب): عنها ورجع إلى الصلاح في حاله.

(واقتدى): بأهل الصلاح ومتَّبعي الحق.

(فاحتذى): على مثالهم ونسج على منوالهم.

(وأري): الحق والبصيرة.

(فرأى): فعمل بمقتضى الرؤية في ذلك.

(فأسرع طالباً): فجد في الإسراع لما يطلبه.

---

(1) في (أ): الملاقة.

(2) في (ب): لكونها.

(3) قوله: من سقط من (أ).

(4) في (ب): أحوال.

(5) في (ب): مواقعة المعاصي.

(448/2)

(ونجا هارباً): ونجا(1) بسبب هربه.

(فأفاد ذخيرة): إما استفاد ذخيرة يذخرها لنفسه من الأعمال الصالحة، وذخيرة منصوب على المفعولية، وإما أفاد ذخيرة أي حسنت ذخيرته(2)، وانتصاب ذخيرة على هذا يكون تمييزاً بعد الفاعل.

(وأطاب سريرة): أي طابت سريرته، وَصَفَتْ عما يكدرها ويشينها.

(وعمَّر معاداً): يرجع إليه في الآخرة بما كان منه من فعل الخيرات.

(واستظهر زاداً): أحرزه وجعله وراء ظهره.

(ليوم رحيله): انتقاله من الدنيا إلى الآخرة.

(ووجه سبيله): وجهة طريقه وسمتها.

(وحال حاجته): وفي الحال التي يكون محتاجاً فيها.

(وموطن فاقته): ومكان فقره إلى ذلك واحتياجه إليه.

(وقدم أمامه): فعل الخير.

(لدار مقامه(3)): لمنزل الإقامة الذي لا ظعون عنه ولا رحيل.

(فاتقوا الله عباد الله): فخافوا الله معاشر من اتصف بالعبودية.

(جهة ما خلقكم له): الجهة هي: الوجه، وأراد اتقوا الله، واطلبوا وجه ما خلقكم من أجله، وهو العبادة، كقوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}[الذاريات:56] واجعلوها خالصة لوجهه من غير رياء فيها، ولا مشاركة لغيره.

(واحذروا منه كنه ما حذركم من نفسه): الكنه: نهاية الشيء، وأراد وخافوا من عقابه نهاية الأمر الذي خوفكم من جهة نفسه.

(واستحقوا منه): واطلبوا من عنده بفعل الطاعات.

(ما أعدَّ لكم): ما هيَّأ لكم من الكرامة، والدرجات العالية.

(للتنجز(4) لصدق ميعاده): لأجل تصديق ما وعد به.

(والحذر من هول معاده): والزموا الحذر من فجائع ما أعدَّ لأعدائه في الآخرة.

---

(1) سقط من (أ): قوله: ونجا.

(2) في (ب): ذخرته.

(3) في (أ): المقامة.

(4) في (ب) وفي شرح النهج بالتنجز.

(449/2)

(جعل لكم أسماعاً): حواس تسمعون بها المسموعات.

(لتعي ما عناها): لتحفظ ما أهمَّ بها، من عناه الأمر إذا همَّه، ووقع في نفسه.

(وأبصاراً): حواس تبصرون بها المبصرات.

(لتجلو عن عشاها): العشا: سوء البصر، وأراد لتكون متجلية عما يسوء بصرها، ومنه قولهم: ناقة

عشواء إذا كانت سيئة البصر.

(وأشلاء): جمع شلو، وهو: العضو الواحد من أعضاء الإنسان، وفي الحديث: ((ائتني(1) بشلوها الأيمن)).

(جامعة لأعصابها): العصب التي تربط بين المفاصل، وتلائم بينها، فالشلو مشتمل على العظام والأعصاب.

(ملائمة لأحنائها): الحنو بالكسر: واحد الأحناء، وهي الجوانب، وأراد أنها ملائمة جوانبها.

(في تركيب صورها، ومدد عمرها): أراد أنه جعل الأسماع والأبصار على هذه الكيفية في تركيب صورها العجيبة، وإمدادها بالأعمار الطويلة.

وقوله: في تركيب صورها، جار ومجرور في موضع الحال من الضمير في جعلها، والمعنى جعلها مستوية في صورها.

(بأبدان): الأشلاء موصولة بأبدان.

(قائمة بأرفاقها): الأرفاق هي: المنافع، ومنه قوله تعالى: {وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا}[الكهف:31]، و{وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا}[الكهف:29]، وأراد أنها مستقلة تجلب المنافع إلى أنفسها.

---

(1) في (أ): أبدى، هكذا رسمها الناسخ، والحديث في (ب): ((أنتما شلوها الأيمن))، وفي نسخة أخرى كما أثبته، وكما أثبته هو في مختار الصحاح صـ345، والنهاية لابن الأثير 498/2، ولسان العرب 353/2.

(450/2)

([وقلوب](1) رائدة(2) لأرزاقها): الرائد هو: الذي يطلب الكَلأَ(3)، وفي المثل: الرائد لا يكذب أهله، وأراد أنها طالبة لأرزاقهامن الأماكن التي قدرها الله تعالى لها.

(في مجلّلات نعمه): إما بالجيم أي النعم السابغة العظيمة، من قولهم: مطر مجلل إذا طبق الأرض كلها، وإما بالحاء المهملة أي النعم التي أحلتهم في محالهم وأقرتهم في مواضعهم، أخذاً من قولهم: المحللات(4): القدر، والرحى، والدلو، والشفرة، فمن كانت عنده هذه الأشياء حل حيث شاء، وكلاهما جيد، وروايتنا فيه بالجيم.

(وموجبات مننه): بفتح الجيم أي التي أسقطها في أكفنا تفضلاً منه علينا.

(وحواجز عافيته): الحاجز هو: المانع، وهي جمع حاجزة، وأراد أنا نخوض في العافية التي تحجز عن الألم والفساد.

(وقدّر لكم أعماراً): إما من القدر، وإما من التقدير، والمعنى أنه قضى لكم أياماً تعمّرون فيها

وأحكمها.
(سترها عنكم): حجب العلم بانقطاعها عنكم لما في ذلك من(5) اللطف والحكمة التي استأثر بها.
(وخلَّف لكم عبراً): وجعل العبر خالفة بمن كان قبلكم تنظرون إليها، وتتعظون بها.
(من آثار الماضين قبلكم): مما أثر فيه من مضى من الأمم الماضية والقرون الخالية.

---

(1) زيادة في (ب).
(2) في (أ): رائد، وما أثبته من (ب).
(3) الكلأ: العُشْبُ رطباً كان أو يابساً. (مختار الصحاح ص575).
(4) كذا في النسختين، وفي لسان العرب، وأساس البلاغة، والقاموس المحيط: المحلاّت، قال في اللسان 702/1: فإذا قلت المحلاّت فهي: القدر، والرحى، والدلو، والقربة، والجفنة، والسكين، والفأس، والزند.
(5) قوله: من سقط من (أ).

(451/2)

(من مستمتع خلاقهم): الخلاق هو: النصيب، قال الله تعالى: {مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ}[البقرة:102] أي نصيب، والمستمتع إما مصدر بمعنى الاستمتاع، وإما أن يكون اسماً للمتاع، وإما مو ضع الا ستمتاع ومكانه، فكلها محتملة ها هنا، والمعنى أنه جعل لكم العبر(1) فيمن مضى في أرزاقهم وأماكنهم، وجميع أحوالهم.
(ومستفسح(2) خناقهم): وزمان حياتهم، وعنى بالخناق الموت.
(أرهقتهم المنايا دون الآمال): أرهقه أي أغشاه، قال الله تعالى: {فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا [وَكُفْرًا](3)}[الكهف:80] أي يغشيهما، وأراد أن المنايا غشيتهم وركبتهم فحالت دون الآمال التي أمَّلوها، وقطعتهم عنها.
(وشذَّ بهم عنها تخرم الآجال): الشذوذ هو: البعد، وفي الحديث: ((من شذ شذ في النار))(4) أي من بعد عن الحق وزال عنه، وأراد أنه بعد بهم عن إحراز مآلهم(5) عروض الآجال القاطعة عن ذلك، والحائلة دونه.
(لم يمهدوا في سلامة الأبدان): المهد هو: الإصلاح والتوطئة، وأراد أنهم لم يجتهدوا(6) في إصلاح أديانهم واغتنام فعل الخيرات في زمان صحة الأبدان عن العوارض.
(ولم يعتبروا في أُنُف الأوان): أَنْفُ كل شيء: أوله، وجمعها أُنُفٌ، وأراد أنهم لم ينقدح لهم الاعتبار في أول زمانهم، وصدور أيامهم فيحصل الاتعاظ والزجر.

(1) في (ب): العبرة.

(2) في (ب): ومستفتح.

(3) زيادة في (ب).

(4) أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي 325/8، وعزاه إلى مستدرك الحاكم 115/1، والأسماء والصفات للبيهقي 322، والدر المنثور للسيوطي222/2.

(5) في نسخة: أمالهم.

(6) في (أ): لايجهدوا، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(452/2)

(فهل ينتظر أهل بضاضة الشباب): رجل بضٌّ إذا كان ممتلئاً ناعم الجسم، والبضاضة للشباب هي: رونقه وطلاوته، وأراد ما يترقب أهل البضاضة إلا عكسها.

(إلا(1) حواني الهرم): رجل أحنى وامرأة حنواء إذا احدودب ظهرهما من الكبر؛ لأن صعدة(2) الظهر تضعف فيكون سبباً لانعطاف الظهر.

(وأهل غضارة الصحة): الغضارة: طيب العيش، وأراد ما ينتظر أهل المعيشة الطيبة.

(إلا نوازل السقم): نوازل الأمور: شدائدها(3) وعظائمها.

(وأهل مدة البقاء): ومن كان باقياً على وجه الأرض.

(إلا آونة الفناء): وقت الفناء وزمانه، والآونة جمع أوان كزمان وأزمنة، قال أبو زبُيد(4):

حَمَّال أَثْقَالِ أهلِ الودِّ آونةً .... أُعْطِيْهُم الجهدَ مني بَلْه مَا أَسعُ(5)

(مع قرب الزيال): زال عن مكانه يزول زوالاً وزيالاً إذا بَعُدَ عنه.

(وأزوف الانتقال): أزف الأمر إذا قرب ودنا، وأراد سرعة الزوال والنقلة إلى الآخرة.

(وعلز القلق): القلق هو: الفشل والانزعاج، والعلز: خفة وضيق نفس تصيب الإنسان عند الأمراض والأوصاب، يقال: مات فلان علزاً إذا ضاقت نفسه وذهب نومه.

(وألم المضض): مضَّه الجرح وأمضَّه إذا أوجعه، حكاهما ثعلب.

قال الأصمعي: يقال: أمضني لا غير.

---

(1) في (ب) وفي شرح النهج: إلا، كما أثبته، والعبارة في (أ): من حواني الهرم.

(2) الصعدة: القناة المستوية.

(3) في (أ): شديدها، وما أثبته من (ب)، ومن نسخة أخرى.

(4) في (ب): أبو زيد وهو تحريف، وأبو زُبيد: هو المنذر بن حرملة الطائي القحطاني، المتوفى نحو سنة 62هـ، شاعر معمَّر، من نصارى طي، عاش زمناً في الجاهلية، وأدرك الإسلام ولم يسلم، وله ديوان شعر مطبوع، (انظر الأعلام 293/7).
(5) لسان العرب (135/1).

(453/2)

(وغَصص الجرض): الغَصص بفتح الفاء هو: همٌّ وغمٌّ، والجرض: الريق يغص به، يقال: جرض بريقه إذا ازدحم في حلقه ومنعه النفس.

(وتلفت الاستغاثة): أراد الالتفات؛ لأن الإنسان إذا أفزعه أمر ونزلت به فجيعة فإنه يلتفت يميناً وشمالاً(1) لتفريج ما هو فيه وإساغة غصته.

(بنصرة الحفدة): بإغاثة الأعوان والخدم وهم الحفدة، وقيل: هم أولاد الأولاد جمع حافد، وهو قليل في جمع فاعل إذا كان اسماً، وهو كثير في الصفة منه كالكفرة والفجرة.

(والأقرباء): جمع قريب، ويحتمل أن يكون جمع أقرب على غير قياسه، وكأنه محمول على جمع(2) أهوناء في جمع هين.

(والأعزة والقرباء(3)!): الأعزة: جمع عزيز، قال الله تعالى: {وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً}[النمل:34] والقرباء: جمع قريب كيسراء(4) في جمع يسير.

(فهل دفعت الأقارب): عنهم هذه النوازل.

(أو نفعت النواحب): الناحبة هي التي ترفع صوتها بالبكاء، وجمعها نواحب، وأراد هل عادت عليهم بواكيهم بشيء من النفع بحال.

(وقد غودر): أي ترك، والمغادرة: الترك.

(في محلة الأموات رهيناً): في منزل الأموات وحطتهم مرتهناً بذنوبه.

(وفي(5) ضيق المضجع): وفي المكان الضيق لمن يضطجع فيه.

(وحيداً): منفرداً عن الأهلين والأولاد.

(قد هتكت الهوام جلدته): الهتك: الخرق، ومنه قولهم: هتك ستره إذا خرقه، والهوام: جمع هامة، وهو ما يخاف أذاه من الحر شات، وأراد قد خرقت الحرشات ما فوق اللحم من الجلدحتى وصلت إليه.

---

(1) في (أ): شمالاً ويميناً.
(2) قوله: جمع، زيادة في (ب).
(3) في شرح النهج: والقرناء.

(4) في (أ): كيسر، والصحيح: كيسراء، كما أثبته من (ب).

(5) في (ب): في بدون واو.

(454/2)

(وأبلت(1) النواهك جِدَّتَهُ): نهكه المرض ونهكته الحمى إذا نقصت جسمه، وفي الحديث: ((انهكوا الأعقاب أو لتنهكنَّها(2) النار)) أي بالغوا في غسلها، وأراد وأخلقت الأمور النواهك البالغة في القطع كل مبلغ ما كان جديداً منه.

(وعفت العواصف آثاره): عفا المنزل يعفو إذا اندرس، يتعدى ولا يتعدى.

قال:

أَهاجكَ رَبْعٌ دَارِسُ الرَّسْمِ باللِّوى .... لأَ سْمَاء عَفَّى آَيَهُ الْمَوْرُ والقَطْرُ(3)

والعواصف هي: الريح، وأراد ودرست الرياح ما كان من علاماته.

(ومحا الجديدان(4)): الليل والنهار.

(معالمه): ما يعلم من معاهده.

(وصارت الأجساد شحبة): أي متغيرة من تطاول عهدها في التراب، قال النمر بن تولب(5):

وفي جِسْمِ رَاعِيْهَا شُحُوبٌ كأنَّهُ .... هُزالٌ وما مِنْ قِلَّةِ الطَّعمِ يُهْزَلُ(6)

(بعد بضتها): رونقها وطلاوتها.

(والعظام نخرة): ضعيفة فاسدة.

(بعد قوتها): صلابتها لما أحييت(7) به من الحياة.

(والأرواح مرتهنة): مجعولة رهائن.

---

(1) في (أ): أوبلت، وما أثبته من (ب)، ومن نسخة أخرى.

(2) في (أ): لئلا تنهكها، وما أثبته من (ب)، ومن نسخة أخرى، والحديث أورده ابن الأثير في النهاية (137/5)، وابن منظور في لسان العرب (732/3).

(3) لسان العرب 829/2، بدون نسبة إلى قائله.

(4) في النهج: الحدثان.

(5) هو النمر بن تولب بن زهير بن أقيش العلكي، المتوفى نحو سنة 14هـ، شاعر مخضرم، عاش عمراً طويلاً في الجاهلية، لم يمدح أحداً ولا هجا وكان من ذوي النَعمة والوجاهة، جواداً وهَّاباً لماله، أدرك الإسلام وهو كبير السن، وله ديوان شعر مطبوع (الأعلام 48/8).

(6) لسان العرب 275/2.

(7) في نسخة: اختصت، وفي (ب): اختلت.

(455/2)

(بثقل أعبائها): العبء: الحمل، وجمعه أعباء، قال زهير:

الحامل(1) العبء الثقيل عن الـ .... جاني بغير يدٍ ولا شُكْرٍ(2)

وأراد أنها مرتهنة عنده بثقل أحمالها التي تحملته(3) من الذنوب، والآصار في الدنيا.

(موقنة): متحققة بأن باعثها ومنشرها(4) محيط عالم.

(بغيب أنبائها): بأخبارها المغيبة التي لا يعلمها سواه، فهي ميتة.

(لا تستزاد من صالح عملها): لا يطلب منها الزيادة على ما كان أسلفته في الدنيا من الأعمال الصالحة لاستحالة ذلك منها وبطلانه.

(ولا تستعتب): الاستعتاب: طلب الرضى لخالقها.

(من سيء زللها): من زلاتها التي قد أقدمت(5) عليها في الدنيا.

(أو لستم أبناء القوم والآباء(6)): الا ستفهام ها هنا معناه التقرير، كقوله تعالى: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ}[الشرح:1]، واللام في القوم والآباء هي لام العهد، وأراد ألستم أبناء القوم الذين وصفنا حالهم وآباءهم(7).

(وإخوانهم والأقرباء؟): وأهل الأخوة لهم، وأصحاب القرابة.

(تحتذون أمثلتهم): تقتدون الأمثلة التي وضعوها، والأمثلة جمع مثال.

(وتركبون قِدتهم): القدة بكسر القاف هي: الطريقة، وأراد تسيرون طرائقهم(8)، قال الله تعالى: {كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا}[الجن:11] أي ذوي أهواء مختلفة.

---

(1) قول زهير في (أ) هكذا: العبء الثقيل عن الجاني ولا شكر، وما أثبته من (ب).

(2) لسان العرب 661./2

(3) في (أ): تحمله، وما أثبته من (ب)، ومن نسخة أخرى.

(4) في (أ): وميسرها، وما أثبته من (ب)، ومن نسخة أخرى.

(5) في (أ): قد قدمت.

(6) في (أ): والأبناء.

(7) في (أ): وآثارهم.

(8) في (أ): طريقهم، وما أثبته من (ب)، ومن نسخة أخرى.

(وتطَؤُون جادتهم): الجادة هي: أوسط الطريق، أراد وتسلكون طريقتهم.

(فالقلوب قاسية): معرضة لصلابتها فهي كالحجارة أو أشد قسوة.

(عن حظها): عن أخذ حظها من المواعظ، والانتفاع بها.

(لا هية عن رشدها): إما ذات لهو، كقولهم: عيشة راضية، وإما أنها مشتغلة باللهو فاعلة له.

(سالكة في غير مضمارها): سائرة في غير طريقها التي أمرت باتباعها وسلوكها.

(كأن المعني سواها): مشبها(1) حالها في إعراضها وتماديها في الغفلة عمَّا يراد بها بحال من تخاطبه وأنت تريد غيره.

(وكأن الرشد في إحراز دنياها): وكأن الرشد الذي أمرت باتباعه وإحرازه إنما هو في طلب الدنيا وادخارها لكثرة ملا حظتهم لها وإكبابهم على تحصيلها.

(واعلموا أن مجازكم): طريقكم التي تسلكونها.

(على الصراط): الذي هو أدقُ من الشعر، وأحدُّ من السيف.

(مزالق(2)): لا تثبت عليها الأقدام لملا ستها.

(دحضة): يَزِل عنها [من وطئها] (3)، من قولهم: دحض المذبوح برجله إذا ركض بها.

(وأهاويل): جمع أهوال، والهول هو: الأمر الشديد الذي يهول من رآه أي يفزعه.

(زلله): عظيمة، لا تستقر لها العقول لفخامتها.

(وتارات هائلة(4)): التارة: المرة الواحدة من الفجائع، قال : فالويل تاراً والثبور تاراً، من قولهم: عرق تيار إذا كان سريع الجرية بالدم، وأراد أنهم يلاقون فيه الأهوال مرة بعد أخرى.

(فاتقوا الله تقية ذي لب): فراقبوه مراقبة ذي عقل.

(شغل التفكر قلبه): فليس يلتفت إلى غيره، ولا يكون مصغياً إليه.

---

(1) في (ب): شبه.

(2) في (ب) وشرح النهج: ومزالق.

(3) سقط من (ب).

(4) في شرح النهج: وتارات أهواله.

(وأنصب الخوف بدنه): النصب: التعب والمشقة، وأراد أنه أتعب نفسه بما كلَّفها في الأعمال الشاقة خوفاً من العقاب.

(وأسهر التهجد غرار نومه): التهجد هو: إزالة الهجود، كما قال تعالى: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً}[الإسراء:79] أي جانب به هجودك، وغرار السيف: شفرتاه، وكل شيء له حد فهو غرارة، وأراد وأسهر مجانبة النوم حد نومه وأذهبه.

(وأظمأ الرجاء هواجر يومه): الظمأ هو: العطش، والهاجرة هي: وسط النهار، وأراد أن الرجاء هو الذي أظمأه وهواجر(1) يومه لما قطعها بالصوم والعبادة.

(وظلف الزهد شهواته): ظلف نفسه عن الشيء إذا منعها منه، قال:

لقد أُظْلِفُ النفس عن مَطْعَمٍ .... إذا ما تَهَافَتَ ذِبَّانُه(2)

وهو بظاء بنقطة من أعلاها،وأراد أن الزهد في الدنيا ولذاتها هو الذي منعه من قضاء شهواته.

(وأوجف الذكر بلسانه): الوجيف: ضرب من السير للإبل والخيل، قال الله تعالى: {فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ}[الحشر:6] وأراد وأسرع الذكر بلسانه كإسراع السير الوجيف.

(وقدَّم الخوف لأمانه): أراد أنه قدَّم الخوف في الدنيا فسارع في فعل الخيرات من أجل أمانه في الآخرة {أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}[يونس:62].

(وتنكَّب المخالج عن وضح السبيل): تنكَّبه إذا تجنبه، وخلجه أي جذبه، وأراد أنه تجنب ما يجذبه عن وضح السبيل أي محجته، والمخالج: جمع مخلج، والوضح: الضوء، والوضح: الدرهم، وجميعها دالة على الظهور.

---

(1) في نسخة أخرى: في هواجر يومه.

(2) لسان العرب 647/2 بدون نسبة إلى قائله.

(458/2)

(وسلك أقصد(1) المسالك): قصد إذا عدل، وقصد إذا جار وهو من الأضداد، وأراد ها هنا وسار أعدل الطرق وأقومها.

(إلى النهج المطلوب): النهج والمنهاج كلها بمعنى واحد، وهي: الطريق الواضحة المقصودة، قال العبدي:

ولقد أضاء لك الطريقَ وأنهجت .... سبلَ المسالك(2) والهدى(3) يعدي

أي تقوَّى وتعيَّن.

(ولم تفتله فاتلات الغرور): الغرور بالضم هو الاسم، والمصدر منه الاغترار من اغتر به اغتراراً،

وأراد ما يغتر به من متاع الدنيا، والمعنى في هذا هو أن المهلكات بالغرور لم تفتله بغررها وهو بالفاء.

(ولم تعم عليه مشتبهات الأمور): أراد ولم تلتبس عليه مصادر دينه وموارده فيكون أعمى لأجل ورود الشبه عليه، وعنى بذلك نفوذ بصيرته وتحققه لما هو بصدده.

(ظافراً بفرجة(4) البشرى): الفَرجة بالفتح هو: التفصي(5) من الهمِّ وإزالة الغمِّ(6)، قال أمية بن الصلت(7):

---

(1) في نسخة، وفي (ب): أُقصد كما أثبته، وفي (أ): أقصر، وكتب فوقها: في نسخة: أقصد.

(2) في (ب): المهالك.

(3) البيت في أساس البلاغة (ص474) ونسبه فيه إلى يزيد بن حذاق الشني. وانظر لسان العرب 727/3.

(4) في شرح النهج: بفرحة.

(5) التفصي: التخلص من المضيق والبلية.

(6) في (أ): وأواله العمر، وهو تحريف.

(7) في (ب): أمية بن أبي الصلت، وهو أمية بن عبد الله بن أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي، المتوفى سنة 5هـ، شاعر جاهلي حكيم، من أهل الطائف، قدم دمشق قبل الإسلام، وكان مطلعاً على الكتب القديمة، وحرَّم على نفسه الخمر، ونبذ عبادة الأوثان في الجاهلية، وتردد في الإسلام، توفي بالطائف (معجم رجال الاعتبار ص53).

(459/2)

ربما تكرهُ النفوسُ من الأمرِ .... له فَرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ(1)

والفُرجة بالضم: فرجة الحائط، والأول هو مراده؛ لأن غرضه أنه قد ظفر بفرجة(2) البشارة، هذا(3) فيمن يرويها بالجيم، وأما من رواها بالحاء المهملة فأراد ظافراً(4) بسرور البشارة بالخير من الله تعالى.

(وراحة النعماء(5)): ولذة النعيم في الدار الآخرة.

(في أنعم نومه): لأنه لا يخاف فيه تكدير السهر، ولا يلحقه تنغيص به.

(وآمن يومه): إذ لا يخاف فيه فزعاً كغيره من أيام الدنيا.

(قد عبر معبر العاجلة حميداً): قد خرج من الدنيا بالموت وآثاره محمودة بما أحرزه من الأعمال الصالحة.

(وقدّم زاد الآجلة سعيداً): وهيَّأ التقوى، وهي زاد(6) الآخرة فسعد بذلك.

(وبادر من وجل): وعجل بأعماله من أجل خوفه ووجله، إما من العقاب، وإما من الموت عن أن يقطعه عن ذلك.

(وأكمش في مهل): الإكماش هو: الإسراع، وأراد وأسرع، إما في مهل عمره ومدته، وإما في تؤدة وتأن وتبصر وتحقق.

(ورغب في طلب): رغب في الشيء إذا أراده، قال النمر بن تولب:

وإذا تُصِبْكَ خَصَاصَةٌ فاصْبِرْ لَهَا .... وإلى الذي يُعْطِي الرَّغَائبَ فارغبِ(7)

---

(1) أورد البيت ابن هشام الأنصاري في شذور الذهب ص 132 من بيتين وهما:

لا تضيقن بالأمور فقد تُك .... شف غمَّاؤها بغير احتيال

ربما تكره النفوس من الأم .... ر له فرجة كحل العقال

وكما في شذور الذهب هو في لسان العرب 1066/2.

(2) في (ب)، وفي نسخة أخرى: بفرج.

(3) في (ب): وهذا.

(4) في (ب): فأراد أنه ظافر.

(5) في النهج: النعمى.

(6) في (أ): دار، وهو تحريف، والصواب ما أثبته من (ب).

(7) أورد البيت في لسان العرب 1189/1 من بيتين للنمر بن تولب هما:

لا تغضبن على امرئ في ماله .... وعلى كرائم صلب مالك فاغضب

ومتى تصبك خصاصة فارج الغنى .... وإلى الذي يعطي الرغائب فارغب

(460/2)

وأراد أن الرغبة إذا حصلت مع الطلب كان أدعى ما يكون للفعل وأقرب شيء في حصوله ووجوده.

(وذهب عن هرب): الذهاب هو: المرور، وأراد أنه عجل في المرور هارباً؛ لأن الواحد إذا فر هارباً كان أعظم ما يكون للسرعة في الذهاب، وأراد في الأول المبالغة في طلب الجنة، وفي الثاني الفرار من النار.

(وراقب في يومه غده): أراد باليوم الدنيا، وأراد بالغد الآخرة، والمعنى فيه أنه رصد(1) في الدنيا بالإعداد لفعل الخير للآخرة، وأراد بالترقب الخوف، أوأراد بالترقب الانتظاروكله محتمل.

ولله در كلام أمير المؤمنين، فما ألطف معانيه، وأكثر فوائده، وأغزر أسراره.

(ونظر قُدُماً أمامه): مضى قدماً أي لم يعرج على شيء، وقُدُماً بضمتين منصوب على الحالية أي متقدماً، قال الشاعر يصف امرأة فاجرة:

تمضي إذا زُجِرت عن سوءة قُدُماً .... كأنَّها هَدَمٌ في الجفْر مِنْقَاضُ(2)

---

(1) في (ب): أرصد.

(2) لفظ البيت في (أ) هكذا:

تمضي زجرت عن سؤة قدماً .... كأنها هدم في الجفر منقاة_ ... _وما أثبته من شرح النهج لابن أبي الحديد 267/6، ومن (ب)، ومن نسخة أخرى، وقال في لسان العرب 37/3: وهذا البيت أنشده ابن السيرافي عن ابن دريد مع أبيات وهي:

قد رابني منك يا أسماء إعراضُ .... فدام منا لكم مقت وإبغاضُ

إن تبغضيني فما أحببتُ غانيةً .... يروضها من لئام الناس روَّاضُ

تمضي إذا زجرت عن سوأة قُدُماً .... كأنها هَدَمٌ في الجفر منقاضُ

قل للغواني أما فيكنَّ فاتكةٌ .... تعلو اللئيم بضرب فيه إمحاضُ

(461/2)

والهدم: جانب البئر(1) المنهدم، وأراد أنه مقبل على عمل(2) الآخرة، غير معرج على غيرها.

(فكفى بالجنة): أراد أنها هي النهاية في الكفاية.

(ثواباً): على الأعمال وجزاء عليها.

(ونوالاً!): عطاءً من الله تعالى.

(وكفى بالنار): أي هي النهاية في الكفاية.

(عقاباً): على الأعمال السيئة وجزاء عليها.

(ووبالاً!): ثقلاً ووخامة، من قولهم: وبل المرتع وبلاً ووبالاً إذا كان وخيماً ثقيلاً.

(وكفى بالله): أي هو الكافي.

(منتقماً): لأعدائه أي معاقباً لهم.

(ونصيراً!): لمن كان من أوليائه في الدنيا بالغلبة والقهر، وفي الآخرة بالإثابة بالجنة.

(وكفى بالكتاب): القرآن.

(حجيجاً): قائماً بالحجة.

(وخصيماً!): مخاصماً لمن خالف أحكامه.

(أوصيكم عباد الله): من كان عبداً لله على الحقيقة، عاملاً بطاعته.

(بتقوى الله): باتقائه في جميع الأحوال كلها.
(الذي أعذر): قطع المعذرة فلا عذر لأحد في فعل طاعته، وسلوك طريقها.
(بما أنذر): بما قدم من النذر بالأنبياء والكتب.
(واحتج): وأقام الحجه.
(بما نهج): أوضح من المناهج والأعلام البينة.
(وحذركم عدوّاً): وقدم إليكم التحذير(3) من عدو، وإنما نكَّره لمزيد المبالغة في عداوته، كأنه قال: أحذركم عدوّاً وأي(4) عدو وعظم حاله:

---

(1) في النسختين: المنبر، والصواب كما أثبته، وانظر لسان العرب 784/3.
(2) في (ب): أعمال.
(3) في (ب): بالتحذير.
(4) في (ب): أي بدون واو.

(462/2)

(نفذ في الصدور خفياً(1)): نفذ إذا جاوز من قولهم: نفذ السهم من الرمية إذا جاوزها، وأراد أنه نفذ حتى بلغ الصدور، وانتصاب خفياً، إما علىالحال أي نفذ خافياً بمكره وخدعه، وإما على أنه صفة للمصدر أي نفذ نفوذاً خفياً.
(وبعث في الآذان نجياً): بعث أي أرسل، كقوله تعالى: {وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ}[الشعراء:36] وانتصاب نجياً، إما على المفعولية، ويكون نجياً، إما بمعنى النجوى، وإما بمعنى الجماعة، وأراد [أنه] (2) أرسل نجواه بالخدع والمكر، وإما أرسل جماعة بعد جماعة للوسوسة، كما قال تعالى: {خَلَصُوا نَجِيًّا}[يوسف:80] أي جماعات، ويحتمل أن يكون منصوباً على الحال أي بعث مناجياً ينفث في الصدور بوسواسه.
(فأضل): عن الطريق الواضحة.
(وأردى): من الردى وهو الهلاك لمن اتبعه.
(ووعد): الأكاذيب وزخرفها.
(ومنَّى): الأماني الباطلة.
(وزيَّن سيئات الجرائم): حسَّنها لمن فعلها، وسهّل الأمر فيها لمن ارتكبها، والسيئات: جمع سيئة، والجرائم: جمع جريمة وهي: الأفعال القبيحة.
(وهوّن موبقات العظائم): وبق يبق(3) وبوقاً، إذا هلك قال الله تعالى: {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ

مَوْبِقًا}[الكهف:52] والموبقة: الفعلة المهلكة وجمعها موبقات، وأراد مهلكات الأفعال العظائم.

(حتى إذا استدرج قرينته): الاستدراج هو: الاستدناء باللطف والتقريب، والقرينة هي: النفس، وأضافها(4) إليه لما له فيها من الملابسة بانقيادها له، وإسراعها إلى مراضيه.

---

(1) في (أ): خفيفاً، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(2) زيادة في (ب) وفي نسخة أخرى.

(3) في (أ): يوبق، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(4) في (أ): وإضافتها.

(463/2)

(واستغلق رهينته): غلق الرهن غلقاً إذا أخذه المرتهن لا متناع الراهن عن افتكاكه، وفي الحديث: ((لا يغلق الرهن))(1) قال زهير:

وفارقتك بِرَهْنٍ لا فكاك له .... يوم الوداع فأمسى الرهنُ قد غُلِقَا(2)

أراد أن الشيطان إذا استحكم أغواه وظفر بما رجا منهم.

(أنكر مازين): حجد ما فعل من التزيين من الأفعال القبيحة.

(واستعظم ما هوَّن): من الكفر بالله والتكذيب برسله.

---

(1) أخرج نحوه الإمام أحمد بن عيسى في أماليه 154/3 بسنده عن سعيد بن المسيب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((الرهن لا يغلق، له غنمه، وعليه غرمه))، وبلفظ المؤلف هنا رواه الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام في أصول الأحكام (تحت الطبع)، وهو في أنوار التمام في تتمة الاعتصام للعلامة أحمد بن يوسف زبارة 193/4، وعزاه إلى الدارقطني والحاكم، وص194، وعزاه إلى ابن ماجة، وإلى المنتخب للإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسينعليه السلام لأمير المؤمنين عليه السلام، والحديث أيضاً في نهاية ابن الأثير 379/3، وقال في شرحه ما لفظه: يقال: غلق الرهن يغلق غلوقاً، إذا بقي في يد المرتهن لا يقدر راهنه على تخليصه، والمعنى أنه لا يستحقه المرتهن إذا لم يستفكه صاحبه، وكان هذا من فعل الجاهلية أن الراهن إذا لم يؤدِّ ما عليه في الوقت المعين ملك المرتهن الرهن، فأبطله الإسلام. انتهى.

(2) لسان العرب 1007/2.

(464/2)

(وحذّر ما أمَّن): وخوّف ما كان قد أمنّهم منه وهو العقاب، وذلك إنما يكون منه إما في القيامة، وإما بعد الفراغ من المعصية، كما حكى الله تعالى عنه في قوله: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ...}إلى آخر الآية[إبراهيم:22].

(أم هذا الإنسان): أم هذه هي المنقطعة، وهي بمعنى بل، وأراد بل هذا، وهو إعراض عن الكلام الأول والتفات إلى كلام آخر، ويرد في الاستفهام كقولك: أزيد عندك أم بكر في الدار، وفي الخبر كقوله تعالى: {أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ}[الزخرف:52] وكما وقعت في كلامه هذا، والمعنى بل انظروا في أعجب من هذا كله وهو خلق الإ نسان فإن فيه من لطائف الحكمة وعجائب الصنعة، ما تقصر [عن](1)حصر أسراره، وإدراك معانيه القوى البشرية، وعنى بالإنسان هو هذا المدرك علىهذه الصفة الصورة المخصوصة المعبر عنه بأنا وأنت، وهو خلاف لما يزعمه الفلاسفة من أن الإنسان هو أمر آخر مغاير لهذه البنية ليس جسماً ولا عرضاً، وقد ذكرنا كلامهم في الكتب العقلية ورددنا عليهم هذه المقالة، ونصرنا ما عوّل عليه علماء الدين من أهل الإسلام والحمدلله.

(الذي أنشأه): ابتدأه واخترعه.

---

(1) زيادة في (ب)، وفي نسخة أخرى.

(465/2)

(في ظلمات الأرحام): أراد بذلك خلق بني(1) آدم، وإنما لم يذكر ابتداء خلقه آدم [عليه السلام](2)؛ لأنه قد ذكره في خطبة قبل هذه قد مرت وشرحنا كلامه هناك، فلهذا لم نكرره وشرع في وصف خلقه الآدميين والظلمات هي ثلاث كما قال تعالى: {فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ}[الزمر:6]: ظلمة الرحم، وظلمة البطن، وظلمة المشيمة، وهي التي تكون فيها الأجنة.

(وشغف الأستار): الشغف: جمع شغاف وهي: حجاب القلب، وأراد والشغف الساترة(3) له.

(نطفة): منياً مصبوباً في الرحم.

(دهاقاً): دهقت الماء وأدهقته إذا أفر غته بشدة وعنف، وأراد بذلك سرعة انصباب الماء في الرحم، كما قال تعالى: {خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ}[الطارق:6] يشير إلى ذلك.

(وعلقة): ثم كان بعد النطفة علقة نحيفة صلبة(4)، وهو الطور الثاني من أطوار الخلقة.

(محاقاً): ممحقة متلاشية، أخذاً لها من محاق الهلال، قال أبو عمرو بن العلاء: الامحاق أن يهلك

الشيء كمحاق الهلال(5)، والرواية فيه(6) بضم الميم وكسرها(7).

(وجنيناً): حاصلاً في البطن ومستتراً به.

(وراضعاً): ومتلقماً(8) لثدي أمه يغتذي به.

(ووليداً): مولوداً على وجه الأرض.

(ويافعاً): مرتفعاً عن سن الطفولية، من قولهم: غلام يافع ويفعة إذا كان مرتفعاً.

---

(1) قوله: بني سقط من (أ).

(2) سقط من (ب).

(3) في (ب): الساتر.

(4) في (ب): مجيفة ضئيلة.

(5) لسان العرب 446/3، ولفظ عبارة أبي عمرو فيه: الامحاق أن يهلك المال أو الشيء كمحاق الهلال.

(6) قوله: فيه سقط من (أ).

(7) في (ب) وفي نسخة أخرى: دون كسرها.

(8) في (ب) وفي نسخة أخرى: ملتقماً.

(466/2)

سؤال؛ أراه ها هنالم يذكر أطوار الخلقة الإنسانية كما ذكرها الله تعالى في قوله: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً...}[المؤمنون:12-14]إلى آخر الأطوار التي ذكرها، واقتصر ها هنا على ذكر بعضها؟

وجوابه؛ هو أنه عليه السلام اقتصر على ذكر طرفين منها واضحين، فيهما دلالة على كمال القدرة وعجيب الحكمة، فذكر:

الطور الأول: وهو كونه نطفة وعلقة، ثم الطور الثاني(1): وهو كونه غلاماً يَفَعَةَ(2)، وفيهما تنبيه على ما بينهما من الوسائط، كما قال تعالى في آية أخرى: {انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ}[الأنعام:99] فذكر طرفين وأهمل ذكر ما بينهما من هذه الوسائط منبهاً عليها بذلك.

(ثم منحه): أعطاه على سبيل الهبة.

(قلباً حافظاً): يحفظ ما أودع فيه من العلوم الحكمية والأنظار الفكرية.

(ولساناً لافظاً(3)): ولحمة يتكلم بها، وجعل فيها ثلاثين(4) مخرجاً لهذه الأحرف ينفث السحر بها، ويلتقط الدر من أجلها، ويصوغ بها ديباج الكلام وحلله.

(وبصراً لاحظاً): اللحظ هو: حركة العين، يقال: لحظه بعينه إذا صوَّب حدقته نحوه.

(ليفهم معتبراً): ليكون فاهماً على جهة الاعتبار والتذكر لمن سلف قبله.

---

(1) في (ب): الآخر.

(2) غلام يَفَعَةٌ ويافع وأفعة ويفع أي شاب. (لسان العرب 1014/3).

(3) في (ب): ناطقاً.

(4) قوله: ثلاثين سقط من (ب).

(467/2)

(ويقصِّر مزدجراً): وينقّص عن التسوفات(1) التي تدعو إليها النفس على جهة الانكفاف، والازدجار بالوعيدات الشرعية، فقد ركَّبه الله تعالى على هذه الخلقة، وأنشأه في هذه الأطوارليكون مزدجراً معتبراً.

(حتى إذا أقام اعتداله): سوَّى تركيبه وعدله، كما قال تعالى: {فَعَدَّلَكَ، فِي أَيِّ صُورَةٍ}[الإنفطار:7-8].

(واستوى مثاله): أي شبحه وتمثلت صورته، كما قال: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[التين:4].

(نفر مستكبراً): أدبر على جهة الاستكبار طالباً للتكبر والعلو.

(وخبط سادراً): السادر هو: الذي لايبالي بما صنع، وأراد أنه مشى من غير التفات متبختراً مختالاً.

(ماتحاً في غرب هواه): الماتح هو: الذي ينزع الماء، والغرب هو: الدلو العظيمة، وأراد أنه منكب على متابعة هواه ومنقاداً له.

(كادحاً سعياً لدنياه): الكدح هو: العمل بجد ومشقة على النفس، وأراد أنه يكدح طلباً للدنيا من غير احتفال بالآخرة، وانتصاب سعياً إما مفعول له أي من أجل السعي للدنيا، وإما على الحال أي ساعياً.

(في لذات طربه): أي أنه يدأب في تحصيل شهواته وإنفاذ أغراضه وحاجاته.

(وبدوات أربه): وما يبدو من أوطاره(2) ومراداته.

(ثم لا يحتسب رزية): ثم مع ذلك لايحتفل بما يرزأه من فوات دينه، ولا يلتفت(3) إلى وقوع الرزايا التي تفزعه لانهماكه في لذاته.

(ولا يخشع تقية): ولا يلين قلبه إتقاء لله تعالى وخوفاً منه، فبعد هذه الحالات وإعراضه عن جميع ما يلحقه من التبعات.

---

(1) في (ب): التسويفات، وفي نسخة أخرى: التشوقات.

(2) الأوطار جمع الوطر وهو الحاجة.

(3) في (ب): أي ولا يلتفت.

(468/2)

(فمات في فتنته غريراً): في هذه الحالات(1) التي افتتن بها غافلاً مغتراً عما لا يعذر في الغفلة عنه.

(وعاش في هفوته(2) يسيراً): وأقام في الحياة على هذه السقطة التي غبن(3) فيها أياماً قليلاً ومدة يسيرة.

(لم يُفِد عوضاً): لم يحرز عوض ما فات عنه من أعمال الآخرة بما كان منه من تعجيل طيبات الدنيا.

(ولم يقض مفترضاً): ولم يؤدّ ما افترض الله تعالى من هذه الواجبات.

(دهمته فجَعَاتُ المنية): فاجأته فجائع الموت، وهو ما يحسُّه الإنسان عند تحققه بخروج(4) نفسه، وفجعات: جمع فجعة.

(في غبَّر جماحه): الغبَّر هو: بقايا الشيء، يقال: غبَّر الحيض وغبِّر المرض أي بقاياه، وأراد أنها أتته الفجائع بالموت وهو على بقية(5) من جماحه، وجمح الفرس جموحاً إذا غلب صاحبه على رأسه، والجموح من الرجال هو: الذي يركب هواه فلا يمكن رده عنه، قال الشاعر:

خَلَعْتُ عِذاري جامحاً ما يردّني .... عن البيضِ أمثال الدُّمى زَجْرُ زَاجِرِ(6)

(وسَنَنِ مراحه): المرح هو: شدة الفرح والنشاط، والسنن هو: الوجه والطريقة، يقال: امض على سَنَنَكِ أي على وجهك وطريقتك التي أنت عليها، وأراد على طريقته في الفرح والنشاط.

(فظل سادراً): أي أقام على ما هوعليه من غير التفات ولامبالاة.

(وبات ساهراً في غمرات الآلام): قد زال نومه مما اعتراه مما(7) يغمره من شدة ما يلم به من الأوجاع والأوصاب.

---

(1) في (ب): الأحوال.

(2) في (أ): هفواته، وفي (ب) وشرح النهج وفي نسخة أخرى كما أثبته.

(3) أي خدع.

(4) في (أ): لخروج.

(5) في (أ): تقية، وما أثبته من (ب). ومن نسخة أخرى.

(6) لسان العرب 493/1، بدون نسبة إلى قائله، وقوله هنا: ما يردني، في اللسان: لا يردني.
(7) في (ب): ما.

(469/2)

(وطوارق الأوجاع والأسقام): الطوارق هي: التي تطرق الإنسان أي تأتيه، أخذاً من قولهم: أتانا طروقاً إذا أتى بالليل.

وفي الحديث: ((نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتي الرجل أهله طرقاً وطروقاً))(1) أي بالليل من غير شعوربه، وأراد مايأتي من حوادث الأمراض والبلايا.

(بين أخ شقيق): إنما قيل للأخ: شقيق لأنه هو وأخوه اشتقا من أصل واحد، وهو الأب والأم.

(ووالد وولد شفيق): مشفق عليه من الموت أن يناله.

(وداعية بالويل جزعاً): تقول: ياويلها! ياويلها! أي احضر ياويل فهذا أوانك، كل ذلك من أجل الجزع مما أصابها من ذلك.

(ولا دمة للصدر قلقاً): اللدم هو: ضرب الوجه بالكف، قلقاً أي فشلاً مما يفزع من المصيبة، وقد يكون للصدر وهو أهون، وفي حديث عائشة: فمن حداثة سني أني تركت رسول الله مسجى، وطفقت ألتدم مع النساء(2).

(والمرء في سكرة ملهية(3)): أراد الإنسان الذي وصف حاله في سكرة الموت التي ألهته عن كل شيء أراده.

(وغمرة كارثة): الغمرة: ما يغمر(4) الفؤاد من شدة الوجع، والكارثة: الشديدة.

(وأنة موجعة): الأنة: الواحدة من الأنين، الموجعة: ذات الوجع الدالة عليه.

(وجذبة مكربة): من جذبه إذا أخذه بعنف وشدة، مكربة أي مانعة للنَفَس عن أن يجري، أخذاً من قولهم: كربت الدلو، إذا ضيقت رأسها بالحبل وأوثقتها به.

(وسوقة متعبة): أي مؤلمة، مثل بحال من يسوقه من خلفه سوقاً عنيفاً بشدة وخشونة.

---

(1) ورد نحوه في نهاية ابن الأثير 121/3، ولسان العرب586/2 بلفظ: ((نهى المسافر أن يأتي أهله طروقاً)).
(2) انظر النهاية لابن الأثير 245/4، ولسان العرب 359/3.
(3) في شرح النهج: ملهثة.
(4) في (ب): ما تغمر.

(470/2)

(ثم أدرج في أكفانه): اشتقاقاً من الدّرَج(1) الذي يكتب فيه؛ لأنه يطوى في أكفانه ويضم عليه كالكتاب إذا طوي، وأدرج بعضه في بعض.

(مبلساً): أي ساكتاً لاينطق قد ختم علنفيْه، من قولهم: أبلس الرجل إذا سكت ولم ينطق.

(وجُذِبَ منقاداً سلساً): أخذ بزمامه سلس القياد(2)، لا يعاصي من يقوده ولا يخالفه.

(ثم ألقي على الأعواد): وضع على السرير منعوشاً(3) عليه.

(رجيع وصب): أي ينقل من وطنه الذي كان فيه في الدنيا إلى وصب آخر، والرجيع من الدواب: ما يرجع به من سفر إلى سفر آخر وهو الكالُّ(4).

(ونضو سقم): النضو هو: البعير المهزول، وأراد أنه أنضاه السقم أي أتعبه.

(تحمله حفدة الولدان): الحفدة: جمع حافد وهم أولاد الأولاد.

(وحشدة الإخوان): جماعة المحبين له(5) والصادقين في مودته.

(إلى دار غربته): إلى موضع فظيع يكون فيه غريباً لانقطاع الأهل(6) عنه، أو لأنه لم يسكنها قط مرة أخرى غير هذه.

(ومنقطع زورته(7)): أي أن زيارته منقطعة فلا يزار كما يزار الأحياء بالبشاشة والمودة.

(حتى إذا انصرف المشيع): الذي يواليه ويصاحبه، من قولهم: شايعه على أمره إذا والاه عليه.

(ورجع المتفجع): عليه من دفنه.

(أقعد في حفرته): في موضع قبره الذي حفر من أجله.

---

(1) الدّرَج، بسكون الراء وفتحها: الذي يكتب فيه، ومنه قولهم: أنفذته في دَرْج كتابي بسكون الراء أي في طية. (مختار الصحاح ص202)..

(2) في (ب): الانقياد.

(3) أي محمولاً على النعش.

(4) في نسخة أخرى: وهو الحال، قلتُ: ويقال: كلّ الرجل والبعير من المشي يكلُّ كَلاَلاً وكلالة أيضاً أي أعيا. (مختار الصحاح ص576).

(5) قوله: له سقط من (أ).

(6) في (ب): الأهلين.

(7) بعده في النهج: ومفرد وحشته.

(471/2)

(نجياً): إما ذو نجوى، وإما مناجياً، وانتصابه على الحال من الضمير في أقعد.
(لبهتة السؤال): بهته بهتاً أي أخذه بغتة، قال الله تعالى: {بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ}[الأنبياء:40]، قال الشاعر:
وما هو إلا أن أُرَاها فجاءة .... فأبهتُ حتى لا أكادُ أجيبُ(1)
وأراد ما يلحقه عند السؤال من الدهشة والتحير وضيق المسلك.
(وعثرة(2) الا متحان): وما يكون من العثار عند الامتحان بالمسآلة، ولهذا يقال: عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان، لما يلحق ذلك من ضيق المجال، وارتعاد الفرائص.
(وأعظم ما هنالك بلية): أي وأعظم مماذكرناه ووصفناه من البلايا والفجائع.
(نزل الحميم): النزل: ما يهيأ للضيف عند قدومه من الطعام، واستعاره هاهنا لما يكون من تقديم العقاب(3).
(وتصلية الجحيم): صليت الرجل وأصليته ناراً إذا أدخلته فيها، وتصلية مصدر صلى يصليه مثل عرى يعريه، وأراد إدخاله الجحيم.
(وفورات السعير(4)): فار القدر يفور فوراً إذا غلى واشتد غليانه، وأراد نزواتها(5) عند حميها ووقودها.
(لا فترة مريحة): لا يفتر عليهم(6) العذاب فيستريحوا أوقات الفترة، كما قال تعالى: {لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ}[الزخرف:75].

---

(1) أساس البلاغة 32، بدون نسبة إلى قائله، وروايته فيه:
وما هي إلا أن أراها فجاءة فأبهت حتى ما أكاد أجيب
(2) في (ب): وعثر.
(3) في (ب): العذاب.
(4) بعده في النهج: وسورات الزفير.
(5) في (أ): بفورانها، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.
(6) في (ب): عنهم.

(ولا دعة مزيحة): الدعة هي: السكون في الراحة، يقال: هو في دعة وخفض عيش، مزيحة بالزاي أي تزيح [عنهم] (1) العذاب وتزيله عنهم.

(ولا قوة حاجزة): ولا قوة تحجزهم عمَّا هم فيه من العذاب وانتصار عنه(2).

(ولا موتة ناجزة): نجز الشيء إذا فرغ وتقضى، ومنه إنجاز الوعد وهو حصول وقته، وأراد ولا موتة مفروغ عنها.

(ولا سِنَة مسلِّية): السِنَةُ هي: النوم، وأراد ولانوم هناك يسلي عنهم ما هم فيه من مقاساة العذاب ومعاناته.

(بين أطوار الموتات): الطور بعد الطور أي حالة بعد حالة، كما قال تعالى: {وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً}[نوح:14] أي قرن بعد قرن في حالة بعد حالة، ووقت بعد وقت.

(وعذاب الساعات): أي ما تنقضي ساعة إلا ويتلوها ساعة(3) أخرى، ولا يزول وقت إلا ويتبعه وقت آخر، إلى غير غاية من الأبد وعذاب السرمد.

(إنا لله(4) عائذون): عذت بفلان واستعذت به، إذالجأت إليه واستجرت به.

سوأل؛ الاستعاذة معداة بالباء، كقوله تعالى: {فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ}[الأعراف:200] و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}[الفلق:1]، و{بِرَبِّ النَّاسِ}[الناس:1] وغير ذلك فأراه ها هنا عداه باللام، وما وجه ذلك؟

وجوابه؛ هو أن اللام ليست في لله متعلقة بعائذون، وإنما متعلقها محذوف تقديره: إنا مملوكون أو عبيد لله وعائذون به من عذابه، ويكون عائذون محمولاً على مستسلمين لله منقادين لحكمه، والأول أولى، كما حمل قوله تعالى: {أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}[الفاتحة:7] [على](5) مننت فعدي بحرف الجر.

(عباد الله): الموصوفين بالعبودية لله تعالى.

---

(1) زيادة في (ب).

(2) كذا في النسختين، ولم أهتدِ للمعنى.

(3) قوله: ساعة زيادة في (ب).

(4) في (ب) وشرح النهج: بالله.

(5) سقط من (أ).

(473/2)

([أين](1)الذين عُمِّروا): في الدنيا.

(فنعموا): في لذاتها ونعيمها.

(وعُلِّمُوا): ما علمهم الله من الأحكام والشرائع.

(ففهموا): فتحققوا عن الله ما عرفهم به.

(وأنظروا): من النظرة، وهي: امتداد الوقت وفسحته.

(فلهوا): غفلوا عمَّا يراد منهم من أجل ما مدَّ لهم في الآجال.

(وسُلِّمُوا): عن الأوصاب والأسقام، وضروب النقمات التي كانت نازلة على الأمم الماضية، والقرون الخالية قبلهم.

(فنسوا).

(أُمهلوا طويلاً): بما فسح لهم في الآجال ومُدَّ لهم في الأعمار.

(ومُنحوا جميلاً): أعطوا شيئاً جميلاً من ضروب النعم وعظائمها.

(وحُذِّروا): خوفوا بما قرر في عقولهم، وبما وصلهم من الوعيدات الشرعية.

(أليماً): وهو العذاب المؤلم الموجع البالغ كل غاية في الألم.

(وَوُعِدُوا): بما قرر في عقولهم وبما وصل إليهم من المواعيد الشرعية.

(جسيماً!): أي بالغاً في الفخامة كل مبلغ.

(احذروا الذنوب المورطة): الورطة هي: الهلاك، وأصل الورطة هي: الأرض المطينة التي لا طريق بها(2)، وأذنب الرجل أي أساء في فعله، وأراد أخوفكم من الذنوب المهلكة لصاحبها.

(والعيوب المسخطة): العيب والعيبة والعاب والمعابة كلها بمعنى واحد، وهي: الرداءة والفساد، قال الشاعر:

أنا الرجلُ الذي قد عبتُمُوه .... وما فيه لعيَّاب(3) مَعَابُ

والسخط خلاف الرضى، وأراد إياكم والقبائح التي تسخط الله وتنزل بكم عذابه.

---

(1) زيادة من النهج.

(2) في (ب) وفي نسخة أخرى: لها. وفي القاموس المحيط ص893: الورطة: أرض مطمئنة لا طريق فيها.

(3) في (ب): لعيابكم، والبيت أورده في لسان العرب 938/2 بدون نسبة إلى قائله، والشطر الثاني في النسختين:

وما لعياب فيه معاب ....

وأصلحته من (اللسان).

(يا أولي الأبصار والأسماع): أراد يا أهل الحواس السليمة والعقول الصحيحة، كما قال تعالى: {وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا}[الأحقاف:26] على جهة الاحتجاج عليهم بذلك وقطع معذرتهم.

(والعافية والمتاع): أراد يا أصحاب المعافاة من العلل والأوجاع المانعة من الطاعات، والمتاع: كلما تمتعت به في الدنيا، قال الشاعر:

تَمَتَّعْ يا مشعَّث إنّ شيئاً .... سَبقْتَ به المماتَ هو المتاعُ(1)

وكما قال تعالى: {مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا}[القصص:60].

(هل من مناص أو خلاص): النوص هو: التأخر، وقوله: {وَلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ}[ص:3] أي لاوقت للتأخر، ولا خلاص عن ما كان في الآخرة من الأمور المستحقة.

(أو معاذ أوملاذ): يعاذ أو يلاذ به من شدة تلك الأهوال.

(أو فرار أو محار!): أو شيء يستقرُّ فيه، والمحار: ما يرجع إليه، من حار إذا رجع، كما قال تعالى: {إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ}[الإنشقاق:14] أي يرجع.

(أم لا؟): أم هذه هي المنقطعة، وهي بمعنى بل، والمعنى بل لاشيء من هذه الأمور أصلاً.

(فأنى تؤفكون): الإفك هو: الكذب، قال الله تعالى: {وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ}[الجاثية:7] والإفك: الصرف عن الشيء، قال الله تعالى: {يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ}[الذاريات:9] وأراد من أي جهة يأتيكم الصرف عن سماع هذه المواعظ والانتفاع بها.

(أم أين تصرفون!): بل من أي مكان حصل لكم الميل عنها والإعراض.

(أم بماذا تغترون!): بل أي شيء يغركم في هذه الدنيا، وإدراك حقيقتها ومتاعها القليل المنقطع.

(وإنما حظ أحد كم من الأرض): نصيبه.

(ذات الطول والعرض): على سعة طولها وعرضها.

---

(1) لسان العرب 434/3، ونسبه للمشعَّث، وقال: وبهذا البيت سمي: مشعَّثاً.

(475/2)

(قيدُ قَدِّه): القدُّ: القامة، وأراد قدر قامته وشكله.

(متعفراً على خده!): العفر هو: التراب، وأراد معفراً بالتراب واقعاً(1) عليه على خده.

(الآن عباد الله): الآن عبارة عن الوقت الحاضر، وأراد اتعظوا الآن فإن ما مضى قد(2) فات، لا رجوع له بحال.

(والخناق مهمل(3)): أراد وحبل الخناق وهو الموت مهمل(4) منبوذ لما كان في الآجال بقية وامتداد.

(والروح مرسل): عن القبض، يأمر الملائكة بقبضه(5).
(في فينة الإرشاد): الفينة: الحين، وفي الحديث: ((لايزال المؤمن يواقع الذنب الفينة بعد الفينة))(6) وأراد في وقت إصلاح الأحوال بالإرشاد لها إلى نجاتها.
(وراحة الأجساد(7)): أراد وقت حياتها وتصرفها على الدنيا.
(ومهل البقية): أمهله إذا أبقاه مدة، وأراد في مدة الإبقاء وهي: زمان الحياة.
(وأنُفِ المشيَّة): أنف كل شيء: أوله، وأراد ابتداء الإرادة بفعل الخيرات.

---

(1) في (أ): واقفاً.
(2) في (ب): فقد.
(3) في (ب): ممهل.
(4) في (ب): ممهل.
(5) في نسخة أخرى: لقبضه.
(6) رواه القاضي العلامة علي بن حميد القرشي في مسند شمس الأخبار 319/2 في الباب (176) وعزاه إلى مسند الشهاب بلفظ: ((ما من مؤمن إلا وله ذنب يصيبه الفينة بعد الفينة حتى يفارق الدنيا))، قال العلامة الجلال في تخريجه: أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عباس فذكر لفظه من الطبراني، وروى قريباً منه ابن الأثير في النهاية 486/3، بلفظ: ((ما من مولود إلا وله ذنب قد اعتاده، الفينة بعد الفينة))، وقوله: مولود، قال محقق النهاية في الهامش: في الهروي: مؤمن، وبلفظ ابن الأثير هو في لسان العرب 1157/3.
(7) بعده في شرح النهج: وباحة الاحتشاد.

(476/2)

(وإنظار التوبة): وكون التوبة ينتظر وقوعها من جهتكم ويؤ مل وقوعها منكم.
(وانفساح الجوبة(1)): الجوبة بالجيم هي: المكان الواسع، وأراد وكون المكان فسيحاً، كنى به عن اتساع الأمر في ذلك وسهولته.
(قبل الضنك): صعوبة خروج النفس.
(والمضيق): أي الكون في القبر الضيق.
(والروع): الفزع من أهوال يوم القيامة.
(والزهوق): بالزاي أي خروج النفس.
(وقبل قدوم الغائب المنتظر): وهو الموت.

(وأخذة العزيز المقتدر): أي إهلاكه وتدميره، كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}[هود:102].

وفي الخبر أنه عليه السلام لما خطب بهذه الخطبة اقشعرت لها الجلود، وبكت العيون، ورجفت القلوب.

وأقول: إن هذه الخطبة مع اشتمالها على بديع المواعظ، ونفيس الزواجر، وقوارع الوعيد، فإنها مشتملة علىأفانين من علوم البلاغة، بحيث لا غاية إلا وقد بلغتها، ولا نهاية إلا وقد وصلتها.

---

(1) في شرح النهج: الحوبة بالحاء المهملة، أى الحاجة والأرب.

(477/2)

---

(81) ومن كلام له عليه السلام في ذكر عمرو بن العاص

(عجباً لابن النابغة!): انتصاب عجباً على المصدرية، وهو من المصادر التي لا تظهر معها أفعالها، فلا يقال: عجبت عجباً، كما لايقال: حمدت حمداً، وشكرت شكراً، وإنما تذكر المصادر مجردة؛ لأنها قد صارت عوضاً عن أفعالها، وأراد من أجل ابن النابغة يُقْضَى العجب، والنابغة اسم لمن لم يكن له إرب(1) قد تمَّ في الشعر، ثم قال بعد ذلك وأجاد في الشعركالذبياني والجعدي، وإنما قيل لأم عمرو: نابغة(2)؛ لأنهالم تكن لرشده.

(يزعم لأهل الشام): يقول لهم ويناطقهم بذلك.

(أن فيَّ دعابة): مزاح ومجون.

(وأني امرؤ تَلعابة): التَّلعابة بفتح التاء هو: الكثير اللعب، وكسرها لحن.

---

(1) الإرب بالكسر: الدهاء والعقل. (وانظر القاموس المحيط ص75).

(2) اسمها سلمى بنت حرملة، وقيل: ليلى، وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج 283/6 مالفظه: فأما النابغة فقد ذكر الزمخشري في كتاب (ربيع الأبرار) قال: كانت النابغة أم عمرو بن العاص أمة لرجل من عنزة فسبيت، فاشتراها عبد الله بن جدعان التيمي بمكة، فكانت بغياً، ثم أعتقها، فوقع عليها أبو لهب بن عبد المطلب، وأمية بن خلف الجمحي، وهشام بن المغيرة المخزومي، وأبو سفيان بن حرب، والعاص بن وائل السهمي في طهر واحد، فولدت عمراً، فادعاه كلهم، فحكّمت أمه فيه، فقالت: هو من العاص بن وائل، وذاك لأن العاص بن وائل كان ينفق عليها كثيراً. انتهى.

(478/2)

(أعافس وأمارس): المعافسة والممارسة هي: المعالجة، وفي الحديث: ((وعافسنا النساء))(1)، وهذا منه تعجب لمقالته وإنكار لها.

(لقد قال باطلاً): أي قولاً باطلاً.

(ونطق آثماً): أي نطقاً إثماً، أو ذا إثم فيما قاله، واللام في لقد هي المحققة للجملة بعدها.

(أما وشر القول الكذب): كما قال صلى الله عليه وآله: ((شر القول الكذب)).

(إنه ليقول فَيَكْذَبُ(2)): فيما حدث به وقاله، وفي الحديث: ((من أراد أن يلعن نفسه فليكذب))(3).

---

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 280/6، أعلام نهج البلاغة –خ–، وهو في نهاية ابن الأثير 263/3 بلفظ: ((فإذا رجعنا عافسنا الأزواج والضيعة)) وقال في شرحه: المعافسة: المعالجة والممارسة، والملاعبة.

(2) في نسخة: الكذب، هامش في (ب).

(3) ورواه المؤلف أيضاً في كتابه (تصفية القلوب) ص118.

(479/2)

(وَيَعِدُ فَيَخْلَفُ): فيما وعد به، وفي الحديث: ((من علامة المنافق ثلاث وعدَّ منها: الخلف في الوعد))(1).

(ويسأل فَيُلْحَفُ): يكثر السؤال، وفي الحديث: ((المسألة كدوح وخدوش))(2).

---

(1) الحديث أخرجه الإمام الناصر الأطروش عليه السلام في البساط ص112 بسنده عن بشير بن ميمون، قال: سمعت الحسن يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((في المنافق ثلاث وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: إذا أوتمن خان، وإذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب))، وله فيه شاهدان آخران من طريقين مختلفين (انظرهما فيه)، وأخرجه الإمام الموفق بالله عليه السلام في الاعتبار وسلوة العارفين ص165 تحت الرقم (125) بسنده عن أبي هريرة بلفظ: ((ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن صام وصلى، وزعم أنه مسلم: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان))، قال المحقق في تخريجه: أخرجه ابن حبان 490/1 رقم (257)، ومسلم 78/1 رقم (59-110) بيان خصال المنافق، وأبو عوانه 20،21/1 (وانظر تخريجه الموسع في كتاب الاعتبار) وهو: بلفظ: ((آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر))، في مطمح

الآمال ص89، قال محققه: أخرجه البخاري 84/1، ومسلم 56/1 باب علامات الإيمان.

(2) الحديث بهذا اللفظ رواه المؤلف في تصفية القلوب ص327 وهو في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 669/8 بلفظ: ((المسألة كدوح في وجه صاحبها))، وعزاه إلى مسند أحمد بن حنبل 94/2، ومجمع الزوائد للهيثمي 96/3، وكنز العمال برقم (16837)، وله شاهد أورده في لسان العرب 228/3 بلفظ: وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من سأل وهو غني جاءت مسألته يوم القيامة خدوشاً أو خموشاً، أو كدوحاً في وجهه)).

(480/2)

(ويسأل فَيَبْخَلُ): بما عنده وهو قادر عليه، وفي الحديث: ((خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل، وسوء الخلق)) (1).

(ويخون العهد): إذا عوهد، وفي الحد يث: ((من علامات المنافق ثلاث، وعدَّ من جملتها: الخيانة في العهد)).

(ويقطع الإلَّ): الإلُّ: القرابة، وأراد ويقطع الأرحام والأقارب عن الصلة، قال حسان:

[لعمرك](2) إنّ إلَّك من قريشٍ .... كإلِّ السَّقْبِ من رَأْلِ النَّعَامِ

فهذه أسوأ الخصال موجودة فيه.

(فإذا كان عند الحرب): أراد إذا التقت الصفوف.

(فأي زاجر): لغيره عن التأخر .

(وأي آمر): لغيره بالتقدم.

(هو): أراد عمراً.

(ما لم تأخذ السيوف مآخذها): أراد الإعلام بحاله في الجبن، وهو أنه شجاع في حال المسالمة والتباعد عن الحرب.

(فإذا كان ذلك): أراد فإذا التحمت الحرب وتقارب الأبطال، ودنا كل واحد من صاحبه، واتصلت السيوف.

(كان أكبر مكيدته): كان غاية أمره وقصارى حاله في خدعة الحرب.

(أن يمنح القوم(3) سُبَّتَهُ): السُّبّةُ هي: الحالة في الفعل كالطُّعمة والرِّكبة، وأراد أن غايته في ذلك سلُّ لسانه بالسب والأذية.

---

(1) رواه في مسند شمس الأخبار 494/1 في الباب (92) وعزاه إلى مسند الشهاب وهو في مطمح الآمال ص87، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 337/6، وفي موسوعة أطراف الحديث النبوي

618/4 عزاه إلى سنن الترمذي(1962)، وإلى إتحاف السادة المتقين 193/8، وحلية الأولياء 389/2.

(2) سقط من (ب) ومن نسخة أخرى، وبدايته في(أ): لعمرك وإن...إلخ، وفيه زحف، وأثبته من لسان العرب 86/1، والسقب: ولد الناقة. والرأل: ولد النعام (انظر القاموس المحيط ص124، ص1296).

(3) في النهج: القرم.

(481/2)

ويحكى أن أمير المؤمنين دعا إلى البراز في صفين فبرز إليه عمرو بن العاص فتجاولا قليلاً، فلما تأمله عمرو أنه أمير المؤمنين وأنه لا طاقة له به، فحمل عليه أمير المؤمنين ليقتله فألقى نفسه عن فرسه واقتحم عنها، وكشف عورته مواجهاً بها أمير المؤمنين، فلما رآها عليه السلام غض بصره، وانصرف عمرو مكشوف العورة، ونجا بتلك المكيدة(1)

---

(1) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج 312/6-314 ما لفظه: وأما خبر عمرو في صفين واتقائه حملة علي عليه السلام بطرحه نفسه على الأرض وإبداء سوءته، فقد ذكره كل من صنَّف في السير كتاباً، وخصوصاً الكتب الموضوعة لصفين، قال نصر بن مزاحم في كتاب (صفين) قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي عمرو، وعن عبد الرحمن بن حاطب قال: كان عمرو بن العاص عدواً للحارث بن نضر الخثعمي، وكان من أصحاب عليعليه السلام، وكان عليعليه السلام قد تهيبته فرسان الشام، وملأ قلوبهم شجاعته، وامتنع كل منهم من الإقدام عليه، وكان عمرو قلّما جلس مجلساً إلا ذكر فيه الحارث بن نضر الخثعمي وعابه، فقال الحارث:

ليس عمرو بتارك ذكره الحا .... رث بالسوء أو يلاقي عليّا

واضع السيف فوق منكبه الأيـ .... من لا يحسب الفوارس شيا

ليت عمراً يلقاه في حومة النق .... ع وقد أمست السيوف عصيا

حيث يدعو للحرب حامية القو .... م إذا كان بالبراز مليا

فالقه إن أردت مكرمة الده .... ر أو الموت كل ذاك عليا_ ... _فشاعت هذه الأبيات حتى بلغت عمراً، فأقسم بالله ليلقين علياً ولو مات ألف موتة، فلما اختلطت السيوف لقيه فحمل عليه برمحه، فتقدم علي عليه السلام وهو مخترط سيفاً معتقل رمحاً، فلما رهقه همز فرسه ليعلو عليه، فألقى عمرو نفسه من فرسه إلى الأرض شاغراً برجليه، كاشفاً عورته، فانصرف عنه لافتاً وجهه مستدبراً له، فعدّ الناس ذلك من مكارمه وسؤدده، وضرب بها المثل. انتهى.

، ولهذا قيل فيه:

ولا خيرَ في دفع الردى بمذلةٍ .... كمَا ردَّها يوماً بِسَوأته عمرو(1)

(أما والله إنه(2) ليمنعني عن(3) اللعب ذكر الموت): لأن اللعب إنما هو نشاط وفرح، وذكر الموت يُكدِّرالنفس، ويضجِّر الخاطر فلا نشاط(4) معه للعب ولا لهو.

(وإنه ليمنعه من [قول](5) الحق نسيان الآخرة): أراد من(6) قبول الحق نسيان الآخرة [أي] (7) إعراضه عن الآخرة، واطراحها عن قلبه.

(إنه لم يبايع معاوية(8)): أي لم يكن منقاداً لمعاوية من أجل الدين، وإنما كان لغرض الحطام.

(حتى أتاه أتيَّة(9)): الأتية: العطية من المال.

(ورضخ له على ترك الدين رضيخة): الرضيخة: المال القليل، وإنما قال: على ترك الدين أي على الإعانة على البغي، والمخالفة التي فيها ترك الدين وإهماله.

(82) ومن خطبة له عليه السلام

(وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأول لا شيء قبله): أراد أنه المختص(10) بالأولية والقدم والأزلية، ومن كان هذه حاله فلا شيء غيره يوصف بالقبلية؛ لأن كل ما سواه فهو محدث، فيستحيل أن يكون سابقاً له.

---

(1) البيت هو لأبي فراس الحمداني وهو من قصيدته الشهيرة التي مطلعها:

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر .... أما للهوى نهي عليك ولا أمر

(2) في النهج: إني.

(3) في النهج: من.

(4) في (ب): فلا نشاطة.

(5) سقط من (أ).

(6) في (أ): أراد أن من قبول ... إلخ، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(7) زيادة في نسخة أخرى.

(8) في (ب): لمعاوية.

(9) في شرح النهج: حتى شرط له أن يؤتيه أتيَّة ويرضخ له ...إلخ.

(10) في (أ): مختص.

(والآخر لا غاية له): لأن بقاءه إذا كان حاصلاً لذاته، استحال أن يكون وجوده منقطعاً، ولهذا كان لا آخر لوجوده ولا غاية ولا انقطاع له.

(لا تقع الأوهام له على صفة): أراد أن الظنون لا تثبت واحدة من صفاته، من قولهم: وقعت على الأرض أي ثبت عليها.

(ولا تعْقدُ العقول منه على كيفية): أراد بعقد العقول استيلاءها عليه، من قولهم: عقدت على كذا إذا كنت مستولياً عليه، والمعنىأن العقول لا تحيط ولا تستولي بكيفية من كيفياته في كل أحواله.

(ولا تناله التجزئة والتبعيض): أي لا تجري عليه، ولا تتصل به الجزئية والبعضية، إذ لو كان ذا أجزاء لكان مؤتلفاً منها، ولو كان مؤتلفاً لكان جسماً، ولو كان جسماً لكان محدثاً، وتقرر بالبرهان العقلي أزليته، وأنه لا بداية لوجوده.

(ولا تحيط به الأبصار): برؤيتها؛ لاستحالة كونه مدركاً.

(والقلوب): بمعرفتها؛ لأن حقيقة ذاته غير معلومة للبشر.

(اتعظوا(1) عباد الله بالعبر): أراد انتفعوا بالمواعظ، وانظروا في العبر السالفة قبلكم.

(النوافع): لمن اعتبربها بإحراز الثواب والوقاية من العقاب.

(واعتبروا بالآلاء(2) السواطع): الآلاء(3) هي: النعم، وأراد [أن](4) في تكرار هذه النعم وتلاحقها عليكم أعظم الاعتبار، فإن من حق من هذه حاله في الإنعام بأصول النعم وفروعها، أن يُشْكَرَ فلا يُكْفَرُ وأن يُعْرَفَ فلا يُجْحَدُ، وأن يُقَامَ له بالطاعات(5)، وإنما قال: السواطع، لما فيها من الظهور والوضوح، من قولهم: سطع الفجر إذا ظهر وارتفع.

---

(1) في شرح النهج: فا تعظوا.

(2) في شرح النهج: بالآي.

(3) في (أ): التي.

(4) سقط من (أ).

(5) في (ب): وأن تقام له الطاعات.

(وازدجروا(1) بالنذر البوالغ): زجره إذا كفه ومنعه، وأراد امتنعوا عن المناهي كلها، بما أتاكم من النذر من الكتب والرسل البوالغ، إما الواصلة إليكم من جهة الله، وإما التي بلغت كل غاية في الإنذار.

(وانتفعوا بالذكر والمواعظ،): وحثوا نفوسكم على إحراز النفع الأخروي بالعمل على الذكر والمواعظ.

(فكأن قد علقتكم مخالب المنية): فكأن هذه لما خففت بطل عملها، ووليتها الجملة الفعلية، وأراد فعن قريب وقد أنشبت المنية فيكم مخالبها.

(وانقطعت عنكم علائق الأمنية): وزال عنكم ما كنتم تريدونه من الأماني، واحدتها أمنية.

(ودهمتكم): غشيتكم، من قولهم: دهمه الأمر، إذا غشيه وركبه.

(مفظعات الأمور): فظع الأمر إذا صعب واشتد، وأراد الأمور الفظيعة.

(والسياقة إلى الورد المورود): أشار إلى قوله تعالى: {بِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ}[هود:98] والورد هو: المورود، والمورود: الذي يردونه، كأنه قال: بئس المورود موردهم الذي وردوه؛ لأن المورد إنما يراد لتسكين العطش، وتبريد الأكباد، والنار ضد ذلك.

({وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ})[ق:21]: انظر إلى موقع(2) هذه الآية ما أعجبه ثم مع مالها من الموقع الحسن، فهي متميزة عن جميع ألفاظ الخطبة تمييزاً لا يمكن دفعه، ولا يسع إنكاره.

(سائق يسوقها إلى محشرها): إلى العرصة.

(وشاهد يشهد عليها بعملها): بما عملته من خير وشر.

(فأما الجنة فدرجات متفاضلات): كما قال تعالى: {وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ}[الزخرف:32] وهذا عام في الدنيا والآخرة.

---

(1) في (أ): وازدجر، وما أثبته من النهج ومن (ب) ومن نسخة أخرى.

(2) في (أ): مواقع، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(ومنازل متفاوتات): هذه تفوت هذه في الصفة فلا اجتماع بينها(1)، وفي حديث ابن عباس في قوله تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}[المجادلة:11] أنه قال: مابين الدرجتين مسيرة(2) خمسمائة عام.

(لا ينقطع نعيمها): أي هو دائم لاآخرله، كما قال تعالى: {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}[النساء:57].

(ولا يظعن مقيمها): الظعون هو: الارتحال، أي لا يرحل من كان مقيماً فيها.

(ولا يهرم خالدها): خلافاً لنعيم الدنيا، فإن الخالد فيه يصيبه الهرم والضعف.

(ولا ييأس ساكنها): أي لا يصيبه بؤس، والبؤس هو: الضر والحاجة.

(83) ومن خطبة له عليه السلام

(قد علم السرائر): جمع سريرة، وهو: ما يُسَرُّ في القلوب.

(وخبر الضمائر): امتحنها وابتلاها.

(له الإحاطة بكل شيء): في العلم لعلمه بما لا يتناهى.

(والغلبة لكل شيء): فلايقهره قاهر.

(والقوة على كل شيء): فلا يخرج عن ملكه شيء.

(فليعمل العامل منكم في أيام مهله): المهل هو: الاسم من الإمهال، وأراد في تراخي أجله، أو يكون المهل هو: التؤدة والتأني.

(قبل إرهاق أجله): إغشاء الأجل إياه(3).

(وفي فراغه قبل أوان شغله): بالموت وأحوال القيامة فإنها ليست بأوقات عمل.

(وفي متنفسه): زمن التنفس في الدنيا بسعة الآجال.

(قبل أن يؤخذ بكظمه): أي بكظم، فتخرج نفسه بمشقة وصعوبة.

(وليمهِّد لنفسه): وليوطئ لراحة نفسه، أي من أجل راحتها ولذتها.

(وقدمه): أراد ويثبِّت لمستقر قدمه.

(وليتزود من دار ظعنه): الظعون هو: الانتقال أي من موضع ظعونه وهي الدنيا.

---

(1) في (ب): بينهما.

(2) في (أ): مسير، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(3) في (أ): أتاه، وما أثبته من (ب).

(لدار إقامته): وهي الآخرة.

(فالله الله): تكرير للمحذر منه، كقولهم: أخاك أخاك، والطريق الطريق، قال:

أخاك أخاك إن من لا أخاً له .... كساع إلى الهيجا بغير سلاح(1)

وهو منصوب بإضمار فعل أي اتقوا الله واحذروه.

(عباد الله): ياعباد الله، فإن من كان عبداً فحقيق به أن يطيع سيده ويطابق غرض مولاه.

(أيها الناس، فيما استحفظكم من كتابه): أراد راقبوه فيما استحفظكم من كتابه من القيام بفروضه

وأحكامه والوقوف عند حدوده.

(واستودعكم من(2) حقوقه): وجعلها عندكم وديعة لتكون مؤدَّاة عند طلبها من جهته، والضميرفي حقوقه يحتمل أن يكون را جعاً إلى الله تعالى(3) أو إلى كتابه.

(فإن الله لم يخلقكم عبثاً): بل خلقكم من أجل الإحسان من جهته والتفضل عليكم، كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً}[ص:27]، {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا}[المؤمنون:115].

(ولم يترككم سدى): أي مهملين، كما قال تعالى: {أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى}[القيامة:36]، أي مهملاً من غير رعاية وحفظ.

(ولم يدعكم في جهالة وعمى): بل أوضح لكم السبيل بالبراهين العقلية والنقلية بحيث لا لبس هناك.

---

(1) البيت لمسكين الدارمي.

(2) قوله: من سقط من (أ)، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى ومن شرح النهج.

(3) قوله: تعالى سقط من (ب).

(487/2)

(قد سمَّى آثاركم): الأثر: ما يؤثر عن الإنسان بعد موته، كما قال تعالى: {وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ}[يس:12]، وفي الحديث: ((إذا مات ابن آدم انقطع عنه سائر عمله إلا ثلاثة(1): ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به، أو صدقة تجري)) (2) فهذه هي الآثار التي أرادها الله بقوله: {وَآثَارَهُمْ}.

(وعلم أعمالكم): من خير وشر وصغير وكبير، وظاهر ومستور على جميع صفاتها، وكل أحوالها: {أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ}[الملك:14] وأراد التعجب من حال من ينكر ذلك، أي من يخلق خلقاً كيف يخفى عليه أفعاله وشيء من أحواله.

(وكتب آجالكم): قدرها وعلمها وخطها(3) في لوحه المحفوظ من طويل وقصير.

(فأنزل(4) عليكم الكتاب): أراد القرآن.

(تبياناً): بياناً لمصالحكم الدينية، وفصل خصوماتكم الدنيوية.

---

(1) ظنّن فوقها في (ب) بقوله: ظ: إلاَّ من ثلاث.

(2) الحديث بلفظ: ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي 404/1، وعزاه إلى عدة مصادر منها: سنن الترمذي (1376)، ونصب الراية للزيلعي 159/3، وإتحاف السادة المتقين 114/1، 22/5، 87/9 وغيرها، انظر الموسوعة.

وأخرجه الإمام المرشد بالله يحيى بن الحسين الشجري (ع) في الأمالي الخميسية 69/1، بسنده عن أبي هريرة بلفظ: ((إذا مات الرجل انقطع عمله إلا من ثلاث: ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية، أو علم ينتفع به))، وله فيه طريق آخر وشاهد قريب منه (انظر الأمالي الخميسية).

(3) في (ب): وحصلها.

(4) في (ب) وشرح النهج: وأنزل.

(488/2)

(وعمَّر فيكم نبيه أزماناً): مقدار ما يعلم الصلاح في بقائه، لتبليغ ما أرسله به إليكم وإتمام شرعه، كما قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...}إلى آخرها[المائدة:3].

(حتى أكمل له ولكم): فإكماله له(1) إتمام شريعته التي بعث بها، وإكماله لهم إتمام مصالحهم الدينية.

(فيما أنزل(2) من كتابه دينه(3) الذي رضي لنفسه): مما علم أنه صلاح لهم وإكمال لأمره.

(وأنهى إليكم على لسانه): أراد جعل لكم الغاية في الا تصال، من قولهم: أنهيت إليه كذا إذا أوصلته إياه، على لسانه أي بواسطته.

(محابَّه من الأعمال): الضمير لله أي الذي يحبه من الأعمال ويريد وقوعه من جهتكم.

(ومكارهه): والذي نهى عنه وكرهه.

(ونواهيه وأوامره): وجميع ما نهى عنه وأمر به.

(وألقى إليكم المعذرة): نبذها(4) إليكم فلا عذر لكم عنده بعد ذلك، من قولهم: ألق العصا، وألقِ ما في يمينك.

(واتخذ عليكم الحجة): أي أخذها وأقامها عليكم، فالحجة عليكم من جهته قائمة.

(وقدَّم إليكم الوعيد(5)): أي جعله مقدماً، من قولهم: قدمت الطعام إليه، وأراد وخوفكم بما قدَّم إليكم من هذه الوعيدات والقوارع الزجرية.

(وأنذركم بين يدي عذاب شديد): بقوله: إني لكم نذير بين يدي، أي بالقرب مني وعلى إثري عذاب شديد لمن خالف أمري(6) فيما جئت به.

ويحكى أنه لما نزل قوله تعالى: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ}[الشعراء:214] جمع الرسول جميع بطون قريش، وقال: (إني لكم نذير بين يدي عذاب شديد)(7).

---

(1) قوله: له سقط من (أ).

(2) في (ب): نزّل.

(3) دينه، زيادة في النهج.

(4) في (ب): نثرها.

(5) في النهج: بالوعيد.

(6) في (ب): أي فيما جئت به.

(7) انظر نحوه في الكشاف 345/3.

(489/2)

(فاستدركوا بقية أيامكم): استدراك الشيء: تلافيه وهو علىشرف الزوال، وأراد تلافوا ما بقي بالمبادرة إلى الطاعة والاهتمام بأمر الله وامتثال واجباته.

(وصبِّروا لها أنفسكم): وأكرهوها على الصبر.

(فإنها قليل في كثير الأيام التي تكون(1) فيها الغفلة): أراد أن التفريط في حق الله أكثر من القيام به، والإعراض عن الطاعة أكثر لامحالة من التشاغل بها.

(والتشاغل عن الموعظة): أراد أن(2) ما يعرض عن استماع المواعظ كثيرلا يمكن حصره.

(ولا ترّخصوا لأنفسكم): تهونوا لها اقتحام الرخص وترك العزائم.

(فتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة): فتذهب منصوب على أنه جواب النهي، كقوله تعالى: {وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ}[هود:113] وذهب به إذا مرَّ به، وأراد أنكم إذا اتبعتم الرخص وانتحيتموها(3) امَّحت أنوار الواجبات ، واندرست آثارها فحصلتم في ظلمة العذاب بذلك، فاستعار الظلمة من أجل ذلك.

(ولا تداهنوا فيهجم بكم الإدهان على المعصية): الإدهان هي: المصانعة، وهي: الرشوة، وفي المثل: من صانع المال لم يحتشم من طلب الحاجة، وأراد أن الرشوة تهجم بكم، أي تسرع بكم إلى الحكم بغير الحق فيكون إقداماً على المعصية من الراشي؛ لكونه أخذ ما ليس له، والمرتشي لكونه ظلم غيره وحكم بخلاف أمر الله وحكمه، وفي هذا دلالة على عظم موقع الرشوة في الدين وخطر المصانعة والإدهان.

---

(1) في شرح النهج: التي تكون منكم فيها الغفلة.

(2) قوله: إن سقط من (أ).

(3) أي قصدتموها، وفي (ب): وانتخبتموها، فيكون المعنى، واخترتموها.

(490/2)

(عباد الله، إن أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه): لأن مع الطاعة النجاة من النار، ولا نصح أعظم من ذلك لما فيه من الفوز برضاء الله ومجانبة عقابه.

(وإن أغشَّهم لنفسه أعصاهم لربه): لأن من غشَّ نفسه أسلس لها قيادها في اتباع هواها، ولا ضرر أعظم من ذلك لما فيه من الظفر بغضب الله وأليم عقابه.

(والمغبون من غبن نفسه): الغبن: الخدع، وغبنته إذا خدعته، وأراد أن المخدوع حقيقة من خدع نفسه؛ لأن من خدعه غيره فلومه يقل؛ لأنه ربما غرر في ذلك بكونه(1) أدهى منه، فأما من غبن نفسه وخدعها بالأماني؛ فهو المغبون على الحقيقة.

(والمغبوط من سلم له دينه): الغبطة: هي الا سم من الاغتباط، وهي: عبارة عن حسن الحال، وأراد أن أحسن الناس حالاً في الدارين من سلم له دينه عما يشوبه.

(والسعيد من وعظ بغيره): يقال: سعد الرجل فهو سعيد، والسعادة هي خلاف الشقاوة، وأراد أن من وعظ بغيره فقد نفعته المواعظ(2)، فلهذا كان سعيداً، ومن كان موعظة لغيره فلا نفع له في ذلك.

(والشقي من انخدع لهواه وغروره): لأن الميل إلى الهوى والاغترار به فيه إهلاك النفس، كما قال تعالى: {وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}[النازعات:40-41]، وقال تعالى: {وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ}[لقمان:33] أراد الشيطان والنفس.

---

(1) في (ب): لكونه.

(2) في (ب): الموعظة.

(491/2)

(واعلموا أن يسير الرياء شرك): لأن المرائي ليس عمله خالصاً لوجه الله تعالى، وإنما يفعل ما يفعله رضاءً للخلق، وطلباً لمحمدتهم، والثناء من جهتهم فلهذا كان مشركاً لغير الله في عمله، فإذا(1) كان الشرك ظلماً عظيماً لارتبة فوقه من المعاصي الكبيرة، فخليق بما يدانيه ويقاربه أن يحذر(2) منه.

(ومجالسة أهل الهوى منساة للإيمان): لأن مِلاَكَ الإيمان وحقيقته إنما تكون في مخالفة الهوى ومجانبته، وإذا كان الأمر كما قلناه كان مجالسة من كان متبعاً للهوى إبطالاً لمناره وهدماً لقواعده.

(ومحضرة الشيطان(3)): والمحضرة: مكان الحضور، أي أنها منزله ومكانه الذي يحضره وفيه يوجد.

(جانبوا الكذب فإنه مجانب للإيمان): جانب الشيء إذا بَعُدَ عنه، وصار في جانب وهو في(4)

جانب آخر، وأراد أن الإيمان والكذب بينهما بُعْدٌ متفاوت لا يجتمعان بحال.

(الصادق على شفا منجاة وكرامة): الشفى من كل شيء حرفه(5)، قال الله تعالى: {عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ}[التوبة:109]، والمنجاة: النجاء، وأراد أن الصادق على طرف النجاة والكرامة بما أتى من الأفعال الحسنة.

(والكاذب على شرف مهواة ومهانة): المهواة: الحفير الذي يهوي فيه من وقع فيه، وأراد أن الكاذب قريب من الوقوع في المهواة، والسقوط فيها، ومهانة من العقلاء؛ لما ارتكبه من القبيح الذي يسقط صاحبه من منزلته، وفي المثل: الصدق نباهة، والكذب عاهة.

---

(1) في (ب): وإذا.

(2) في (أ): يحرز، وما أثبته من (ب).

(3) في النهج: للشيطان.

(4) قوله: في سقط من (ب).

(5) أي طرفه.

(492/2)

(ولا تحاسدوا، فإن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب): وأراد أن الحسد في إسقاط الحسنات وإحباطه لها شبيه(1) بالنار في أخذها للحطب وإهلاكها له، وقد جاء عن الرسول [صلى الله عليه وآله وسلم] (2) هذا المعنى بلفظ آخر حيث قال: ((ما ذئبان ضاريان في زريبة أحدكم بأسرع من الحسد في حسنات المؤمن))(3).

(لا تباغضوا فإنها الحالقة): الضمير في قوله: فإنها لهذه الخصلة والحال يدل عليها، والحالقة: اسم من أسماء الداهية، وقد جاء هذا المعنى عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بلفظ آخر، حيث قال: ((قد دبَّ إليكم داء الأمم أما إني لا أقول: إنها الحالقة للشعر، وإنما هي الحالقة للدين: الحسد، والبغضاء))(4).

(واعلموا أن الأمل يسهي العقل): سها عن الشيء إذا غفل عنه، وأراد أنه يغفل العقل عمَّا هو المقصود من أمر الآخرة؛ لأن الآمال إذا كانت طامحة على الأفئدة غلبتها لامحالة.

---

(1) في (أ): شبه، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(2) زيادة في (ب).

(3) الحديث بلفظ: ((ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من الحرص على المال

والحسد في دين المسلم، وإن الحسد ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب)) رواه العلامة محمد بن مطهر الغشم في رضا رب العباد ص 167، وقال: ذكره رزين، قلت: هو رزين العبدري صاحب كتاب الجمع بين الصحاح الستة.

(4) رواه المؤلف في كتابه تصفية القلوب ص 168، بتقديم وتأخير في بعض ألفاظه، وللحديث مصادر كثيرة انظرها في موسوعة أطراف الحديث النبوي 3/5، منها مسند أحمد بن حنبل، وسنن البيهقي، ومجمع الزوائد، ونصب الراية، والكامل لابن عدي، وغيرها، ورواه في رضا رب العباد ص167. وقال: رواه البزار بإسناد جيد، وانظر مسند شمس الأخبار 489/1 الباب (91).

(493/2)

(وينسي الذكر): لأن المقصود إذا كان هو بلوغ الأمل أغفله ذلك عن كل شيء.

(فأكذبوا الأمل فإنه غرور): أي خديعة.

(وصاحبه مغرور): أي مخدوع.

(84) ومن خطبة له عليه السلام

(عباد الله): أيها الموصوف بالعبودية.

(إن من أحب عباد الله إلى الله عبداً أعانه الله على نفسه): المحبة من الله تعالى: هي إرادة النفع لصاحبها، ولا يتصور سوى ذلك، وعلى هذا يحمل قوله تعالى: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}[المائدة:54] أي يريد نفعهم، وأراد بالإعانة هي التقوية على مخالفة الهوى بفعل الألطاف الخفية من أجله.

(فاستشعر الحزن): أي جعله له شعاراً، وهو أخص من الدثار.

(وتجلبب الخوف): أي جعله له(1) جلباباً، والجلباب: ضرب من الثياب.

(فزهر مصباح الهدى في قلبه): أي توقد، وهو استعارة لما يظهر من حاله من(2) الإيمان، واطمئنانه به(3)، وانشراح صدره بسببه.

(وأعدَّ القِرَى ليومه النازل به): أراد أنه أعدَّ الأعمال الصالحة لليوم الذي ينزل عليه فيه الموت، فهو في راحة ومسرة بملاقاة ذلك والبشارة به .

(فقرَّب على نفسه البعيد): فقصر آماله البعيدة بما كان منه من استشعار الموت وحضور وقته.

(وهوَّن الشديد): واستهون(4) ما يكابد من الشدائد في الدنيا، بأن قرر(5) في خاطره انقطاعها وزوالها.

(ونظر): بقلبه وتفكر في حاله.

(فأبصر): فأصاب البصيرة في دينه وعاقبة أمره.

(وذكر): الموت وأحوال الآخرة وأهوالها.

(فاستكثر): من التزود لتلك الأهوال بما يدفعها ويزيلها عنه.

---

(1) قوله: له، سقط من (ب).

(2) قوله: من، سقط من (ب).

(3) قوله: به، سقط من (ب).

(4) قوله: واستهون سقط من (أ).

(5) في (ب): قدر.

(494/2)

(وارتوى من عذب فرات): العذب: الخالص من الملوحة، والفرات: الطيب، واستعارذلك لما يحصل له من الاهتداء بالأدلة، واقتفاء آثارها، والاقتداء بِعَلَمِهَا ومنارها.

(سُهِّلت موارده): المورد: الذي يؤخذ منه الماء، وأراد أوضحت(1) أعلامه وحججه وبراهينه.

(فشرب نهلاً): النهل هو: الشرب الأول، وإنما خصه بالذكر دون العلل وهو الشرب الثاني لما فيه من تطفئة نيران العطش، وتسكين حركته في أول وهلة، بخلاف الشرب الثاني فليس له ذلك الموقع.

(وسلك سبيلاً جدداً): الجدد: هي الأرض الصلبة، وفي المثل: من سلك الجدد أمن من العثار، وأراد ها هنا الطريق المستقيم على الحق.

(فقطع سرابيل الشهوات)(2): أراد علائق ما تشتهيه النفس وتدعو إليه، واستعار السرابيل لذلك.

(وتخَلّى من الهموم): أزالها عن قلبه، وترك الشغل بها.

(إلا هماً واحداً): وهو خوف الله، والإقبال على الآخرة، والعمل لها.

(انفرد به): تخلّى له، وأقبل عليه.

(فخرج عن(3) صفة أهل العمى): بما كان من إعراضه عما يعمي القلوب عن ذكر الله وخوفه من أمور الدنيا.

(ومشاركة أهل الهوى): وخرج عن أن يكون مشاركاً لمن كان متبعاً لهواه.

(وصار): لما كان بهذه الحالة، واتصافه بهذه الصفة.

(من مفاتيح أبواب الهدى): التي أغلقت على غيره.

---

(1) في (ب): أوضحت، وكذلك في نسخة أخرى كما أثبته، في (أ): وضحت.

(2) في النهج: قد خلع سرابيل الشهوات.

(3) في النهج: من.

(ومغاليق أبواب الردى): وهذا من أنواع(1) البديع يسمى الطباق؛ وهو أن يذكر الضدين جميعاً، وقد ورد في كلام الرسول [صلى الله عليه وآله وسلم](2)ما يلائم هذا المعنى، حيث قال: ((هنيئاً لمن جعله الله مفتاحاً للخير، مغلاقاً للشر))(3).

(قد أبصر سبيله): استبصر في أمر دينه.

(وسلك طريقه): التي أمر باتباعها.

(وعرف مناره): المنار: علم الطريق فأمَّه وقصده.

(وقطع غِماره): حتى بلغه ووصل إليه، والضمير للمنار ها هنا، وما قبله من الضمائر راجع إلى المذكور في أول الكلام، والغِمار بكسر الفاء لايكون إلا جمعاً، يقال: بحر غمر، وبحار غِمار، وبفتحها وضمها يكون مفرداً، [و] (4)يقال: قطعت غَمار الناس وغُمارهم، أي كثرتهم، فقوله: غِماره، يصلح أن يكون مفرداً أومجموعاً، وروايتنا فيه بكسر الفاء على الجمع.

(واستمسك من العرى بأوثقها): وهي عروة الدين التي لا انفصام لها.

---

(1) في (ب): باب.

(2) زيادة في (ب).

(3) أخرجه ابن ماجة في سننه برقم (234) كتاب المقدمة من حديث طويل، عن سهل بن سعد، وقوله هنا: ((هنيئاً لمن جعله الله...))إلخ في سنن ابن ماجة ((فطوبى لعبد جعله الله))، وللحديث شاهد قريب منه، أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 177/2 بسنده عن أنس بن مالك بلفظ: ((إن لله عزوجل عباداً مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن لله عزوجل عباداً مغاليق للخير مفاتيح للشر، فطوبى لعبد جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لعبد جعل الله مفاتيح الشر على يديه)) وهو بلفظ: ((طوبى لمن جعله الله مفتاحاً للخير)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 414/5، وانظر مسند شمس الأخبار 24/2 الباب (106).

(4) زيادة في (أ).

(ومن الحبال بأمتنها): أقواها لحصافته وهو أمرالدين، كما قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا}[آل عمران:103].

(فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس): أراد فهو من البصيرة والتحقق، لما هو فيه من أمر الديانة، وانشراح الصدر، واطمئنان النفس، على قطع كقطعه بنور الشمس وتحققه له.

(قد نصب نفسه لله): وضعها.

(في أرفع الأمور): أعلاها وأحمدها وهو خوف الله وتقواه.

(من إصدار كل وارد عليه): من(1) الشبهات في أمرالدين بردِّه وحلَّه، أو مما يلج في الخاطر من وسواس الشيطان وخياله.

(وتصيير كل فرع إلى أصله): ووضع كل شيء في موضعه، كما هو من شأن العقلاء.

ويحكى عن الإمام زيد بن علي(2)

---

(1) قوله: من سقط من (أ).

(2) هو: الإمام الأعظم والطود الشامخ الأشم الشهيد أبو الحسين زيد بن الإمام السجاد زين العابدين علي بن الإمام السبط الحسين بن الإمام المرتضى علي بن أبي طالب "، أحد عظماء الإسلام وأئمة العلم والعمل والجهاد والتضحية والفداء، مولده سنة 75هعلى أصح الأقوال في المدينة المنورة، وبها نشأ وترعرع في أحضان العلم والفضيلة، وأخذ عن أبيه زين العابدين السجاد وأخيه محمد الباقر، ثم تتلمذ للقرآن ثلاث عشرة سنة يقرأه ويتدبره، حتى لقب بحليف القرآن، وكان يشبَّه بأمير المؤمنين في الفصاحة والبلاغة والبراعة، قال خالد بن صفوان المنقري: انتهت الفصاحة والخطابة والزهادة والعبادة من بني هاشم إلى زيد بن علي، لقد شهدته عند هشام بن عبد الملك وهو يخاطبه وقد تضايق به مجلسه.

وأصبح الإمام زيد (ع) بدراً لائحاً في سماء المعرفة، قال الإمام أبو حنيفة: ما رأيت في زمانه أفقه منه، ولا أسرع جواباً، ولا أبين قولاً._ ... _واتفق علماء عصره على تقديمه وتفضيله على سائر أقرانه، وأقام في المدينة المنورة الشطر الأول من عمره الشريف، ثم تنقل بين الحجاز والشام والعراق، يلتقي العلماء ويحثهم على الجهاد ومنابذة الظالمين، وعقدت له البيعة سنة121هـ، وبايعه أربعون ألفاً على الدعوة إلى الكتاب والسنة وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، والعدل في قسمة الفيء، ورد المظالم ونصر أهل البيت، وخرج مجاهداً في سبيل الله سبحانه ثائراً على الظلم ليلة 22شهر محرم سنة 122هـ، وصارع جيوش الأمويين ليال متتالية وصمد لها ببسالة وبطولة نادرة سجلتها كتب التأريخ، رغم عدم التكافؤ بين جيشه وجيش الأمويين وتخلف أكثر وأغلب من بايعه في نصرته، ثم أصيب بسهم غائر غادر في جبهته فلحق بجده سيد الشهداء الحسين بن علي (ع) والركب الطاهر من أهل بيته، رافعاً راية الإسلام خفاقة ملطخة بدمه ودماء الشهداء من أهل بيته وأصحابه لتجدد ما سقاه بدمه جده الحسين بن علي، وتضيء للأمة طريق الحرية والكرامة،

ولم يكتف الظالمون بقتله بل نبشوه بعد دفنه، وصلبوه وأحرقوا جثته وأغرقوا رماد جثته الطاهرة في مياه نهر الفرات، وفي ذلك يقول الصاحب بن عباد:

لم يشفهم قتله حتى تعاروه .... نبش وصلب وإحراق وتغريق_ ... _أخباره كثيرة ومناقبة وفيرة، فهو إمام جهاد وقائد ثورة، ومؤسس مذهب، ومجدد لدين الله، ومحيي لما اندرس من أعلام الدين الشريف، وأخباره مبثوثة في شتى كتب التأريخ وفي سيرته كتب، وقد ترك سلام الله عليه مصنفات منها:_ ... _مسند الإمام زيد بن علي (يشمل المجموع الحديثي والمجموع الفقهي) وهو أول كتاب دون في الفقه الإسلامي طبع، ومنها: تفسير غريب القرآن طبع بتحقيق الدكتور حسن محمد الحكيم، ومنها: رسالة الحقوق، وتثبيت الوصية، وتثبيت الإمامة، ورسالة الإمام زيد بن علي إلى علماء الأمة وغيرها._ ... _(انظر الأعلام 59/3، التحف شرح الزلف ص63-76، والإفادة في تأريخ الأئمة السادة ص61-67، وانظر عنه وعن مؤلفاته ومصادر ترجمته أعلام المؤلفين الزيدية ص 439-444 ترجمة رقم (430).

(497/2)

أنه قيل له: صف لنا العاقل؟

فقال: هو الذي يضع الأشياء مواضعها.

فقالوا له: صف لنا الجاهل؟

فقال: قد فعلت.

(مصباح ظلمات): بنور علمه.

(كشّاف عشوات): ناقة عشواء إذا كانت سيئة البصر، وأراد أنه رافع لكل عشوة.

(مفتاح مبهمات): وهو ما كان ملتبساً من أمورالدين.

(دفاع معضلات): أعضل الأمر إذا اشتد، وأراد أنه دافع للشدائد بصواب(1) رأيه.

(دليل فلوات): الفلاة هو: المفازة الخالية، والقفر المنقطع، وأراد أنه خبير بطرق السلامة، والسبل المؤدية إلى الجنة، فاستعار ذلك له.

(يقول): يتكلم بكلامه.

(فيُفْهِمُ): فينفع الله بكلامه من سمعه منه.

(ويسكت): عن الكلام الذي لاخيرفيه ولا فائدة تحته.

(فيسلم): عن وزره وإثمه.

(فهو من(2) معادن دينه): جوهرها الصافي.

(وأوتاد أرضه): ومن أوتادها أقواها وأوثقها(3)، مثَّله بذلك لما يظهر من صفاء قلبه، ووثاقته(4) في

الدين وصلابته فيه.

(قد ألزم نفسه العدل): الإنصاف في جميع الأمور كلها، وألا(5) يحيف في قول ولا فعل.

(فكان أول عدله نفي الهوى عن نفسه): فكان إنصافه إزالة الهوى؛ وهو كل ما تحبه النفس وتريده فذلك هو أول التوفيق من الله.

(قد أخلص لله): بالأعمال الصالحة.

(فاستخلصه): بإمداده بأنوا ع التوفيقات، كما قال تعالى: {إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ [ذِكْرَى الدَّارِ](6)}[ص:46].

(يصف الحق): بلسانه.

(ويعمل به): أراد ويطابق فعله قوله.

---

(1) في (أ): بصوب.

(2) في (أ): في، وقبل هذه العبارة في شرح النهج: قد أخلص لله فاستخلصه.

(3) في (ب): أوثقها وأقواها.

(4) في (أ): وثاقبه، و في (ب): وما فيه، وما أثبته من نسخة أخرى.

(5) في (أ): ولا يحيف، وفي (ب) ما أثبته.

(6) زيادة في (ب).

(498/2)

(لا يدع للخير غاية): للأعمال الصالحة طريقاً من طرقها.

(إلا أمَّها): قصدها وتبعها، كما قال تعالى: {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ}[البقرة:148].

(ولا مظنة إلا قصدها): المظنة: موضع الشيء ومألفه الذي يظن كونه فيه، وروايتنا فيه بكسر الفاء، وهو مخالف لقياس بابه في الفتح.

(قد أمكن الكتاب من زمامه): فهو يقوده إلى الجنة، كما قال صلى الله عليه: ((من جعله أمامه قاده إلى الجنة))(1).

(فهو قائده وإمامه): إلى كل خير.

(يحل حيث حل ثَقَلُهُ): الثَّقَلُ بوزن جَبَل(2)، هو: متاع المسافر وأثاثه، وأراد بالثقل أحكام القرآن وما تدل عليه من التكاليف الشاقة فلهذا سماها ثقلاً.

(وينزل حيث كان منزله): وغرضه في ذلك هو أنه موافق للقرآن في جميع أحواله وأموره.

(وآخر): أي ورجل آخر غير من ذكره.

(قد تسمى عالماً): أُطلق عليه هذا الوصف.

(وليس به): أي وليس(3) الأمر كما زعم.

(فاقتبس): أي أخذ، من قولهم: اقتبس ناراً.

(جهائل): جمع جهالة مثل حمامة وحمائم.

(من جهَّال): من أقوام جاهلين.

(وأضاليل): جمع لا واحد له من لفظه، وفي التقدير كأنه جمع لإضليلة، لأن فعالة لاتجمع على أفاعيل، وإنما هو جمع لأفعال كأنعام وأناعيم.

---

(1) رواه من حديث طويل الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني عليه السلام في أماليه ص243 بسنده عن الإمام علي عليه السلام، وعن أمالي أبي طالب رواه في رضاء الرحمن في الذكر والدعاء وتلاوة القرآن ص30، وهو من حديث في الأربعين السيلقية ص 19، رقم (5) عن أبي سعيد الخدري بلفظ: ((من جعله إماماً قاده إلى الجنة))، وأخرجه من حديث بسنده عن شقيق عن عبد الله الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 113/1.

(2) في (ب): الثقل هو بوزن جَبَل.

(3) في (ب): ليس، بغير واو.

(499/2)

(من ضلاَّل): من أقوام ضلّوا عن الطريق.

(نصب للناس أشراكاً): الشَّرَكُ: ما يصطاد به.

(من حبال(1) غرور): بسطها لهم ليقعوا فيها.

(وأقوال زور): قد زخرفها وزينها لهم ليغتروا بها.

(قد حمل الكتاب على رأيه): على مذاهبه الباطلة.

(وعطف الحق على أهوائه(2)): ردَّه عن مجراه الذي كان جارياً فيه على ما يوافق أهويته الفاسدة الحائدة عن الحق.

(يؤم(3) العظائم): يؤم(4) المخوفات العظيمة من القبائح.

(ويهون كبيرالجرائم): ويصغر ما كان من الأفعال المجترمة كبيراً ليكون مرتكباً لها.

(يقول:): بلسانه.

(أقف عند الشبهات): أحجم عن فعلها وارتكابها.

(وفيها وقع): أي تمكن واستقر.

(ويقول:): نطقاً بلسانه.

(أعتزل البدع(5)): أجانبها.

(وبينها اضطجع): أي وبين جوانبها كان مضطجعه ومستقر نومته.

(فالصورة صورة إنسان): لما فيه من التركبة الآدمية، وتأليف الصنعة الإنسانية.

(والقلب قلب حيوان): أراد قلب البهائم التي لاعقل لها ولا تمييز.

(لا يعرف باب الهدى فيتبعه، ولا باب العمى فيصد عنه): أراد أن من هذه حاله فهو في حيرة من أمره، وضلال من رأيه، لا يدري أين الخير والشر لاستبهام الأمور عليه كلها لجهالته وعمى رأيه.

---

(1) في النهج: حبائل.

(2) في (أ): أهوائها، وما أثبته من (ب) وشرح النهج.

(3) في (ب): يؤمّن، والعبارة في شرح النهج: يؤمن الناس من العظائم.

(4) في (ب): يؤمن.

(5) في (أ) الشبهة.

(500/2)

(فذلك ميت الأحياء): أراد فذلك الذي يعد ميتاً وهو من جملة الأحياء، كما قال تعالى: {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا}[الأنعام:122]، ولقد صدق من قال(1):

ليسَ من ماتَ فاستراحَ بميتٍ .... إنَّما الميتُ ميِّتُ الأحياءِ

(فأين تذهبون؟): عن طرق الحق أو عن هذه المواعظ الشافية.

(وأنى تؤفكون؟): تصرفون عن المسالك الواضحة.

(والأعلام قائمة): مستقيمة، لا يلحقها اضطراب.

(والآيات واضحة): جلية بينة لمن استوضح أمرها.

(والمنار منصوبة): هو علم الطريق، وإنما أنَّثه حملاً على معناه، وأراد به الطريقة(2).

(فأين يتاه بكم!): تاه إذا ذهب متحيراً في أمره.

(بل كيف تعمهون!): تترددون.

(وبين أظهركم عترة نبيكم): عترة الرجل هم: أقاربه الأدنون منه، بالقرب منكم مشبَّه بحال من يلي ظهرك في القرب والدنو.

(وهم أَزِمَّةُ الحق): يتمسك به الخلق فينجون بإمساكه.

(وألسنة الصدق): فيتكلمون به.
(فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن): أراد أحلّوهم في أحسن المحالّ التي أحلهم القرآن فيها، وهو قوله تعالى: {قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى}[الشورى:23] فالله تعالى أحلهم هذا المحل، وهو البعث على مودتهم وموالاتهم.
(وردوهم ورد(3) الهيم العطاش): أراد وتعلموا منهم تعلم جاهل من عالم، شبههم بالمورد، وشبه من يأخذ منهم بالإبل الهائمة من شدة العطش؛ لما يعتريها من الهيام.

---

(1) هو عدي بن الرعلاء، انظر شرح قطر الندى ص 234.
(2) في (أ): الطريق، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.
(3) في النهج: ورود.

(501/2)

(أيها الناس، خذوها عن خاتم النبيين): الضمير في قوله: خذوها، أي هذه الكلمة وهو ما قلته في حق العترة، أوخذوا هذه الموعظة فإني مبلغها عن الرسول صلى الله عليه وآله.
(إنه يموت منّا من يموت وليس بميت): أراد أنه وإن مات فإن ما بعده من الآثار(1) من العلوم والسير الصالحة التي يقتدى بها باقية بعده فهو حي ما دامت حية في أثره.
(ويبلى منّا من يبلى وليس ببال): لأن آ ثاره غضة طرية لا تخلق أبداً.
(فلا تقولوا): من أفواهكم بألسنتكم.
(ما(2) لا تعرفون): حقيقة حاله بقلوبكم.
(فإن أكثر الحق فيما تنكرون): وهذا ظاهر، فإن الحق كله في مخالفة الأهواء، فلا جرم أنكرته(3) الطباع لمخالفته لها، وأراد بهذا الكلام الإنكار على من جحد فضل العترة وأنكره.
(واعذروا من لاحجة لكم عليه): عذره إذا جعل له عذراً، وأعذره إذا صار ذا عذر عنده، واعتذر إليه إذا مهد إليه عذره، وتعذر منه واستعذر إذا لم يسعف بحاجته، والمعنى في هذا واجعلوا لي عذراً عند أنفسكم فإنه لا حجة لكم على من أنصف الحق من نفسه، وبذل الحق من عنده.
(وهو أنا): ومصداق ما قلته من وجوب الحجة لي عليكم، وزوال عذركم هو ما أقوله الآن.

---

(1) في (ب): الآيات.
(2) في النهج: بما.
(3) في (ب): فلاجرم إن أنكرته.

(ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر ! وأترك فيكم الثقل الأصغر !): أشار بذلك إلى قول الرسول عليه السلام: ((إني تارك فيكم الثقلين، فالثقل الأكبر هو كتاب الله، والثقل الأصغر هم العترة))(1) وإنما سميا ثقلين؛ لما تضمناه من أثقال التكاليف وتحمل أعبائها، وأراد أن سيرتي فيكم مطابقة لحكم كتاب الله، وجعلت أولادي الذين هم أولاد الرسول وعترته خلفاً عليكم بعدي.

---

(1) حديث الثقلين هو من الأحاديث المشهورة المتواترة، ويوجد في معظم كتب الحديث، وقد ورد من عدة طرق وبعدة ألفاظ منها ما أخرجه الحافظ الكوفي في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب 167/2 رقم (646) بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، فإنهم لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)) والحديث فيه باختلاف ألفاظه وتعدد طرقه انظر الفهرس، وانظر حديث الثقلين وتخريجاته في تحكيم العقول للحاكم الجشمي ص36-37، والانتصار للإمام يحيى بن حمزة ص188،185، وانظره بتعدد رواياته وطرقه وألفاظه في الاعتصام للإمام القاسم بن محمد 132/1-152، وانظر الحديث ورواته ومخرجيه في لوامع الأنوار للعلامة المجتهد الكبير مجد الدين بن محمد المؤيدي 48/1-53 وغيرها، وانظر أيضاً ترجمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من تأريخ دمشق لابن عساكر 36/2 رقم (536) وغيره (انظر الفهرس)، وأخرج حديث الثقلين الترمذي في سننه 662/5، والبيهقي في السنن الكبرى 130/5،45، وابن أبي شيبة في مصنفه 309/6، والطبراني في الأوسط 33/4، والصغير 232/1، والكبير 66/3، 154/5، 166، 169، 170، 182، 186، ومصادر الحديث كثيرة.

(وركزت فيكم راية الإيمان): أراد أني أظهرت لكم معالم الدين وبينت أحكام الإيمان، والركز والراية، استعارة رشيقة لبيان ذلك.

(ووقفتكم على حدود الحلال والحرام): أي أطلعتكم على ما يحل لكم أخذه وفعله، ويحرم عليكم فعله وتناوله في جميع أحوالكم كلها، وحدد ته بحدود، وحجزته بحواجز عن الا ختلاط والاشتباه، أخذاً من قولهم: وقفته على أمره(1) إذا أطلعته عليه.

(وألبستكم العافية من عدلي): أراد أني جعلت العدل لباساً لكم تتقلبون فيه كلباس العافية الشاملة.

(وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي): وجعلت(2) الإحسان من جهتي فراشاً لكم ممهداً.
(وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي): أي لم تصادفوني فظاً غليظاً بل كنت لكم على خلاف ذلك من الرقة لكم، والرحمة والرأفة عليكم.
وأقول: إن هذا الكلام قد بلغ في النضارة والحسن حد الإعجاب، فكما هو دال على بذل المعروف بالقول والفعل والنفس، فقد دل على التجنيس العجيب ، واشتمل على المجاز الرشيق ،بذكر اللباس والفراش، كما قال تعالى لنبيه في هذا المعنى: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ}[الحجر:88] وقال: {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}[التوبة:128] فقد بذل من نفسه للأمة ما أمر الله نبيه أن يبذله لأمته، ويسير فيهم به إبلاغاً في الحجة، وقطعاً للمعذرة.
(فلا تستعملوا الرأي فيما لا يدرك قعره البصر): أراد فلا تضعوا(3) آراءكم في الأمور المحالة في مخالفتي والاعتراض على سيرتي، فإن هذا مما لا قعر له أي غاية فتكون(4) مبصرة مرئية.

---

(1) في (ب): أمر.
(2) في (ب): أي وجعلت.
(3) في (أ): فلا تضيعوا.
(4) في (أ) فيكون مبصره مرتبة، وهو تصحيف، وفي (ب) كما أثبته.

(504/2)

(ولا يتغلغل إليه الفكر): الغلغلة: هي السير الشديد، وعنى بذلك أن الفكر وإن اشتد أمره وعظم دخوله فإنه لا يدركه ولا يصل إليه لعدمه وانتفائه، ثم خرج إلى ذكر بني أمية بقوله:
(حتى يظنَّ الظانُّ): لكثرة ما يرى من انبساط ملكهم وإحاطتهم بالأقاليم الإسلامية، واحتوائهم عليها، حتى قال سليمان بن عبد الملك(1) وقد رأى سحابة: امطري حيث شئت فخراجك إليَّ، كل ذلك إعجاب باستيلائه وملكه.
(أن الدنيا معقولة على بني أمية): عقل ناقته إذا حبسها عن الذهاب، وأراد أنها محبوسة عليهم لا يزال ملكهم فيها ونعيمهم(2) بلذتها.
(تمنحهم درها): تعطيهم خيرها من منحه إذا أعطاه.
(وتوردهم صفوها): الصفو خلاف الكدر، أراد(3) أنها تدلهم على مواردها الصافية ومشاربها العذبة، ثم يقطع الله دابرهم ويستأصل شأفتهم.
(ولا يرفع(4) عن هذه الأمة سوطها): جورها وحيفها وعنفها بالخلق وإيلامهم بإزالتهم واقتلاع جرثومتهم.

(ولاسيفها): قتلهم للخلق من غير استحقاق ولا تقديم(5) جريمة.

(وكذب الظان لذلك): فإن الله قادر على الانتقام(6) كما فعل بمن كان أشد منهم بسطة وأعظم قوة.

(بل هي مَجَّةُ من قليل العيش): المَجَّةُ بفتح الميم: ما يضعه الإنسان في فِيْه ثم يرمي به، وشبه دولتهم بذلك لا نقطاعها وسرعة زوالها.

(يتطعمونها برهة): يذوقونها مدة يسيرة.

---

(1) هو سليمان بن عبد الملك بن مروان، أحد ملوك بني أمية، ولد سنة 54هـ، وولي الملك سنة 96هـ، وتوفي سنة 99هـ. (انظر الأعلام 130/3).

(2) في (ب) ونسخة أخرى: وتنعمهم.

(3) في (ب): وأراد.

(4) في (ب): ولا يرتفع.

(5) في (ب) وفي نسخة أخرى: ولا تقدم.

(6) في (أ): انتقام، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(505/2)

(ثم يلفظونها جملة): ثم تنقطع عنهم كأنها ما كانت في أيديهم، ولا نعموا فيها ساعة واحدة، وهذه من جملة الأخبار الغيبية التي أقرها رسول الله صلى الله عليه وآله في أذنه وأودعها إياه، فكان الأمر كما قالهعليه السلام، فكانت خلافتهم من أولهم إلى آخرهم دون مائة سنة.

(85) ومن خطبة له عليه السلام

(أما بعد، فإن الله لا(1) يقصم جبَّاري دهر إلا بعد تمهيل ورخاء): قصمه إذا قطعه، وأصل جبَّاري جبَّارين جمع جبَّار، لكن طرحت نونه للإضافة، وأراد الإعلام بأن الله تعالى ما قطع دابر قوم بالإهلاك، إلا بتمهيل في الأعمار، كما قال تعالى: {وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ}[الأعراف:183] ورخاء في المعيشة، كما قال تعالى: {سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ}[الأعراف:182] ليزدادوا إثماً بالإملاء، كما قال تعالى: {إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا}[آل عمران:178] يزدادوا غفلة بالإرخاء والدعة كما هو عادة أهل الرفاهية والفجور.

(ولم يجبر عظم أحد من الأمم إلا بعد أزل وبلاء): الأزل: الشدة، وأراد أن الله تعالى ما أرخى على قوم عيشهم وخوَّلهم إلا بعد اختبار منه وامتحان بالشدائد وأنواع الضَّيق في المعيشة.

(وفي(2) دون ما استقبلتم من خطب(3)): أخطار الدنيا، وأهوال الآخرة.

(واستدبرتم (4) من خطأ): ذنوب سالفة(5)، ومعاصي متقدمة.

---

(1) في (ب) وشرح النهج: لم يقصم.
(2) في (ب): في، وفي (أ): وفيما، وما أثبته من نسخة أخرى ومن شرح النهج.
(3) في النهج: من عتب.
(4) في (أ): واستبدرتم، ولفظ العبارة في النهج: وما استدبرتم من خطب، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.
(5) في (ب): سابقة.

(506/2)

(معتبر(1)): إما أمر يعتبر به ويتعظ، وإما اعتبار وموعظة لكم.
(وما كل ذي قلب بلبيب): اللبُّ: العقل، وأراد وما كل من كان له قلب فهو عاقل.
(ولا كل ذي سمع بسميع): ولا كل من كان له آلة السمع فهو يسمع بها.
(ولا كل ذي ناظر ببصير): ولا كل من كان(2) له عين فهو يبصر بها ؛ لأن هذه الحواس ربما كانت حاصلة لأهلها، وبها آفة ويلحقها فساد، فلهذا لم يكن المقصود بها حاصلاً، وأراد التعريض بحالهم والتهكم بهم حيث كانت هذه الآلات حاصلة لهم وهم لم يستعملوها وينتفعوا بها على حدها اللائق بها.
(فيا عجباً!): أراد إما ياعجبي، وإما ياعجباه على ما قررنا شرحه من قبل.
(وما لي لا أعجب): وأي شيء يعرض لي عن الاستعجاب مع وجود أسبابه.
(من خطأ هذه الفرق): من زيغها وضلالها واتباع أهوائها.
(على اختلاف حججها في دينها): أراد أن الدين واحد، من حيث كان إلههم واحداً، ونبيهم واحداً، وشريعتهم واحدة، وكتابهم واحداً، فليت شعري من أين جاء الاختلاف بينهم، والحال(3) هذه وما بالهم!
(لا يقتصون أثر نبي): قد أرسل إليهم لإصلاحهم.
(ولا يقتدون بعمل وصي): قد خُلِّف ولياً عليهم من جهة النبي.
(ولا يؤمنون بغيب): ولا يصدِّقون بالأمور الغائبة التي قد قام البرهان على صحتها وبيانها، وأراد المنكرين للقيامة وأحوال الآخرة من هذه الفرق الضالة.
(ولا يعفون عن عيب): ولا يغتفرون ما يرونه من عيوب بعضهم لبعض، وأراد أنهم في أنفسهم ليسوا بأهل تناصح، بل كل [واحد] (4) منهم يظهر عيب صاحبه لما يظهر بينهم من العداوة والبغضاء.

(1) في (ب): معتبراً لمن اعتبر.

(2) في (ب) وفي نسخة أخرى: كانت.

(3) في (ب): والحالة.

(4) سقط من (ب).

(507/2)

(يعملون في الشبهات): إما(1) فيما يعتقدونه مما يكون مخالفاً للتوحيد والتنزيه(2)، وإما فيما يتصرفون فيه من هذه الأموال فإنهم يدخلون فيها مداخل الشبه.

(ويسيرون في الشهوات): أراد وتصرفهم(3) في سيرهم وأعمالهم إنما هو(4) بأعمال الشهوات، والتعويل عليها في جميع أحوالهم كلها.

(المعروف فيهم ما عرفوا، والمنكر عندهم(5) ما أنكروا): يعنى أنهم قد أعجبوا في أنفسهم بآرائهم كلها، فالمعروف فيهم ليس إلا ما قالوه من جهة أنفسهم، وإن لم يكن موافقاً للبراهين والأدلة، والمنكر ما امتنعوا من(6) فعله وإن لم يكن منهياً عنه بالأدلة.

(وفزعهم(7) في المعضلات إلى أنفسهم): يعني أنهم إذافزعوا عند أمر شديد فلا يرجعون إلى بصيرة وإنما عمدتهم الأهواء.

(وتعويلهم في المبهمات(8) على رأيهم): وما يعوِّلون عند نزول الأمور المبهمة التي تفتقر إلى الأنظار(9)، وحكِّ القرائح، إلا على ما يكون من جهة أنفسهم لا غير، وهذا كله إنكار منه عليهم في ذلك.

(كأن كل امرئ منهم إمام نفسه): يقتدي بها كما يقتدى بالأئمة ويهتدى بآرائهم.

(قد أخذ منها فيما يرى بعرى موثقات(10)): قد استوثق منها فيما يزعم ويظن بأسباب وثيقة لا تنتقض.

(وأسباب محكمات): لا يتطرق إليها التغيير، وكلامه عليه السلام في هذا الإنكار يحمل على وجهين:

---

(1) في (ب): أي.

(2) في (ب): والنبوئة.

(3) الواو في قوله: وتصرفهم سقط من (ب).

(4) في (ب): هي.

(5) قوله: عندهم سقط من (أ).
(6) في (ب): عن.
(7) في (ب) وفي نسخة أخرى: ففزعهم، وفي شرح النهج: مفزعهم.
(8) في (ب) وشرح النهج: المهمات، وقوله في العبارة هنا: رأيهم، في شرح النهج: آرائهم.
(9) في (ب): أنظار.
(10) في شرح النهج: ثقات، و في (ب): موبقات.

(508/2)

أحدهما: أن يريد من خالف التوحيد والأدلة العقلية فيما دلت عليه.

وثانيهما: أن يريد من خالف الشارع فيما نصَّ عليه من النصوص القاطعة العلمية، أوخالف الوصي فيما كان مقطوعاً به، فأما ما وراء ذلك فلا وجه للقطع بالخطأ فيه من مسائل الا جتهاد، كما قررناه في غير هذا الموضع.

(86) ومن خطبة له عليه السلام

(أرسله على حين فترة من الرسل): الفترة: المدة التي بين الرسل، وأراد تطاول الزمن ما بين عيسى ونبينا صلى الله عليه وآله، فإن تلك المدة(1) لتطاولها اندرست فيها الأعلام، وامَّحت فيها الشرائع، فلهذا قال: على حين فترة مشيراً إلى ما قلناه.

(وطول هجعة من الأمم): الهجوع(2) هو: النوم ليلاً، قال قيس بن الأسلت(3):

قد حصَّت البيضةُ رأسي فما .... أَطْعَمُ نوماً غير تَهْجَاعِ(4)

وأراد كثرة هجوعهم على(5) الجهل.

(واعتزام من الفتن): عزم الأمر إذا قطعه برأيه، وأراد واقتطاع من الفتن لأهلها ومن كان والجاً فيها.

(وانتشار من الأمور): إذ لا نظام يجمعها من نبي ولا وصي ولا من يدل على الحق ويرشد إليه.

---

(1) أكثر الناس على أن المدة بين عهد المسيح عليه السلام وإرسال نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ستمائة سنة. (انظر شرح ابن أبي الحديد).

(2) في (ب): الهجعة.

(3) كذا في النسختين، وفي الأعلام ولسان العرب: أبو قيس بن الأسلت، وهو صيفي بن عامر الأسلت بن جشم الأوسي الأنصاري، المتوفى في السنة الأولى من الهجرة، أبو قيس، شاعر جاهلي، من حكمائهم، كان رأس الأوس وشاعرها وخطيبها، وقائدها في حروبها، وكان يكره عبادة الأوثان

ويبحث عن دين يطمئن إليه، ووصف له دين إبراهيم فقال: أنا على هذا (انظر الأعلام 211/3).
(4) لسان العرب 774/3.
(5) في (ب): عن.

(509/2)

(وتلظٍّ من الحروب): فيما بين العرب؛ لأنهم كانوا قبل البعثة، لهم أيام في الحروب ووقائع عظيمة، كما كان في حرب داحس(1)، ويوم الفجار(2) وغيرهما، من الأيام.
(والدنيا كاسفة النور): كسفت الشمس إذا ذهب نورها، وأراد أنها مكسفة لعدم من يدعو إلى الخير من الأنبياء والأولياء والصالحين، وانقطاع عهدها من ذلك.
(ظاهرة الغرور): لما يحصل فيها من البدع واتباع الأهواء الداعية إلى الاغترار والجالبة له.
(على حين اصفرار من ورقها): دنو من أجلها، واقتراب من انقضائها، وجعل اصفرار الورق كناية عن ذاك.
(وإياس من ثمرها): أيس مقلوب يئس(3)، والمصدر منهما واحد، تقول: أيست أأْيس منه يأساً، ويئست(4) آيس منه يأساً، واليأس: هو انقطاع الرجاء عن الشيء.

---

(1) حرب داحس وقعت بين عبس وذبيان أربعين سنة، والسبب في ذلك أن قيس بن زهير بن جذيمة العبسي، وحذيفة بن بدر الذبياني ثم الفزاري تراهنا على عشرين بعيراً، وجعلا الغاية مائة غلوة، والمضمار أربعين ليلة، فأجرى قيس داحساً والغبراء –وهما اسمان لفرسين– وأجرى حذيفة الخطار والحنفاء، وهما اسمان لفرسين أيضاً فوضعت بنو فزارة رهط حذيفة كميناً في الطريق، فردوا الغبراء ولطموها وكانت سابقة، فهاجت الحرب بين عبس وذبيان أربعين سنة (انظر القاموس ص 700).
(2) قال الجوهري: الفجار: يوم من أيام العرب، وهي أربعة أفجرة، كانت بين قريش ومن معها من كنانة، وبين قيس بن عيلان في الجاهلية، وكانت الديرة على قيس، وإنما سمت قريش هذه الحرب فجاراً لأنها كانت في الأشهر الحرم، فلما قاتلوا فيها قالوا: قد فجرنا فسميت فجاراً (لسان العرب 1055/2).
(3) في (ب): يأيس.
(4) في (ب): ويئست منه...إلخ.

(510/2)

(واغورار مائها(1)): إدبارها وذهاب رونقها.

(قد درست فيها أعلام الهدى) : امحت وبطلت بانقطاع الأنبياء.

(وظهرت أعلام الردى): أمارات الجهل والبدعة، وأراد ما كان من أمور الجاهلية وضلالتها وبدعها وجهالاتها.

(فهي متجهمة على أهلها): تجهم عليه إذا كلح في وجهه وعبس، قال:

فلا تَجْهَمينا أم عمرو فإنَّنا .... بنا داءُ ظَبْيٍ لم تَخُنهُ عَوامِلُه(2)

وأراد أنه لا داء بنا كما أن الظبي لا داء فيه، فلأجل تغير أحوالها صارت كأنها كالحة عابسة، وقوله: لأهلها، أراد إما من أجل أهلها، فإن تغيرها ما كان إلا من جهتهم وإحداثهم البدع فيها، وإما أراد اختصاص العبوس بأهلها كما تقول: قلت له، وقال لي.

(عابسة في وجه طالبها): العبوس: هو انكساف الوجه(3) وتغيره.

(ثمرها(4) الفتنة): لما بذروا فيها الغفلة والشقاء، أثمرت لهم الفتن والبلايا.

(وطعامها الخيفة(5)): الطعام: ما يذاق في اللَّها(6) وأراد أنه لما كان ثمرها(7) الفتنة فمذاقها لاشك هو الخيفة والإشفاق(8) والقلق.

(وشعارها الخوف):

---

(1) في (ب): واغورار من مائها، وفي شرح النهج: وإعوار من مائها.

(2) لسان العرب 524/1 ونسبه لعمرو بن الفضفاض الجهني ورواية الشطر الأول فيه:

ولا تجهمينا أم عمرو فإنما

وهو في أساس البلاغة ص 68 بدون نسبة إلى قائله.

(3) في (أ): هو انكساف وتغير، وما أصلحته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(4) في (ب): ثمرتها.

(5) في شرح النهج: الجيفة.

(6) اللّها جمع اللهاة وهي الهنة المطبقة في أقصى سقف الفم. (مختار الصحاح ص607).

(7) في (ب): ثمرتها.

(8) في (أ): والشقاق، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

سؤال؛ كيف قال: طعامها الخيفة، ثم قال: وشعارها الخوف، فهل بين الخوف والخيفة تفرقة؟ أو يكونان شيئاً(1) واحداً؟

وجوابه؛ هو أن الخوف والخيفة شيء واحد، يقال: خاف خوفاً وخيفة، قال تعالى: {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى}[طه:67] وقال: {لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ [وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ] (2)}[البقرة:38] ولكنه أراد لكثرة ما علقهم من الخوف، وألمَّ بهم من ألمه وغشيهم، جعله تارة طعاماً لهم ، وتارة جعله لباساً يشملهم، في كلتا الحالتين مبالغة في ذلك.

(ودثارهم(3) السيف): الشعار: ما يلي الجسد، والدثار فوقه.

سؤال؛ أراه جعل الشعار مضافاً إلى الخوف، والدثار مضافاً إلى السيف، وكلاهما حاصل فيهم ومتعلق بهم؟

وجوابه؛ هو أن الخوف لما كان متعلقاً بالقلب وحاصلاً فيه، جعله كالشعار لمخالطته لجلودهم، بخلاف السيف فإنه لا محالة منفصل، فلهذا جعله كالدثار .

(فاعتبروا عباد الله، واذكروا تِيَكَ): وليكن همكم الاعتبار والانزجار وتذكروا متعظين، وأشار بقوله: (تيك) إلى ما كان من الجاهلية في البدع والضلالات، وإنهماكهم في الردى والعمايات.

(التي آباؤكم وإخوانكم بها مرتهنون): أراد خطاياهم الموبقة وكبائرهم المهلكة في عبادة الأوثان والأصنام، واتخاذ الأنداد، وعبادة غير الله، وركوب الفواحش، وقطع الأرحام، وأكل الربا، كما قال تعالى: {كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ}[الطور:21].

(وعليها محاسبون): لا يغادر منهم صغيرة ولا كبيرة إلا بالمحاسبة والمناقشة.

(ولعمري): قسم وخبره محذوف أي لعمري قسمي.

(ما تقادمت بهم ولا بكم العهود): العهد هو: الزمن الماضي، قال:

---

(1) في (ب): أو يكونان شيء واحد.

(2) سقط من (ب).

(3) في النهج: ودثارها.

(512/2)

وما عهدي كعهدك يا أُماماً

(ولا خلت فيما بينكم وبينهم الأحقاب والقرون): [الحقب: ثمانون سنة، وقيل: أكثر من ذلك وجمعه أحقاب] (1)، قال الله تعالى: {لاَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا}[النبأ:23] والقرن: هو الأمة وجمعه قرون.

(وما أنتم اليوم من يوم(2) كنتم في أصلابهم ببعيد): أراد أن(3) من كان من آبائهم وإخوانهم في

زمن الجاهلية وأيامها، فإنهم على أثره وعلى القرب من عهده ، ما حالت بينهم وبينه عهود وأعصار فتمحي آثارهم، وتبلي أحاديثهم، وإنما هي غضة طرية.

(والله ما أسمعهم الرسول شيئاً): من القصص والأخبار والسير والأمثال على جهة الاتعاظ والزجر، وعلمهم من الأحكام والسنن على جهة الاستصلاح والشرع.

(إلا وها أنا مسمعكموه): مصرخاً به في آذانكم، ناطقاً به بين أظهركم، لا أترك منه شيئاً ولا أغادره.

(وما أسماعكم اليوم بدون أسماعهم بالأمس): أراد أنها مستوية لا تفرقة بينكم وبينهم في الأسماع.

(ولا شقت لهم الأبصار): أراد الأعين؛ لأنها مشقوقة في الوجه أي مفتوحة.

(وجعلت(4) لهم الأفئدة): العقول؛ لأن محلها الأفئدة، فجعل الأفئدة عبارة عنها.

(في ذلك الأوان): الوقت المتقدم.

(إلا وقد أعطيتم مثلها): من غير مخالفة.

(في هذا الزمان): وقتكم هذا الذي أنتم فيه الآن.

(ووالله ما بُصِّرتم بعدهم شيئاً جهلوه): أريتموه بأبصاركم.

(ولا أصفيتم به): خصصتم به.

(وحرموه): منعوه، وأراد بهذا الكلام أمرين:

______

(1) سقط من (ب) ما بين المعقوفين.

(2) في النهج وفي (ب) وفي نسخة أخرى: من يوم كنتم، كما أثبته، وفي (أ): من بعد كنتم ...إلخ

(3) قوله: أن سقط من (أ).

(4) في النهج: ولا جعلت.

(513/2)

أحدهما: أن يعلم أن حاله كحال الرسول في الإبلاغ والتعريف، والإنذار والتخويف، والزجر والوعظ.

وثانيهما: أن يعلم أن ما يلقى ممن(1) كان في وقته من النكوص، وترك الانقياد لقوله، والاحتكام لأمره، مشابهاً لما كان الرسول يلاقي من أولئك الذين كانوا في زمنه.

(ولقد نزلت بكم البلية): أراد ولاية بني أمية وظلمها وجورها.

(حائلاً(2) خطامها، رخواً بِطَانُها): الخطام: ما يكون في رأس البعير ، والبِطَان: ما يكون في صدره، وجعل ذلك كناية عن تلاشي الأمر وفساده، وأنه ليس مستوثقاً جارياً على حدوده وقوانينه.

(فلا يغرَّنكم ما أصبح فيه أهل الغرور): من ضحك الدنيا في وجوههم وزهرتها في أعينهم، فإن ذلك كذب وغرور لانقطاعه عنهم وزواله عن أيديهم.

(فإنما هو ظل ممدود): شبهه بالظل لسرعة تقلصه عن مكانه.

(إلى أجل معدود): إلى حيث علم الله من آجالهم المنقطعة وأيامهم الزائلة.

(87) ومن خطبة له عليه السلام في التوحيد

([الحمد لله(3)] المعروف من غير رؤية): المتحقق حاله من غير بصر وإدراك، وأراد علمه بالأدلة والبراهين النظرية.

(الخالق من غير روية): المقدر لجميع ما أوجده من الإحكامات العجيبة من غير فكرة(4) ولا نظر.

(الذي لم يزل قائماً دائماً): أراد بالقيام الوجود، وأراد بالدوام الاستمرار، فهو تعالى موجود بلا أول له، ومستمر الوجود لا آخر له.

(إذ لا سماء ذات أبراج): الأبراج: جمع برج، وجملتها اثنا عشربرجاً مشتملة على ثمانية وعشرين منزلة، ينزل فيها القمر في سيره.

---

(1) في (ب): من.

(2) في النهج: جائلاً.

(3) زيادة في النهج.

(4) في (ب): فكر.

(514/2)

(ولا حجب ذات إرتاج(1)): الرتج: واحد الإرتاج وهي المغالق، ومنه باب مرتج أي مغلق، وأراد(2) حجب العزّ وسرادقات المجد المضروبة، تجوَّزاً واستعارةً، لا أن ثَمَّ حجباً هناك تستره على الحقيقة.

(ولا ليل داج): دجا الليل إذا أظلم.

(ولا بحر ساج): أي ساكن، وقوله تعالى: {وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى}[الضحى:2] أي سكن بما فيه.

(ولا جبل ذو فجاج): شعاب وآخاديد وأودية.

(ولا فج ذو اعوجاج): التواء في أطرافه ومسالكه.

(ولا أرض ذات مهاد): مهد الشيء إذا وطَّأه وأحسن تقريره، ووصفت الأرض بالمهاد في قوله تعالى: {أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا}[النبأ:6] لما يظهر فيها من منافع الخلق واستقرارهم في تصرفاتهم(3).

(ولا خلق ذو اعتماد): ولا مخلوق له هذه الصفة، لأن كل مخلوق فهو معتمد على خالقه في إيجاده وتقريره فلهذا قال: ولا خلق تجب له هذه الصفة اللازمة.

(ذلك): إشارة إلى ما تقدم من ذكر صفاته تعالى.

(مبتدع الخلق): موجده من غير سبب يكون له.

(ووارثه): والموجود بعد إهلاكه وفنائه.

---

(1) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج 393/6-394 في شرح قوله: (ولا حجب ذات إرتاج) ما لفظه: والإرتاج مصدر أرتج أي أغلق، أي ذات إغلاق، ومن رواه (ذات رِتاج) على (فِعال) فالرتاج الباب المغلق، ويبعد رواية من رواه (ذات أرتاج) لأن (فعالاً) قلّ أن يجمع على أفعال، ويعني بالحجب ذات الإرتاج حجب النور المضروبة بين عرشه العظيم وبين ملائكته، ويجوز أن يريد بالحجب السماوات أنفسها؛ لأنها حجبت الشياطين عن أن تعلم ما الملائكة فيه. انتهى.

(2) في (ب): وأراد أنها حجب...إلخ.

(3) في (ب): وتصرفاتهم.

(515/2)

(وإله الخلق): المستحق للعبادة من جهتهم لإنعامه(1) عليهم بفضله.

(ورازقه): والمتفضل عليهم بالرزق والمتاع.

(والشمس والقمر دائبان في مرضاته): مستمران على تكرير الجري لمصالح العباد وإحراز منافعهم، مرصدتين له لمطابقتهما لمراده بالتسخير.

(يبليان كل جديد): بالتكرر والجري حتى يَخْلِقَ(2) ويفنى.

(ويقربان كل بعيد): لطي الأيام والليالي.

(قسم أرزاقهم): على حسب ما يراه من المصلحة من ضيق وسعة وتقتير وإرخاء.

(وأحصى آثارهم): ما يكون بعد موتهم من آثار الخير والشر.

(وأعمالهم): ما يكو ن في حال(3) الحياة من ذلك.

(وعدد أنفاسهم(4)): إما عدد النفوس، وإما عدد التنفس الجاري من الرئة إلى الحلق، فكله معدود مقدر .

(وخائنة أعينهم): ملامحة البصر في خفية ومسارقة(5)، والخائنة بمعنى الخيانة كالكاذبة بمعنى الكذب والعافية بمعنى المعافاة.

(وما(6) تخفي صدورهم من الضمير(7)): من أسرارها وضمائرها.

(ومستقرهم): موضع قرارهم.

(ومستودعهم): مكان استيداعهم.

(من الأرحام والظهور): فإن كل واحد منهما(8) يصلح أن يكون موضعاً للقرار، ومكاناً للاستحفاظ؛

لأن الرحم كما هي موضع الاستقرار للنطفة فهي مكان لاستحفاظها، كما قال تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ}[المؤمنون:13].

---

(1) في (أ): لإنعامهم، وهو كما ترى مختل المعنى، والصواب كما أثبته من(ب)، ومن نسخة أخرى.
(2) أي يبلى.
(3) قوله: حال سقط من (ب).
(4) في النهج: أنفسهم.
(5) في (ب): ومسافة.
(6) في (أ):وأما، وفي النهج، وفي (ب) وفي نسخة أخرى، وما، كما أثبته.
(7) قوله: من الضمير، زيادة من النهج.
(8) في (ب) وفي نسخة أخرى: منهما، كما أثبته، وفي (أ): منهم.

(516/2)

(إلى أن تتناهى بهم الغايات): بالموت والصيرورة إلى القيامة للمجازاة على الأعمال.
(هو الذي اشتدت نقمته): أي هو المخصوص بشدة الانتقام وهو العقوبة.
(على أعدائه): على من خالف مراده.
(في سعة رحمته): في طولها وانتشارها وانبساطها على الخلق.
(واتسعت رحمته لأوليائه في شدة نقمته): أراد أنه لا يجتمع فيه الوصفان سوى الله تعالى، فهو تعالى عظيم الرحمة لمن والاه، مع ما له من شدة العقوبة والانتقام من أعدائه، وقوله: في سعة رحمته، وفي شدة نقمته في موضع الحال، مثلها في قولهم: أكرمني الأمير في جماعة.
(قاهر من عازَّه): عازَّني الفرس رأسه إذا غلب عليه، وأتى على أعز مراده، وأراد قاهر من غالبه.
(ومدمِّر من شاقه): أي مهلك من خالفه، والمشاقة: المخالفة.
(ومذلٌّ من ناواه): أي عاداه.
(وغالب من عاداه): الغلبة: الاستطالة، وأراد أنه مستطيل بالقهر لمن خالفه من أهل عدواته.
(من توكل عليه كفاه): من أسند إليه أموره كلها فهو كفايته عن كل أحد، لا يحتاج معه غيره.
(ومن سأله أعطاه): ومن أباح إليه سؤاله أجابه بالعطية.
(ومن أقرضه قضاه): ومن تصدَّق لوجهه أعاضه عن صدقته وكافأه عليها، وذكر القرض مبالغة في لزوم الجزاء؛ لأن القرض مقضي لا محالة، كما قال تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً}[البقرة:245].

(ومن شكره(1) جزاه): أي كافأه على شكره ثواباً من عنده، كما قال تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ}[البقرة:152] أي أزيد لكم جودي وفضلي.

---

(1) في (أ): ومن شكر، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(517/2)

(عباد الله، زنوا نفوسكم(1)): راقبوها بالمحافظة في الأعمال والقيام بالواجبات محافظة الوزن.
(قبل أن توزنوا): توزن أعمالكم في القيامة، كما قال تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ [فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا](2)}[الأنبياء:47] {فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ}[الأعراف:8].
(وحاسبوها): في إتيانها للقبائح وإخلالها بالواجبات فتداركوا ما فرط منها من ذلك.
(قبل أن تحاسبوا): تناقشوا على القليل والكثير من ذلك.
(وتنفَّسوا): واعملوا وأنتم في نفس وسعة من أعماركم.
(قبل ضيق الخناق): الخناق هو: الحبل الذي يُخْنَقُ به، والمراد(3) قبل الموت.
(وانقادوا): لما أنتم فيه من التكاليف.
(قبل عنف السياق): العنف هو: الشدة، وأراد قبل شدة السَّوق لكم إلى القيامة.
(واعلموا أن من لم يُعَنْ على نفسه): يجعل عليها معيناً.
(حتى يكون لها منه(4) واعظ وزاجر): حتى هذه هي الابتدائية، مثلها في قوله: {حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا}[يونس:24] ويجوز أن تكون بمعنى إلى، وتكون متصلة بما قبلها أي إلى أن يكون لها منه واعظ، والمعنى يعين [على](5)نفسه بالوعظ والانزجار عن القبائح.
(لم يكن لها(6) من غيرها زاجر ولا واعظ): لأنه أرأف بنفسه وأرحم لها فإذا لم يكن من جهته صلاح لها لم يكن من جهة غيره ذلك.

(88) ومن خطبة له عليه السلام وتسمى خطبة الأشباح

و إنما سميت بالأشباح لما ضمَّنها من ذكر السماوات(7) والأرض وصفتهما(8) والملائكة وذكر أحوالهم.

---

(1) في النهج: أنفسكم.
(2) سقط من (ب).
(3) في (ب): وأراد.

(4) في النهج: حتى يكون له منها.
(5) سقط من (أ).
(6) في النهج: له.
(7) في (ب): السماء.
(8) في (ب): وصفتها.

روى مسعدة بن صدقة(1)، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام(2) أنه خطب أمير المؤمنين بهذه الخطبة على منبر الكوفة، وذلك أن رجلاً أتاه فقال: يا أمير المؤمنين، صف لنا ربنا لنزداد له حباً، وبه معرفة، فغضبعليه السلام ونادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس حتى غُصَّ المسجد بأهله، فصعد المنبر وهو مغضب متغير اللون، وإنما غضب لأنه فَهِمَ من السائل تعنتاً في سؤاله، ثم قال: (الحمد لله الذي لا يَفِرُهُ المنع(3)): وفر الشيء يفر وفوراً(4) إذا كثر وزاد، وأراد أن المنع لا يوجب كثرة ولا زيادة في مُلْكِه.

---

(1) هو مسعدة بن صدقة العبدي، أبو محمد، أحد رجال الشيعة وثقاتهم، خرج له الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني في أماليه (انظر بغية الطالب في تراجم رجال أبي طالب ص 693).
(2) هو جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن الإمام المرتضى علي بن أبي طالب "، الهاشمي، الحسيني، المدني، أبو عبد الله، الملقب بالصادق [148.80هـ] أحد الأئمة الأعلام وأشهر من نار على علم، مناقبه وفضائله كثيرة، فهو إمام علم مشهور بين الخاص والعام، له أخبار مع الملوك من بني العباس، وكان جريئاً معهم صداعاً بالحق، حاول المنصور الداونيقي قتله مراراً فحماه الله، واستمر عليه السلام ينشر علم آل الرسولصلى الله عليه وآله وسلم وينوّر العقول، والرواة عنه كثيرون، وأخباره كثيرة مبسوطة في الكتب، والمؤلفات عنه وفيرة، مولده ووفاته بالمدينة (انظر معجم رجال الاعتبار ص 88، ومنه معجم الرواة في أمالي المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني، وانظر الأعلام 126/2).
(3) في النهج: الذي لا يفره المنع والجمود.
(4) في (أ): ووفراً، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(ولا يكديه الإعطاء): أي لا يقل خيره الإعطاء، من قولهم: أكدى الرجل إذا قلَّ خيرُه، وأراد أن الإعطاء لا يمنع خيره، وقوله تعالى: {وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى}[النجم:34] أي منع ذلك القليل.

(والجود): الفيض بالجود على جميع الخلائق.

(إذ كل معطٍ منتقص سواه): ومصداق ذلك من أنه الجواد على الحقيقة هو أن كل من أعطى فإنه ينتقص بإعطائه ما خلاه؛ لأن جوده بلا نهاية.

(وكل مانع مذموم ما خلاه): لأن من منع فإنما يمنع من أجل البخل ولئلا ينقص ماله، فهو تعالى يعطي بالمصلحة ويمنع بالمصلحة فلا يُذَمُّ على منع ولا على عطاء.

(وهو المنان بفوائد النعم): المعطي لفواضل النعم والمتفضِّل بها.

(وعوائد المزيد والقِسَم): العوائد: جمع عائدة، وهو: ما يعود من النعم بعد سبق غيرها، والمزيد: المجعول زيادة، والقسم: جمع قسمة، وهذا عبارة عن أنواع النعم وضروب الآلاء الواصلة من جهته إلى خلقه.

(عياله الخلق): الذي يعولهم ويكفلهم ويتولى إصلاح أحوالهم، وفي الحديث: ((الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله))(1).

(ضمن أرزاقهم): أي صارت واجبة عليه، ومنه ضمان المال لما صار في ذمة الضامن يجب عليه أداؤه.

---

(1) رواه في مسند شمس الأخبار 27/2 الباب (106) وعزاه إلى مسند أنس، قال العلامة الجلال في تخريجه: أخرجه أبو يعلى، والحاكم في الكنى، والشيرازي في الألقاب، والعسكري في الأمثال، وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج، والبيهقي في شعبه عن أنس ... إلى آخر ما ذكره، وأورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي 669/4، وعزاه إلى البداية والنهاية لابن كثير 275/10، وقضاء الحوائج لابن أبي الدنيا 24.

(520/2)

(وقدَّر أقواتهم): الأقوات: جمع قُوت بضم الفاء، وهو: عبارة عمَّا يُصلح بدن الإنسان من الأطعمة، وأراد وأحكم مصالحهم كلها، والمصدر منه قَوتاً بفتح الفاء يقال: قاته قَوتاً وقَياتة.

(ونهج سبيل الراغبين إليه): وأوضح الطرق(1) لمن رغب فيما عنده من منافع الثواب العظيمة والدرجات العالية.

(والطالبين ما لديه): من عظيم رضوانه وكريم مآبه.

(وليس بما سئل أجود(2) منه بما لم يسأل): يحتمل أمرين:

أحدهما: أن الإعطاء والمنع عليه مستويان، إلا ما كان متعلقاً بالمصلحة من هذا وذاك(3).
وثانيهما: أن الإعطاء لما كان لا ينقص ملكه ولا المنع يزيده، كانا مستويين بالإضافة إلى ذلك.
(الأول الذي لم يكن له قبل فيكون شيءقبله): أراد بأنه(4) الأول بلا أول لأوليته ولا بداية لها، إذلو كان لها غاية لأمكن أن يكون شيء قبلها؛ لأن ما كان له نهاية أمكن في العقول وتصوَّر في الأوهام أن يسبقه غيره ويكون حاصلاً قبله، وهذالا يتصور في حقه تعالى، فلا جَرَمَ كانت أوليته بلانهاية، ولا يشار إليها بحدٍّ ولا غاية.
(والآخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده): ومقصوده في هذا هو أنه كما قام البرهان العقلي على أنه لابداية لأوليته فقد قام أيضاً على أنه لا آخر لسرمديته؛ إذ لو كان لآخريته نهاية لتصورفي العقول أن يكون شيء بعدها، فلما كان لا انقطاع لوجوده لم يتصور أن يكون شيء بعده؛ لأن وجوده إذا كان سرمداً لم تعقل الآخرية له بحال.

---

(1) في (ب): الطريق.
(2) في (ب) وشرح النهج: بأجود.
(3) في (ب): أو ذاك.
(4) في (ب): أنه.

(521/2)

(الرادع أناسيَّ الأبصار عن أن تناله وتدركه): ردعت الشيء أردعه ردعاً إذا كففته عن مجراه، وأناسيَّ: جمع إنسان، وأصله أناسين فأبدل من النون ياء وأدغمت في الياء، والأبصار حقيقتها في بصر العين ومجازها في العقول وكلاهما محتمل هاهنا، وأراد أنه كفَّ أناسيَّ أحداق العيون عن أن تكون مدركة له(1)، وكفَّ(2) أبصار بصائر العقول وحقائقها عن أن تكون محيطة بحقيقته واقعة على كنهه؛ إذ هو المتعالي عن ذلك كله.
(ما اختلف عليه دهر): أي ليس حاصلاً في زمان، ولاهو محتاج إليه فيكون مختلفاً متكرراً.
(فيختلف منه الحال): لأجل احتياجه إلى الأزمنة؛ لأن ما كان محتاجاً إلى الأزمنة فإنه يكون متغيراً بتغيرها، ومختلفاً باختلاف أحوالها في الضيق والسعة والرخاء والشدة، وهو في غاية البعد عن ذلك.
(ولا يكون(3) في مكان فيجوز عليه الانتقال): أراد كما أنه لا يحتاج إلى الأزمنة فهو غير مفتقر إلى الأمكنة؛ إذ لو كان في مكان لجاز أن يكون منتقلاً منه وحاصلاً في غيره؛ لأنه بحصوله في المكان يكون جسماً، وما كان جسماً فكما يحصل في هذا المكان يحصل في غيره، وهو يتعالى عن الجسمية، فلهذا بطل عليه الا نتقال.

(فلو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال): استحضاراً(4) لقوله: هو الجواد؛ لأن هذا تفصيل له، والتنفس: عبارة عمَّا يخرج من الأرض من هذه المعادن والركازات.
(وضحكت عنه أصداف البحار): الضحك: عبارة عمَّا يخرج من البحار من هذه الجواهر واللآلىء، والأصداف: جمع صدفة وهو غشاء الدرة وكمامها.

---

(1) زيادة في (ب) وفي نسخة أخرى.
(2) في (ب): وكف أيضاً أبصار...إلخ.
(3) في (ب) وفي شرح النهج: ولا كان.
(4) في (ب): استحضار.

(522/2)

سؤال؛ أراه أضاف التنفس إلى المعادن، وأضاف الضحك إلى البحار، مع أن كل واحد منهما نفيس القدر جليل الخطر؟
وجوابه؛ هو أن ما يخرج من البحار هو هذه الأحجار الجوهرية نحو اللؤلؤ والياقوت والزمرد، فوصفها بالضحك لما فيها من الصفاء والرقة والنعومة، بخلاف ما يخرج من المعادن من الذهب والفضة والكحل والمرتك والزرنيخ وغيرذلك فإنها لا توصف بكونها جواهر، فلهذا وصفها بالتنفس وهو الخروج دون الجوهرية.
(من فلز اللجين والعقيان): الفلز: ما يبقى بعد الخبث، واللجين هو: الفضة، والعقيان هو: خالص الذهب الذي لا يحتاج إلى إخلاص الكير، وجميعها راجع إلى ما يخرج من المعادن.
(ونُثَارَة الدر، وحصيد المرجان): النثار: ما ينتثر، وحصيد المرجان: ما أحكم منه وقدربالتدوير والتربيع، ومنه قولهم: حبل محصد إذا أحكم فتله، وجميع ذلك راجع إلى ما يخرج من البحار، وهذا الأسلوب من باب اللف والنشر، ألا تراه أجمله أولاً ثم ردَّ إلى كل شيء ما يليق به من ذلك.
(ما أثرَّ ذلك في جوده): ما كان له أثر في نقصانه.
(ولا أنفد سعة ما عنده): من عظائم الملكوت، كما قال تعالى: {لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}[البقرة:107].
(ولكان عنده من ذخائر الإنعام): أي ولكان الذي عنده وفي ملكه من نفائس الكرم والجود.
(ما لا تُنْفِده مطالب الأنام): تفنيه مطالب الخلق كلهم على كثرتهم، وتفاوت عددهم.

(523/2)

(لأنه الجواد الذي لا يغيضه سؤال السائلين): غاض الماء إذا نقص، وأراد أن إعطائهم لما طلبوه من سعة جوده ورحمته لا ينقصه من ذلك؛ لأن قدرته على ذلك بلا نهاية، فلا يعقل في ذلك زيادة ولا نقصان، والغرض من قولنا: بلا نهاية هو أنه ما من وقت إلا ويمكنه الإعطاء لأضعاف ما أعطى وأضعافه مضاعفة، وليس الغرض من ذلك وجود ما لا نهاية له فإن ذلك من المحالات العقلية، كما إذا وصفناه بالقدرة على الضدين، فإن الغرض الوجه الممكن دون ما لا يمكن.

(ولا يبخِّلُه إلحاح الملحِّين): الإلحاح هو: عظم المطالبة وكثرتها، وأراد أنهم على إلحاحهم لا يكون سبباً للمنع فيكون بخيلاً، ولهذا فإنه متميز عن سائر الكرماء، فإنه لا يزداد على كثرة الإلحاح إلا كرماً وجوداً، وغيره بخلاف ذلك.

(فانظر أيها السائل): اللام للعهد، وأراد السائل الذي سأله أولاً.

(بعقلك): فإنه حجة الله عليك ووديعته عندك وبرهانه فيك.

(524/2)

(فما دلَّك القرآن عليه من صفته فائتم به): ليس الغرض من كلامه هذا هو أن القرآن دالٌّ على صفات الله تعالى الذاتية كالقادرية والعالمية والحيية وغير ذلك من الصفات الإلهية فإن ذلك يستحيل العلم به من جهة القرآن والشرع، وإنما غرضه عليه السلام ما انطوى(1) عليه من العبارات اللفظية فإن مورد ذلك كله القرآن والشرع، فما دلَّ عليه الشرع(2) جاز إطلاقه عليه، إذا كان معناه حاصلاً في حقه، وما لم يدلّ عليه الشرع فإنه لايجوز إطلاقه عليه، ولهذا وصفناه بالترك والفراغ في قوله تعالى: {وَتَرَكَهُمْ}[البقرة:17] وقوله: {سَنَفْرُغُ لَكُمْ}[الرحمن:31] ولولا ورود الشرع بذلك لم يجز وصفه بذلك لما فيه من إيهام الخطأ في حقه، فعلى هذا يحمل كلامه، وأراد فائتم به أي اجعله إماماً لك فيما يجوز إطلاقه على الله تعالى من الأوصاف اللفظية.

(واستضئ بنور هدايته): فإنه يرشدك إلى كل خيرباتباعك لأنواره والاقتداء بآثاره.

(وما كلفَّك الشيطان عليه(3)): حملك عليه من الإغواء والتسويف.

(مما ليس في الكتاب عليك فرضه): مما لم يدل عليه القرآن ويصرح بوجوبه عليك.

---

(1) في (أ): ما نطق، وفي (ب): ما انطوى، كما أثبته، وفي نسخة أخرى: مايطلق.

(2) في (أ): السمع.

(3) في النهج: علمه.

(525/2)

(ولا في السنة للرسول(1) وأئمة الهدى أثره): ولا أثر عن الرسول في سنته ولا نقله الأئمة، وأراد أن المعتمد من الأدلة الشرعية ليس إلا آية(2) من كتاب الله، أو ما كان من جهة السنة، أو ما كان إجماعاً من جهة الأئمة من أهل البيت، أو ما كان إجماعاً من جهة الأمة، فهذه الأمور الأربعة هي المعتمدة(3) من(4) المسالك النقلية القطعية، وما عداها من أخبار الآحاد والأقيسة المظنونة فهو معتمد في المباحث الفقهية والمسالك الظنية، فما دلت عليه هذه القواطع وجب القطع به، وما كان منها مظنوناً فهو معتمد في الأمور المظنونة، وما لم تدلّ عليه هذه:

(فَكِلْ علمه إلى الله): أرا د فإن الله تعالى لم يكلِّف به واستأثر بعلمه والإحاطة به.

(فإن هذا منتهى حق الله عليك): أراد أنه غاية ما طلبه منك(5)؛ لأنه تعالى لا يكلف ما لا يعلم، وهذا كله خارج عن التصرفات العقلية فلم يتعرض لذكرها، وإنما تعرض للأدلة الشرعية الدالة على ما يجوز إجراؤه على الله من الأوصاف وما لا يجوز إجراؤه.

(واعلم أن الراسخين في العلم): أراد الذين أثنى عليهم الله تعالى(6) في كتابه، حيث قال: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}[آل عمران:7] أي الذين اشتدت وطأتهم في العلوم، واستمسكوا منها بالعرى الوثيقة، واستقرت أقدامهم فيها.

---

(1) في النهج: ولا في سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(2) في (ب): أنه، وهو تصحيف.

(3) في (أ): المعتمد، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(4) في (أ): في، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(5) قوله: منك، سقط من (ب).

(6) قوله: تعالى، سقط من (ب).

(526/2)

(هم الذين أغناهم عن اقتحام السُّدد المضروبة دون الغيوب): الاقتحام هو: الدخول على الشيء من غيربصيرة، والسدد: جمع سدة وهو: الحائل بين الشيئين، وأراد أنه أغناهم بما قرره في عقولهم عن الدخول على الشيء من غير بصيرة ولا رويَّة في الأمور الغيبية التي طوى علمها عن الخلق، وحال بينهم وبين علمها بالسواتر المضروبة دونها.

(الإقرارُ بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب): الإقرار مرفوع لأنه فاعل لأغناهم، وأراد أن الإقرار بالأمورالمجملة مما لا يعلم كنهه من العلوم الغيبية هو كافٍ عما سواه مما(1) لا سبيل لأحد إلى العلم به مما حجب الخلق عن علمه والاطلاع عليه.

(فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً): فأثنى عليهم الله تعالى لأجل معرفتهم بحال نفوسهم في تصريحهم بعجزهم عما لا يقدرون على الإحاطة به والاطلاع على كنه أسراره.

(وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً): لأن معرفة الإنسان بعجز نفسه هو علم بحقيقة الحال وأنها لا تنال، وما عدا ذلك فإنه(2) رمي بالعماية وخبط في الجهالة.

(فاقتصر(3) على ذلك): الإشارة إلى ما دل عليه الأدلة الشرعية التي أسلفنا ذكرها في المسائل الإلهية مما ليس في العقل القطع عليه بل هو موضع احتمال، فما هذا حاله فالتعويل فيه على الأدلة النقلية كالأوصاف التي تجري على الله تعالى فإن مستندها الشرع، فأما العقل فلا تصرف له فيها.

(لا تقدِّر عظمة الله على قدر عقلك): يحتمل وجهين:

أحدهما: أن العقل له نهاية وحد، والعظمة لا نهاية لها ولاحد، فلو حكم فيها العقل وجعلها مثله لكانت متناهية وهذا محال.

---

(1) في (ب): عما.

(2) في (ب): فإنما هو رمي في العماية.

(3) في (أ): واقتصر.

وثانيهما: أن يريد بالعقل الوهم، أي لا تجعل عظمة الله على قدر الوهم، فإن الوهم كاذب يسبق إلى خلاف ما عليه الشيء.

(فتكون من الهالكين): فتكون منصوب لأنه جواب النهي، أي فتهلك(1) باستحقاق العقوبة من جهته باعتقادك لذاته على خلاف ما هي عليه.

(هو القادر): استحضاراً(2) لما قرره بقوله: لا تقدر عظمة الله على قدر عقلك، أي هو المخصوص بقدرة لا يمكن وصفها ولا تنال لها نهاية.

(الذي إذا ارتمت الأوهام): الارتماء هو: المرور في سرعة، ومنه ارتماء الفرسان وترامي السحاب أي جريه في سرعة، شبه مرور الخواطر في نظرها مثل مرّ السحاب في الجو.

(لتدرك منقطع قدرته): لتصل إلى غاية حقيقة كنه قدرته إحاطة بالعلم بها.

(وحاول الفكر): حاول الشيء إذا أراده.

(المبرأ من خطر الوسواس): السليم من الوساوس التي تعرض فيه على خلاف الصواب والحق.

(أن يقع عليه(3) في عميقات): غايتها وقصاراها.

(غيوب ملكوته): الأمور(4) الغيبية التي استولى عليها وملكها بالإحاطة بها.

(وتولهت القلوب): ذهبت انقطاعاً وحسرة، وتحيرت فشلاً ودهشة.

(إليه لتجري في كيفية صفاته): من أجل أنها تكون محيطة بجريها على غاية حقيقة صفاته الإلهية.

(وغمضت مداخل العقول): غمض الشيء إذا خفى ودق، وأراد وولجت العقول في المداخل الضيقة الدقيقة.

(في حيث لا تبلغه الصفات): في جهة لا يمكن وصفها من الدقة والغموض.

(لتنال(5) علم ذاته): وغرضها وقصدها أن تبلغ وتصل إلى حقيقة علم الذات منه تعالى.

(ردعها): كفها عمَّا همت به من الإحاطة بألاَّ سبيل إلى الإحاطة به لأحد.

---

(1) في (أ): فتهلكه.

(2) في (ب): استحضار.

(3) عليه، زيادة في النهج.

(4) في (ب): أي الأمور... إلخ.

(5) في شرح النهج: لتناول.

(528/2)

(وهي تجوب): جاب البلاد يجوبها إذا قطعها، ومنه قوله: هل عندك جائبة خبر.

(في مهاوي(1) سدف الغيوب): المهواة: الشق بين الجبلين، والسدف: الظلم ها هنا.

(متخلصة إليه): أي خالصة عن الظلم والمهاوي، وانتصابه على الحال من الضمير في تجوب، والجملة الابتدائية وهي قوله: وهي تجوب في موضع الحال من الضمير في ردعها، والمعنى في هذا هو أنه تعالى كفها، في حال كونها قاطعة للمهاوي والظلم تريد التخلص إليه والوقوع على كنه حقيقته.

(فرجعت): على إثرها.

(إذ جبهت): جبهته إذا صككت جبهته، شبهها في الرجوع خاسئة حسيرة عن نيل علم ذاته بحال من يصك جبهة غيره ليرده(2) عمَّا حاوله، وكل ذلك مبالغة في رجوعها عما أرادته من ذلك.

(معترفة): متحققة لذلك العجز عن معرفة ودراية.

(بأنه لا ينال بجور الاعتساف): الجور هو: الميل عن القصد، والاعتساف هو: الأخذ على غير طريق.

(كنه معرفته): غاية علم ذاته، والمعنى في هذا هو أن العقول وإن خرجت عن القصد وأخذت على [غير](3) طريق فإنها لا تناله.

سؤال؛ إذا كان علم حقيقة ذاته لا تنال بالطرق المستقيمة فهي لا تنال بالجور والاعتساف، فما مراده من هذا الكلام؟

وجوابه؛ هو أن الغرض من كلامه هذا هو أن العقول سواء جارت في سيرها أو عدلت أو استقامت على المنهاج أواعتسفت فإنها في جميع أحوالها لا تصل إلى حقيقة العلم بذاته أصلاً.

(ولا تخطر ببال أولي الرّويّات): يعرض في الخاطر، والبال هو: القلب، والروَّية: النظر، وأراد أنه لا يعرض في قلوب أولي الأنظار والتفكرات.

---

(1) في (ب): ومهاوى، وفي شرح النهج: مهاوى.

(2) في (أ): ليردده، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(3) سقط من (ب).

(529/2)

(خاطرة من تقدير جلال عزته): خطرة واحدة، وأراد التقليل من ذلك.

(الذي ابتدع الخلق): اخترع جميع ما خلق.

(على غير مثال امتثله): المثال: ما يقتدى به ويعمل مثله.

(ولا مقدار احتذى عليه): فيما يصنعه ويحكمه.

(من خالق معبود كان قبله): فيصنع(1) له هذه الأمثلة فيكون سابقاً عليه ليصح ذلك في حقه.

(وأرانا من ملكوت قدرته): من التقدير والإحكام ومطابقة الأغراض والمصالح.

(وعجائب ما نطقت به آثار حكمته): من الإلهامات العجيبة في جميع العالم كله مما لو نطق لصرَّح بمبالغة الحكمية(2) وعجيب الصنعة منه.

(واعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يقيمها بمساك قوته): وأراد أن الخلق معترفون بحاجة هذه الآثار إلى خالق يمسكها بقوته؛ لأن العقول قاضية بذلك مشيرة إليه، والمساك بكسر الفاء: ما يمسك الشيء، ويقال للذي يقر فيه الماء: مساك.

(ما دلنا باضطرار قيام الحجة على معرفته): ما موصولة في موضع نصب مفعوله لأرانا، أي أرانا من هذه المخلوقات ما أوجب العلم الضروري على وجوب قيام الحجة على معرفته، فمتعلق العلم

الضروري هو وجوب قيام الحجة على المعرفة، وبيان ذلك هو أنَّا إذا رأينا هذه الآثار من اختلاف الليل والنهار، وطلوع هذه الكواكب، وجري الريح وغيرها من الآثار،فإنا لا نأمن أن يكون لها فاعل ومدبِّر، وعند هذا يُعْلَمُ بالضرورة وجوب النظر في أحوالها، ليحصل لنا تسكين هذه الروعة بالوقوف على حقيقة الأمر في ذلك، وهذا هو مراد المتكلمين بقولهم: إن النظر يجب لما فيه من دفع الضرر عن النفس بالتقرير الذي ذكرناه.

---

(1) في (ب): فيضع.

(2) في (أ): الحكمة، وفي (ب) وفي نسخة أخرى، كما أثبته، والعبارة في النسخة الأخرى هكذا: لصرح بمبالغة الحكمية فيه وعجيب الصنعة فيه.

(530/2)

(وظهرت في البدائع التي أحدثها آثار صنعته): أراد هذه الموجودات المخترعة بالقدرة، فكما أن فيها دلالة على صانع لها ففيها دلالة على قدرته.

(وأعلام حكمته): وبراهين دالة على علمه وإتقانه.

(فصار كل ماخلق حجة له): على كونه واحداً.

(ودليلاً عليه): على وجوده وكونه قادراً لمن يستدل به من أرباب العقول وأهل البصائر.

(وإن كان خلقاً صامتاً): ليس حيواناً ولا يعقل شيئاً.

(فحجته بالتدبير ناطقه): على أن له مدبراً وخالقاً، ناطقة بلسان الحال لما فيها من ظهور الأدلة(1) ووضوحها.

(ودلالته على المبدع قائمة): على أن له مبدعاً مستمرة ثابته.

(وأشهد أن من شبهك بتباين أعضاء خلقك): بأن أثبت لك ما يثبت للمخلوقات، من الأعضاء المتباينة التي كل عضو من أعضائها منفصل عن الآخر مباين له(2).

(وتلاحم حقائق(3) مفاصلهم المحتجبة): التلاحم هو: التلاصق، ومنه قولهم: حبل ملحم، إذا كان جيد الفتل والإلصاق بعضه لبعض، وأراد تلاصق المفاصل بعضها لبعض المستترة، التي لا يدرك ما اشتملت عليه من الالتأم والحصافة(4).

---

(1) في (ب): الدلالة.

(2) قوله: له، سقط من (ب).

(3) في النهج: حِقاق.

(4) في (أ): والخصافة، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى، والحصافة بالحاء المهملة هو الإحكام يقال: أحصف الأمر أي أحكمه، وأحصف الحبل أي أحكم فتله._ ... _والخصافة بالخاء المعجمة: الإطباق والإلزاق ويقال: خصف الورق على بدنه أي ألزقها وأطبقها عليه ورقة ورقة. (انظر القاموس المحيط ص1034، 1040).

(531/2)

(لتدبير حكمتك): أي من أجل تدبير حكمتك، واللام متعلقة بمحذوف، أي كل ذلك من أجل تدبير حكمتك(1) ولايجوز تعلق اللام بتلاحم؛ لأنه لا يجوز وصفه، ولا وصف مضافه قبل تمامه بذكر متعلقاً به، وها هنا قد وصف ما أضيف إليه قبل تمامه بذكر متعلقه.

(لم يعقد غيب ضميره على معرفتك): أراد أن كل من شبه الله تعالى بخلقه فإنه جاهل بحاله؛ لأنه تعالى لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء من المكونات أصلاً.

(ولم يباشر قلبه اليقين بأنه لاندَّ لك): أي أنه لم يخالط قلبه العلم اليقين بأنه لا مثل لك؛ لأنه لو باشر قلبه ذلك وقطع به واطمأن إليه لم يقل بهذه المقالة.

(وكأنه لم يسمع تبرُّؤ التابعين من المتبوعين): إذ قال التابعون.

({تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ})[الشعراء:97]: لفي ميل عن الحق ظاهر لا لبس فيه.

({إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ})[الشعراء:98]: نجعلكم أمثالاً له وحاصلين على مثل صفته في استحقاق العبادة، وغير ذلك من الأحكام الإلهية، ولو كان مشبهاً لهم لكان جسماً مثل أجسامهم وذلك محال في حقه.

(كذب العادلون(2) بك): في هذه المقالة التي اختلقوها.

(إذ شبهوك بأصنامهم): في كونك جسماً مثلها لك حصول في الجهة وكون فيها كما كان لها.

(ونحلوك حلية المخلوقين بأوهامهم): النحلة: العطية، أي وأعطوك اعتقاداً منهم صفة هذه المحدثات وهماً منهم، ويجوز أن يكون مراده بالنحلة المذهب، أي وذهبوا إلى أنك متحلياً بحلية المخلوقات، واعتقدوه مذهباً لهم.

---

(1) في (أ): حكمته، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(2) في (أ)العالمون، وهو تحريف، وفي (ب) والنهج: العادلون، كما أثبته منهما.

(532/2)

(وجزَّءوك تجزئة المجسمات بخواطرهم): وأضافوا إليك الانقسام اللازم من صفة الجسمية؛ لأن كل جسم فهو ذو أجزاء عند من اعتقد ذلك بخاطره.

(وقدروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم): وتركوك على الخلقة التي من شأنها اختلاف قواها وتباينها، فإن قوة العقل مخالفة لقوة السمع والبصر، وقوة الرجل مخالفة لقوة اليد، وهكذا القول في جميع القوى فإنها على هذا الاختلاف، وكان هذا التقرير(1) حاصلاً لهم من تلقاء معتقداتهم التي لم يقم عليها برهان ولا يعضدها دليل.

(فأشهد أن من ساواك(2) بشيء من خلقك فقد عدل بك): المساواة: هي المماثلة، وأراد أن كل من ماثل الله تعالى بشيء من صفات الجسمية والعرضية [كأن يقول: إنه جسم، أوله أعضاء وجوارح، أو أنه حالٌّ في محل، وكائن في جهة أو غير ذلك مما يكون دالاً على الجسمية والعرضية](3)، وحكماً من أحكامها، فإنه قد عدل عن الله تعالى(4) على معنى أنه شبهه بمن يخالفه في الحقيقة والماهية.

(والعادل بك كافر على ما تنزَّلت(5) به محكمات آياتك): كما قال تعالى: {ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ}[الأنعام:1].

---

(1) في (ب) وفي نسخة أخرى: التقدير.

(2) في (ب): سواك.

(3) ما بين المعقوفين سقط من (أ). وهو في (ب)وفي نسخة أخرى.

(4) قوله: تعالى زيادة في (ب).

(5) في النهج: كافر بما تنزلت ...إلخ.

(ونطقت به(1) شواهد حجج بيناتك): من الأدلة الشرعية، والشواهد النقلية، وكلامه هذا دال على كفر هؤلاء المشبهة، سواء قالوا: إنه تعالى ذو أعضاء وجوارح، كما هو المحكي عن بعض الزنادقة، أوقال: إن الله تعالى حاصل في جهة وإن لم يكن جسماً، لأن ظاهر كلامه هو أن من ساواه(2) في ذلك، وهذا عام في كل ما كان مقتضياً للتشبيه.

(وأنك أنت الله الذي لم تتناه في العقول): لم يكن لها(3) نهاية في بداية العقول ومقتضياتها.

(فتكون في مهب فكرها مكّيفاً): فلو كنت منتهياً(4) لكنت مكيفاً في الخواطر والرويات(5)؛ لأن كل ما كان متناهياً فله كيفية، وحد ونهاية، والمهب: هو الفراغ الذي تجري فيه الريح، واستعاره ها هنا لجولان الخواطر في روياتها وأنظارها، وقوله: فتكون(6) منصوب لأنه جواب النفي.

(ولا في روّيات خواطرها محدوداً مصرَّفاً): ثم لو كان متناهياً في العقول لكان في أفكارها وخواطرها له حد وله تصريف، فلما كان غير متناه في العقول استحال ذلك كله.

(قدّر ما خلق): في إحكامه وانتظامه ومطابقته للأغراض والمصالح.

(فأحكم تقديره): لم يغفل عن شيء من ذلك ولا اختل نظامه ومنفعته.

(ودبَّر(7)): [ما خلق] (8) بأن علم ما يؤول إليه عاقبة أمره وقصارى حاله.

(فألطف تدبيره): فدق وغمض ما أحكم من ذلك بحيث لاننال(9) غايته ولا نبلغ إليه.

---

(1) في النهج: عنه.

(2) في (ب): سوَّاه.

(3) مكتوب فوق قوله: لها، في(ب): له، وفي نسخة أخرى: لك.

(4) في (ب): متناهياً.

(5) في (أ): والروايات، وما أثبته من (ب).

(6) في (أ): فيكون.

(7) في (ب) وفي شرح النهج: ودبَّره.

(8) سقط من (ب).

(9) في (ب): لاينال.

(534/2)

(ووجهه لوجهته): الوجهة هي: الطريقة، قال الله تعالى: {وَلِكُلّ وِجْهَةٌ}[البقرة:148] وأراد وصرفه لطريقته(1) التي وضع لها من غيرمخالفة، كما قال تعالى: {قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}[الطلاق:3].

(فلم يتعد حدود منزلته): أراد أنه لم يتجاوز حده التي قدرله بالزيادة على ذلك.

(ولم يقصر دون الانتهاء إلى غايته): أراد ولم يخالف إرادته بالنقصان عمّا قدر له، كما قال تعالى: {وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ}[الرعد:8].

(ولم يستصعب إذ أمر بالمضيِّ على إرادته): استصعب الأمر إذا اشتد، وأراد أن ما خلق من المكونات لم يكن له امتناع من(2) نفوذ أمره فيه بالوجود والحصول على حسب داعيته(3) وإرادته، وبقوله: {كُنْ فَيَكُونُ}.

(وكيف): يكون ثَمَّ امتناع منه.

(وإنما صدرت الأمور عن مشيئته!): فلا وجه لامتناعها مع أن الحال ما قلناه؛ لأن ما هذا حاله فلا

يعقل في حقه امتناع عن نفوذ الأمر فيه.

(المنشئ أصناف الخلائق(4)): الموجد لجميع الأنواع من غير سبب كان هناك من الجمادات والحيوانات، على ما اشتملا عليه من أنواعهما وضروبهما.

(بلا روية فكر آل إليها): من غير روية وتفكر رجع إليها(5) في الصنع والتقدير والإحكام والتدبير.

(ولا قريحة غريزة): القريحة: أول ما يخرج من ماء البير، ثم استعارها(6) هنا لما يستنبطه الإنسان بطبعه، وأراد ولا ذكاء غريزة أي طبيعة.

(أضمر عليها): في قلبه واشتمل عليها خاطره.

---

(1) في (ب): لطريقه.

(2) في (ب): عن.

(3) في (ب): داعيه.

(4) في شرح النهج: الأشياء.

(5) في (ب): إليهما.

(6) في (ب): ثم استعير ها هنا.

(535/2)

(ولا تجر بة(1) أفادها): التجر بة: هي العلم بالأمور وتكريرها(2) مرة بعد مرة، وأفادها أي جعلها من جهة غيره.

(من حوادث الدهور): أراد أن التجربة إنما تحصل بممارسة الخطوب وتكرر(3) الأزمنة على ذلك.

(ولا شريك): مشارك له في ملكه.

(أعانه على ابتداع عجائب الأمور): عضده على اختراع هذه العجائب، وإحداث هذه الغرائب في العالم فأبدعه وأحكمه، على أعظم إيجاد وأحسن إحكام.

(فتم خلقه بأمره(4)): الضمير في خلقه إما لله، أي تمَّ خلق الله لما خلقه، أو لما خلق أي تمَّ خلق ما خلقه.

(وأذعن لطاعته): لما(5) أمره بالوجود، بقوله: {كُنْ فَيَكُونُ}.

(وأجاب إلى دعوته): لما دعاه إلى الوجود، أولما دعاه داعي الإحسان إلى إيجاده.

(لم يعترض دونه ريث المتبطىء): الريث: هو التوقف في الأشياء، ومنه المثل: رب عجلة وهبت(6) ريثاً، والمتبطئ هو: الذي يبطئ(7) في فعله للأمور، ولا يستعجل فيها، وأراد أنه تعالى أسرعه(8) إذعان أفعاله في الوجود، وقوة امتثالها في التحصيل، لم يعترض دون ذلك الإيجاد توقف

الإبطاء.
(ولا أناة المتلكئ): الأناة: هو التأني، والتلكئ: هو التثاقل في الأمر والتأخر عنه، وأراد أن التأني والتثاقل لم يكونا معترضين دون سرعة الامتثال في إيجاد الأفعال.

---

(1) في (أ): ولا تجّر بها، وهو تحريف، والصواب ما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.
(2) في (ب): وتكررها.
(3) في (ب): وتكرار.
(4) قوله: بأمره، زيادة في النهج.
(5) في (ب): بما.
(6) في (أ): وهنت، وهو تصحيف، والمثل هنا ذكره في مختار الصحاح ص265، وهو في أساس البلاغة ص186 بلفظ: رب عجلة تعقب ريثاً..
(7) في (ب): يتبطئ.
(8) في (ب): اخترعه.

(536/2)

(فأقام من الأشياء أودها): الأود: الاعوجاج، أي أقام اعوجاجها بالإحكام العجيب، والتركيب الأنيق الذي لايتطرق إليه التثبيج(1).
(ونهج حدودها): أوضح ما تحتاج إليه في ابتدائها ومنتهاها وما يصلح عليه أمرها.
(ولاءم بقدرته بين متضادها): وجمع بالقدر(2) الباهرة التي من شأنه أن يستحقها بين ما كان منها متضاداً، وليس الغرض أنه تعالى جعل الضدين مجتمعين وهما متضادان، وإنما الغرض أنه جمعهما على الوجه الممكن الذي يسوّغه العقل ويجوّزه، فأما على خلاف ذلك فهو غير ممكن ولا مقدور، ولهذا فإنك ترى بنية الحيوان مركبة من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، وترى العود فيه الماء والنار، وحبة الرمان فيها الحلاوة والحموضة، وورقة الورد فيها الحمرة والبياض، فجمعها(3) على الوجه اللائق في العقل بعجيب قدرته.
(ووصل أسباب قرائنها): القرينة: هي النفس، وأراد وألّف إليها ما تحتاج إليه من الأسباب، ووصلها بها لإتقانها وإحكامها.
(وفرقها أجناساً مختلفات): وجعلها أجناساً مختلفة.
(في الحدود والأقدار): الحد: غاية الشيء ونهايته التي يقف عندها، والأقدار: جمع قدر، كما قال تعالى: {قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}[الطلاق:3] وأراد أنه أحكم غاياتها وأتقن أصولها ومقاديرها.

(والغرائز والهيئات): الطبائع من اللين في الطبع والشرس والرقة والغلظ فيه، والهيئات في الألوان من السواد والبياض، والسمرة والحمرة وغير ذلك، كما قال تعالى: {وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ}[الروم:22].

---

(1) أي الاضطراب والتعمية، ومنه الثبج: وهو اضطراب الكلام، وتعمية الخط وترك بيانه.

(2) في (ب): بالقدرة، وكذا في نسخة أخرى.

(3) في (أ): فجمعهما.

(537/2)

(برايا): موجودون من براه إذا أوجده.

(خلائق): مقدرون بالإحكامات، وهما جمع برية وخليقة.

(أحكم صنعها): أحكم الله صنعتهم في تراكيبهم.

(وفطرها): أوجدها.

(على ما أراد(1)): على وفق إرادته ومشيئته.

(وأبدعها(2)): من غير شيء سابق كان هناك.

ثم تكلم في عجيب خلق السماء بقوله:

(ونظم بلاتعليق): أراد أنه أحكم نظامها ورفع سمكها من غير أن يجعل لها متعلقاً يمسكها من فوقها، ولا قراراً تعتمد عليه من تحتها.

(رهوات فرجها): الرهوة: هي المكان المرتفع والمنخفض، وهي من الأضداد، وأراد ها هنا المنخفض، أي وأحكم ما انخفض من فرجها بالتئامه بغيره.

(ووشج بينها وبين أزواجها):الوشيجة(3): هي عروق الشجرة المشتبكة، ويقال للقرابة: وشيجة لا شتباكها، وأراد أنه ألَّف بين السماوات وجعلها مزدوجة.

(ولاحم صدوع انفراجها): الملاحمة: الالتصاق، أي وألصق بعضها إلى بعض بحيث لا يوجد هناك انفصال فيها.

(وذلك(4) للهابطين): من الملائكة النازلين منها.

(بأمره): بما يأمر من القبض والبسط، والإحياء والإماتة، والإهلاك والرحمة، وغير ذلك من الأقضية.

(والصاعدين منهم(5) بأعمال خلقه): الموكلين بحفظ الأعمال خيرها وشرها.

(حزونة معراجها): الحزن من الأرض: ما صعب مسلكه، والمعراج: ما يعرج فيه، وأراد أنه سهل طرقها للهبوط والصعود من الملائكة.

(1) في (أ): على ماراد، وهو تحريف.
(2) في النهج: وابتدعها.
(3) في (ب): الوشجة.
(4) في النهج وفي نسخة أخرى: وذلَّل
(5) منهم، سقط من النهج.

(538/2)

(وناداها بعد إذ هي دخان): أي قصدها بالأمر، حيث قال: {فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ}[فصلت:11]بعد كينونتها دخاناً، حيث قال: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ}[فصلت:11] وذلك أن الله خلق الأرض أولاً على شكل الكرة، ثم خلق بعد ذلك السماء، ثم عاد بعد ذلك فبسط الأرض ودحاها.

(فالتحمت عرا أشراجها): فالتصقت العرا أي تداخلت، والأشراج: جمع شِرَج بالفتح في عينه هو عروة العيبة(1)، وأراد أنها مع سعتها العظيمة متلاصقة مندكة لا فرجة فيها.

(وفتق بعد الارتتاق): الفتق هو: الشق، والارتتاق هو: التلاصق، وأراد أنه شقها بعد أن كانت كلها متلاصقة بمثابة الطبق الواحد.

(صوامت أبوابها): باب مصمت أي مغلق، وأراد أنه جعل لها أبواباً مغلقة.

(وأقام رصداً من الشهب الثواقب): الرصد مصدر رصد يرصده رصداً ورصيداً، ولكونه موضوعاً على المصدرية استوى فيه الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث، وانتصابه ها هنا على المفعولية، وهو صفة في قوله تعالى: {يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا}[الجن:9]، (من الشهب الثواقب)، الشهب: جمع شهاب، وهو: عبارة عن ما يرمى به من النجوم، والثاقب هو: المضيء لنوره ودرِّيته.

(على نقابها): والنقاب هو: الطريق في الجبل، وأراد على طرقها حراسة لها عن استراق السمع من جهة الشياطين والكهنة وأهل السحر.

(وأمسكها من أن تمور في خَرْقِ الهواء): أي وشدها عن أن تمور، والمور هو: التحرك والاضطراب في خرق الهواء، والخَرْقُ بسكون العين هو: الجو الذي لا أجسام فيه، وأراد أنه أمسكها على هذه الحالة.

---

(1) العيبة: زبيل من أدم، وما يجعل فيه الثياب. (القاموس المحيط ص152).

(رائدة): الرود هو(1): المجيء والذهاب، وانتصاب رائدة على الحال من الضمير في أمسكها، وهو تفسير لقوله: تمور، والمعنى أنه أمسكها عن أن تمور تتحرك(2) وتضطرب جائية وذاهبة.

(وأمرها أن تقف مستسلمة لأمره): الأمر ها هنا يحتمل أن يكون من باب القول، فيقول لها: قفي على هذه الصفة، كما قال لها: {ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا}[فصلت:11] ويحتمل الأمر عبارة عن الداعي والإرادة، وهو أن الله تعالى علم أن المصلحة وقوفها(3) على هذه الصفة، فأراده فكان على وفق إرادته من غير مخالفة، وأراد بالاستسلام الإذعان والانقياد.

(وجعل شمسها آية مبصرة): مضيئة، لها شعاع تُبْصَرُ فيه(4) الأشياء ويُعْرَفُ حالها، ببصر الأعين.

(لنهارها): أي من أجل نهارها ليكون ذلك سبباً للانتفاع وتصرف الخلق في أشغالهم ومنافعهم.

(وقمرها آية ممحوة): أي لا شعاع لها كشعاع الشمس وإنما هي نور.

(من ليلها): أي من أجل ليلها ليكون ذلك سبباً للسكون من الأشغال والاستراحة فيه بالنوم، كما قال تعالى(5): {جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ}.

سؤال؛ أراه عدَّى في كلامه هذا مبصرة باللام، وعدَّى ممحوة بمن، فما وجه التفرقة في ذلك؟

---

(1) في (أ): هي، وفي (ب) ما أثبته.

(2) في (ب): أو تضطرب.

(3) في (ب): في وقوفها، وفي نسخة أخرى: في وقوعها.

(4) في (ب): يبصر به.

(5) في النسختين: كما قال تعالى: هو الذي جعل لكم ...إلخ، وأثبت الآية الشريفة من المصحف.

وجوابه؛ هو أن الغرض بالنهار إنما هو لأجل الإبصار في النهار والتصرف فيه، فلهذا جاءت اللام مشعرة بذلك، فلهذا عدَّاه باللام إشعاراً بالتعليل، وأما ممحوة فمن فيها لابتداء الغاية، وأراد أنها ممحوة من الليل فصارت قريباً منه في عدم الشعاع والضياء، فلهذا عدَّاها بمن إشارة إلى هذا الغرض من كل واحد من الحرفين وتنبيهاً عليه، ومعنى الآية: العلامة.

(وأجراهما في مناقل مجراهما): أي وسيرهما في مجاري مسيرهما(1)، [يتنقلان فيها طوراً بعد طور،

وحالة بعد حالة] (2)

[(وقدر مسيرهما)(3)]: المسير هو: السير، وأراد وأحكم مسيرهما على ما فيه من الاختلاف في السير، فإن القمر يقطع فلكه في شهر والشمس لا تقطع فلكها إلا في السنة(4)، وذلك لبطئها وتثاقل مسيرها.

(في مدارج درجيهما(5)): في منافذهما ومجاري سيرهما في المنازل، وجملتها ثمانية وعشرون منزلة: النطح، البطين، الثريا، الدبران، الهقعة، الهنعة، الذراع، النثرة، الطرف، الجبهة، الزبرة، الصرفة، العوّا، السماك، الغفر، الزبانا، الإكليل، القلب، الشولة، النعائم، البلدة، سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الأخبية، مقدم الدلو، المؤخر، الحوت.

ينزل القمر في كل [منزلة](6) ليلة واحدة من هذه، والشمس في المنزلة الثالثة من نزول القمر من هذه، وتقيم الشمس في المنزلة أياماً، والقمر لسرعة جريه يحل كل ليلة في واحدة منها.

---

(1) العبارة من أولها في (ب) وفي نسخة أخرى: أي وسيرهما في مجاري لهما.

(2) ما بين المعقوفين سقط من (أ)، وهو في (ب) وفي نسخة أخرى.

(3) ما بين المعقوفين سقط من (أ)، وما أثبته من (ب)، و في شرح النهج: وقدر سيرهما.

(4) في (ب): سنة.

(5) في النهج: درجهما.

(6) سقط من (ب).

(541/2)

(ليميز بين الليل والنهار بهما): فاليوم هو طلوع الشمس وغروبها، والشهر: عبارة عن مسير القمر في الثمانية والعشرين منزلة، ثم يكون سراره ليلتين أوليلة إذا نقص، والسنة اثناعشر شهراً.

(وليعلم عدد السنين والحساب بمقاديرهما): فالشهور بالقمر كما ذكرناه، والأيام بالشمس، والحساب في كل شيء من الأوقات الشرعية وغير ذلك من منافع الخلق، ولولا ذلك لما عرف الحساب أصلاً.

(ثم علق في جوها فلكاً(1)): أراد فلك القمر، لأنه هو الأقرب إلينا وذلك لأن الأفلاك تسعة:

أولها: الفلك الأقصى.

وثانيها: فلك البروج.

وثالثها: فلك زحل.

ورابعها: فلك المشتري.

وخامسها: فلك المريخ.

وسادسها: فلك الشمس.

وسابعها: فلك الزهرة.

وثامنها: فلك عطارد.

وتاسعها: فلك القمر.

فهذه الأمور لا ننكرها إذا كان لها فاعل مختار أحكمها وقدرها، وإنما أنكرناها على الفلاسفة لأمرين:

أما أولاً: فلأنهم قالوا بقدمها وأزليتها، وأنه لم يسبقها عدم، وأنها مع فاعلها(2) فيما لا أول له.

وأما ثانياً: فلأنهم قالوا: إن الحوادث التي في عالمنا هذا السفلي صادر عنها وأثر لها، وأن هذه الاستقصآءات والتركيبات في عالمنا حاصل عن هذه الأفلاك بوسائط هذه العناصر، فهذه مقالتهم في هذه الأفلاك، ثم هي أيضاً آثار عن العقول السماوية، وهذه العقول حاصلة عن ذات الله تعالىعلى جهة الإيجاب على تقدير في التدريج لهم في التأثير، ذكرناه في كتبنا العقلية.

(ناط بها زينتها): علق بها ما يزينها.

(من خفيات دراريها): من هذه النجوم، فمنها ما هو خفي دري متوقد.

(ومصابيح كواكبها): ومنها ماهو مصباح مضيء يستضاء بنوره للسائرين.

(ورمى مسترقي السمع): من الشياطين.

---

(1) في النهج: فلكها.

(2) في (ب): فعلها.

(542/2)

(بثواقب شهبها): ومنها للرمي لمن أراد الاستراق، كما قال تعالى: {فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً}[الجن:9]، كما قال بعضهم:

منها معالمُ للهدى ومصابحُ .... تجلو الدُّجى والأخرياتُ رجومُ(1)

(وأجراها): يعني النجوم.

(على أذلال تسخيرها): على تسخير مذلل ينقاد من غير استعصاء ويذهب فيه من غير مخالفة.

(من ثبات ثابتها): والثوابت عند أهل التنجيم من البروج أربعة: الثور، والأسد، والدلو، والعقرب، أي أنها لا تتغير في سيرها ومجراها.

(ومسير سائرها): ما(2) يستقيم في سيره ولا يرجع، وهو أكثر السيارة (3)من البروج، ومنها ما يرجع في سيره وهي خمسة: زحل، والمشتري، والمريخ ، والزهرة، وعطارد، وهذه هي الخنس التي أراد الله بقوله: {فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ}[التكوير:15] لأنها تخنس في مجراها أي ترجع.

(وهبوطها وصعودها): فمنها ما هو في لوح الفلك يكون مسيره، ومنها ما دون ذلك في جوانب الفلك.

---

(1) قبله في (ب):
آراؤهم ووجوههم وسيوفهم .... للعالمين إذا بدين نجوم_ ... _وقد نبه الناسخ فيها بقوله: هذا البيت ليس من النسخة، وإنما فعلت إتماماً للفائدة. تمت.
(2) في (ب): مما.
(3) في (ب): السيارات.

(543/2)

(ونحوسها وسعودها): وما أجرى الله فيها من النحوس والسعود التي قرنها بها وجعلها واقعة بحسبها، وهذا أيضاً مما لاننكره أن يجري الله تعالى العادة بحدوث هذه الحوادث من المرض والصحة والأمطار والغيوم والنحوس والسعود بطلوع هذه(1) الكواكب وغروبها لمصلحة استأثر بعلمها، وإنما أنكرنا أن تكون هذه الآثار مضافة إلى هذه الكواكب بالإيجاب من جهة ذاتها فهذا محال في العقل لدلالة(2) ذكرناها في غير هذا الكتاب، فسبحان من أنافت حكمته على حكمة الحكماء، وحار في دقيق صنعته وأسرار فطرته عقول العقلاء.
ثم تكلم في صفة الملائكة وعجيب حالهم:
(ثم خلق سبحانه لإسكان سماواته): ثم أبدع وأوجد من خلقه خلقاً اختار أن يكون محلهم لكرامتهم عنده سماواته التي عمرها لهم.
(وعمارة الصفيح الأعلى من ملكوته): أي وليكون خلقهم عمارة، والمصفح من الأشكال: نقيض ما كان منها كري الشكل، وصفحة كل شيء وجهه، وأراد السماوات لأنها مبسوطة فإنها من أعجب ما يكون في الملكوت لما اشتملت عليه من(3) بدائع الحكمة وعجائب الإتقان البالغ، كما قال تعالى: {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ}[غافر:57].
(خلقاً بديعاً من ملائكته): إما بديعاً لا يشبه خلق غيره من سائر الحيوانات، وإما محكماً متقناً أبلغ من إحكام غيره من المخلوقات.
(وملأ بهم فروج فجاجها): الفرج هو: الشق، وجمعه فروج، والفجاج: جمع فج، وهي: الطريق الواسعة، وأراد أنه جعلها مملوءة منهم في شقوقها وطرقها الواسعة.

---

(1) قوله: هذه سقط من (ب).

(2) في (ب) وفي نسخة أخرى: لأدلة.

(3) قوله: من سقط من (أ).

(وحشى بهم فتوق أجوائها): الأجواء: جمع جو وهي: المكان المتسع، والفتق: الشق، وغرضه أنه حشى بهم مواضعها المتسعة المنخفضة.

(وبين فجوات تلك الفروج): التي هي ملأى بهم ومحشوة منهم.

(زجل المسبحين منهم): هينمة(1) أهل التسبيح بأنواع التمجيد(2)، والزجل: الصوت العظيم، ولهذا يقال: سحاب ذو زجل(3) أي رعد قوي.

(في حضائر القدس): في الأماكن المقدسة والمواضع الشريفة بما يحصل فيها من الذكر والخضوع.

(وسترات الحجب): والحجب المجعولة ساترة.

(وسرادقات المجد): كل بيت مجعولاً من الثياب فهو سرادق، وغرضه في هذا ذكر موضع الملائكة وأماكنهم وذكر ماهم مشغولون به من التقديسات العالية وأنواع التماجيد الرفيعة التي خصَّوا بها وجعلوا أهلاً لها.

(ووراء ذلك الرجيج): الاضطراب والحركة العظيمة.

(التي(4) تستك منها الأسماع): استك سمعه إذا صم فلم يسمع، وأراد لعظمه يكاد(5) أن يصم الآذان(6)، وترعد منه الفرائض.

سؤال؛ أراه عبر عن أصوات الملائكة في الأول بالزجل، ثم قال بعد ذلك: ووراء ذلك الرجيج، فما وجهه؟

---

(1) الهينمة: الصوت الخفي.

(2) في (ب) وفي نسخة أخرى: التحميد.

(3) في (أ): زوجل، وما أثبته من (ب). ومن نسخة أخرى.

(4) في النهج: الذي تستك منها الأسماع.

(5) في (ب): تكاد أن تصم.

(6) في (أ): الأذن، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

وجوابه؛ هو أن الرجيج: عبارة عن الحركة مع الصوت، ومنه الحديث: ((من ركب البحر حين يرتج فلا ذمة له))(1) أي حين يضطرب ويهدر بالموج، ومنه قوله تعالى: {رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا}[الواقعة:4] فذكر الزجل أولاً، لما كان الغرض منه الهينمة وهو صوت التسبيح لا غير، فلما أراد حكاية أفعالهم وحركاتهم بالقيام والقعود في العبادة ورفع الأصوات بأنواع التمجيد عبَّر عنه بالرجيج لما كان شاملاً للأمرين جميعاً.

(سبحات نور): السبحات: عبارة عن الجلال والعظمة والكبرياء، وذكر النور استعارة.

(تردع الأبصار): تكفها من(2) شدة الضياء.

(عن بلوغها): عن الوصول إلى حقائقها وغاياتها.

(فتقف خاسئة): متحيرة عن الذهاب، مطرودة عن الوصول إلى تلك النهاية.

(على حدودها): على ما ينبغي لها أن تقوى(3) على بصره وإدراكه، فأما ما يبهرها من هذه الأنوار العالية فلا سبيل لها إلى إدراكه.

(أنشأهم على صور مختلفات): في الأشكال والهيئات، مع ما خصهم به من القدرة الكاملة، كما روي أن جبريل عليه السلام حمل مدائن قوم لوط وهي سبع على ريشة من جناحه، وكما روي أنه هبط في مبدأ الوحي على الرسول فملأ ما بين الخافقين بجناحيه(4).

---

(1) أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي 282/8، وعزاه إلى كنز العمال برقم (41371)، وقريباً منه أورده ابن الأثير في النهاية 197/2 بلفظ: ((من ركب البحر إذا ارتج فقد برئت منه الذمة)).

(2) في (أ): عن، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(3) ظنن فوقها، في (ب) بقوله: ظ: تقف.

(4) في (أ): بجناحه، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى، والخافقان: هما طرفا السماء والأرض، وقيل: المشرق والمغرب، وخوافق السماء: الجهات التي تخرج منها الرياح الأربع (نهاية ابن الأثير 56/2).

(546/2)

(وأقدار متفاوتات): وفي الحديث: ((إن لله تعالى(1) ملكاً ما بين كتفيه خفقان الطير المسرع خمسمائة عام))(2) وهم من(3) المخلوقات الباهرة الدالة على سلطان العظمة وبرهان الحكمة.

(أولي أجنحة): يطيرون بنوافذ الأقضية، ويسارعون في امتثال الأوامر، كما قال تعالى: {أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ}[فاطر:1].

(تسبح جلال عزته): ينزهون عزة الإلهية وجلالها عما لا يليق بها، ويقدسونها بالتماجيد اللائقة بها، والتسبيح هو: التنزيه والبراءة عما لا يليق.
وعن أعرابية أنها جاءت إلى رجل فقالت له: اكتب: سبحان سهلة عن أينق، ادَّعاها عليها أخوها، أي تبرأت عنها.
(لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صنعه(4)): انتحل الشيء إذا ادعاه لنفسه، وأراد أنهم لايدعون إضافة شيء من مخلوقات الله إلى أنفسهم التي أظهرها وأوجدها، ولا ينسبون وجودها إليهم.
(ولا يدَّعون أنهم يخلقون شيئاً معه): الخلق عند المعتزلة وأصحابنا هو: التقدير، وعند الأشعرية هو: الإيجاد، وهذا هو الأقرب، بدليل قوله تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}[القمر:49]، وقوله تعالى: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا}[الفرقان:2]، ولو كان الخلق هو(5) التقدير لكان تكراراً لا فائدة تحته، وأراد أنهم لايقدرون شيئاً من تقديرات الله تعالى.
(مِمَّا انفرد به): مِمَّا هو مختص به ومنسوب إليه.

---

(1) قوله: تعالى زيادة في (ب).
(2) ورواه المؤلف أيضاً في كتابه تصفية القلوب ص 307، وتمامه: ((وإنه ليتضاءل حتى يصير كالعصفور من خشية الله تعالى)) وهو في رضا رب العباد صـ 388 عن التصفية.
(3) في (ب): في.
(4) في (ب): صنعته.
(5) قوله: هو سقط من (ب).

(547/2)

سؤال؛ أراه قيد نفي الخلق عنهم بما انفرد الله به، وأطلق نفي الانتحال من غير تقييد، والغرض فيهما نفي المشاركة عنهم في ذلك؟
وجوابه؛ هو أن(1) الغرض بالانتحال أن تعلم أن شيئاً لغيرك وتدعيه لنفسك، وأراد أن ما علموه من خلق الله بالبرهان القاطع فإنهم لا يدعونه فلهذا أطلقه، بخلاف الخلق فهو إما عبارة عن التقدير كما قال أصحابنا والمعتزلة، وإما أن يكون عبارة عن الإيجاد كما قاله(2) الأشعرية، ولا شك أنهم موجدون لأفعالهم ومقدرون لها، فلهذا قيد نفي الخلق عنهم بما انفرد الله به من خلقه.
(بل عباد مكرمون): إضراب عما نزههم عنه من ادعاء المشاركة له في خلقه، وإثبات العبودية من جهتهم له، واستحقاقهم الكرامة من جهته.
(لا يسبقونه بالقول): فيجعلون كلامهم فوق كلامه وأمرهم(3) أنفذ من أمره.

(وهم بأمره يعملون): أراد أنه لايصدر من جهتهم عمل إلا بأمر من الله تعالى(4)، أو أنهم لا يخالفون أمره فيما أمر به ويمتثلونه.
(جعلهم فيما هنالك): هنا إشارة إلى الأمكنة، وأراد في أمكنتهم الرفيعة العالية.
(أهل الأمانة على وحيه): فلا يخونون فيه بزيادة ولا نقصان، ولا تحريف ولا تبديل.
(وحملهم إلى المرسلين): إلى أهل الرسالة من الأنبياء، إذ منهم من يكون نبياً من غير إرسال إلى أحد، ومنهم من يكون رسولاً، كما قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيّ}[الحج:52] ففرق بين(5) الرسول والنبي إشارة إلى ما قلناه.
(ودائع أمره ونهيه): ما استودعهم من الأوامر والنواهي.

---

(1) قوله: أن سقط من (ب).
(2) في (ب): قال.
(3) في (أ): وأمره، والصواب: وأمرهم، كما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.
(4) قوله: تعالى زيادة في (ب).
(5) في (ب): ما بين.

(548/2)

(وعصمهم): منعهم بالألطاف الخفية والتوفيقات المصلحية.
(من ريب الشبهات): عن أن يرتابوا في عقائدهم الإلهية بشبهة ترد عليهم في ذلك.
(فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته): مائل عما يكون لله تعالى(1) فيه رضى في جميع أحوالهم.
(وأمدهم بفوائد المعونة): وأعطاهم من الإمداد وهو الإعطاء ألطافاً يستفيدون بها الإعانة.
(وأشعر قلوبهم): إما جعل الخوف شعاراً لهم، وإما أشعر قلوبهم أي أعلمها.
(تواضع إخبات السكينة): التواضع هو: الخشوع، والإخبات هو: ذل النفس مع خشوعها، وأراد أنه جعل الخشوع والتواضع والتذلل لاصقة بقلوبهم لا تفارقها، أو أنه قرره في عقولهم قطعاً وتحقيقاً(2).
(وفتح لهم أبواباً ذللاً إلى تماجيده): أي ألهمهم إلى أقوال سهّل مواردها لهم دالة على تعظيمه.
(ونصب لهم مناراً واضحةً): أعلاماً بينة، وطرقاً مستنيرة، وأراد بالمنار هاهنا الأعلام، ولهذا أنث صفته .
(على أعلام توحيده): الى أنه واحد لاشريك له يساويه في صفاته .
(لم تثقلهم مُؤصِرَات الآثام): المؤصر: المثقل، وأراد أن فعلهم للذنوب لم يكن فيثقلهم حملها.

---

(1) قوله: تعالى زيادة في (ب).

(2) في (ب): وتحققاً.

(ولم ترتحلهم عُقَبُ الليالي والأيام): الارتحال افتعال من قولهم: رَحَلَ البعير إذا شدَّ على ظهره الرحل، والعقبة هي: النوبة، من قولهم: هما يتعاقبان البعير أي يركبه أحدهما مرة والآخر مرة أخرى، والمعنى في هذا هو أن من تداولته الليالي والأيام كان مثل البعير المسخر الذي يشد(1) على ظهره الرحل، وتردد في الأسفار من موضع إلى موضع، فهكذا حالنا في الدنيا ننقل من الليل إلى النهار، ومن النهار إلى الليل، فلهذا كانت(2) الأيام والليالي مرتحلة لنا بعقبها(3)، فإذا لم يكن في السماوات ليل ولا نهار لعدم طلوع الشمس وغروبها كان الملائكة منزهين عن اعتقاب الليل والنهار، وارتحالهم(4) بعقبها.

(ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة إيمانهم): النازع: السهم، والعزيمة هي: القطع على الشيء، وأراد أن الشكوك الحاصلة عن الشبهات لم ترم بأسهمها إلى الأمور المقطوع بصحتها في أديانهم(5).

(ولم تعترك الظنون): أي تزدحم.

(على معاقد يقينهم): على ما قطعوا عليه باليقين فيكون مظنوناً لهم.

(ولا قدحت قادحة الإحن فيما بينهم): الإحنة: العداوة، وجمعها إحن، قال الشاعر:

إذا كان في صدرِ ابن عمكَ إِحْنَةٌ .... فلا تَسْتَثِرْهَا سَوف يبدو دَفِيْنُها(6)

---

(1) في (ب): شد.

(2) في (أ): كان وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(3) في نسخة: لتعاقبها [ذكره في هامش (ب)].

(4) في (ب): وارتحالهما لهم تعقبهما، وفي نسخة أخرى، وارتحالهما بهم تعقبهما.

(5) في (ب) وفي نسخة أخرى:كما أثبته، و في (أ): في آذانهم.

(6) أورده في لسان العرب 27/1 ونسبه للأقيبل القيني من أبيات ثلاثة هي:

متى ما يسؤ ظن امرئ بصديقه .... يصدِّق بلاغات يجئه يقينها

إذا صفحة المعروف ولَّتك جانباً .... فخذ صفوها لا يختلط بك طينها

إذا كان في صدر ابن عمك إحنة .... فلا تستثرها سوف يبدو دفينها

وأراد أن المعاداة والضغائن ليست(1) حاصلة بينهم لعدم أسبابها وانقطاع وصلها.

(ولا سلبتهم الحيرة ما لاق من معرفتهم(2) بضمائرهم): سلبه: إذا أخذ ما عليه من السلب، والحيرة هو: التحير والتردد أي أن(3) التحير لم يُزِل عقائدهم اللائقة بمثلهم في التحقق(4) واليقين من معرفة الله تعالى وتوحيده، المشتملة عليها(5) أفئدتهم.

((6)ولم تطمع فيهم الوساوس): جمع وسواس، وهو: ما يقع في الصدور من أحاديث النفس.

(فتفترع بريبها على فِكْرِهِمْ): فتعلو(7) بشكها، من قولهم: فرعت قومي إذا علوتهم بالشرف، والريب هو: الشك، وأراد أن الوساوس لم يعلُ(8) ريبها على ما قد حصل في أفكارهم من العلوم القطعية بمعرفة الله تعالى.

(منهم(9) من هو في خلق الغمام الدُّلَّح): الخلق: المخلوق، كقوله تعالى: {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ}[لقمان:11] أي مخلوقه، وأصله أن يكون مصدراً، ولكنه جرى اسماًلما ذكرناه كقوله تعالى(10): {لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ}[المائدة:95] فإنه في الأصل مصدر ثم استعمل فيماذكرناه، الدلح بالحاء المهملة: الثقال، [يقال] (11): دلح بالماء إذاحمله غير منبسط الخطو لثقله.

(وفي عِظَمِ الجبال الشُّمَّخ): وفي عظم الجبال الشامخة المرتفعة.

---

(1) في (ب): ليس.

(2) في (ب) وشرح النهج: من معرفته.

(3) قوله: أن سقط من (ب).

(4) في (ب): التحقيق.

(5) في (ب): عليه.

(6) قبله في شرح النهج: (وما سكن من عظمته وهيبة جلاله في أثناء صدورهم).

(7) في (ب): فيعلموا، وهو خطأ.

(8) في (أ): لم تعلُ.

(9) في النهج: ومنهم

(10) قوله: تعالى، زيادة في (ب).

(11) سقط من (ب). .

(وفي قترة الظلام الأيهم): القترة: الغبرة، قال الله تعالى: {تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ}[عبس:41] أي غبرة، الأيهم: شديد السواد، فلا تهتد ي فيه لشدة ظلامه، والأيهمان: السيل والنار، وفي الحديث: ((كان الرسول يتعوذ بالله(1) من الأيهمين)).

(ومنهم من قد(2) خرقت أقدامهم تُخُوم الأرض السفلى): التَخْم هو: قعر الأرض البعيدة، وجمعه تخوم، ويقال: تخومه أيضاً.

قال:

فإن أَفْخَرْ بِمَجْدِ بَنِي سُليم .... أكُنْ فيها التَّخومة والسَّرارا(3)

(فهن(4) كرايات بيض قد نفذت في مخارق الهواء): شبه استقرار أقدامهم في تخوم الأر ض ونفوذها فيها برايات أعلام بيض نافذة في مخارق الهواء.

(وتحتها): الضمير للأقدام.

(ريح هفَّافة): ساكنة طيبة، أخذاً لها من الهفيف وهو: طيب النسيم.

(تحبسها): أي تحبس الأقدام عن النفوذ.

(على حيث انتهت): أراد الريح؛ لأن الأقدام قد انتهت بالريح، لكونها من تحتها فلا وجه لرجوعه إلى الأقدام.

(من الحدود المتناهية): المقادير التي علم الله تعالى حالها، وعلم أن تناهيها كان بنفسها أو بأمر آخر غيرها.

(قد استفرغتهم أشغال عبادته): أراد أنهم فرغوا عن كل شيء من الأشغال، واشتغلوا بالعبادة وأنواع الطاعة.

---

(1) قوله: بالله، زيادة في (أ)، والحديث أورده ابن الأثير في النهاية 303/5، وابن منظور في لسان العرب 1021/3..

(2) قد، زيادة في النهج.

(3) لسان العرب 314/1 بدون نسبة لقائله، وقوله هنا: (فيها)، في اللسان: (منها)، والسَّرار بالفتح: خالص كل شيء.

(4) في النهج: فهي.

(552/2)

(ووسَّلت حقائق الإيمان بينهم وبين معرفتهم(1)): الوسيلة: ما يتقرب به الإنسان إلى غيره، يقال: وسل فلان إلى ربه وسيلة إذا تقرب بعمل صالح، وأرادها هنا أن الأعمال الصالحة من جهتهم هي

الوسيلة بينهم وبين معرفته وتحققه.
سؤال؛ كيف تكون الأعمال الصالحة وهي التي عناها بحقائق الإيمان وسيلة إلى معرفة الله تعالى(2)، وهي متوقفة عليها، ولا تعقل الأعمال الصالحة إلا بتقدم(3) الإيمان لها، وسبقه عليها؟
وجوابه من وجهين؛
أما أولاً: فيحتمل أن يكونوا قد عرفوا الله تعالى بالنظر والاستدلال، لكنهم لما نَصِبُوا(4) في الأعمال الصالحة ودأبوا فيها أفيضت عليهم العلوم الضرورية من جهة الله تعالى، فلهذا كانت وسيلة إلى خلق العلم الضروري.
وأما ثانياً: فبأن يكون علمهم(5) الأول نظري، لكنهم لما شغلوا بالطاعات العظيمة وفعلوها وانشرحت أفئدتهم بفعلها، لا جرم تقوى علمهم النظري وازداد قوة ومكانة بالله(6) تعالى، فتكون هذه الطاعة(7) وسيلة إلى ما حصل من التحقق(8) والتيقن من بعد علمهم النظري، فعلى هذا يحمل كلامه، والأول أولى وأحق، وعليه يدل كلامه في هذا الموضع وفي غيره، كما سنوضحه بمعونة الله تعالى.
(وقطعهم الإيقان به إلى الوله إليه): الوله: شدة الوجد، يقال: امرأة والهة ورجل واله، قال الأعشى:
وأقبلت والهاً ثَكْلَى على عَجَلٍ .... كلٌّ دهاها وكلٌّ عندها اجتمعا

---

(1) في النهج: معرفته.
(2) قوله: تعالى، سقط من (أ).
(3) في (أ): بتقديم.
(4) أي تعبوا.
(5) في (أ): عملهم.، وما أثبته من (ب). ومن نسخة أخرى.
(6) في (ب): في الله تعالى.
(7) في (ب): الطاعات.
(8) في (ب): التحقيق.

(553/2)

وأراد أن القطع بوجوده والإيقان به هو الذي أولههم أي شدد عظيم شوقهم إليه.
(ولم تجاوز رغباتهم ما عنده إلى ما عند غيره): أراد أن(1) رغباتهم منقطعة عمَّا كان متعلقاًبغيره، وبطل رجائهم له، وصارت متعلقة بما عنده، إما برضوانه فهو أعظم مطلوبهم، وإما بما وعدهم من الزلفة لديه وعظيم الأجر من جهته.
(قد ذاقوا حلاوة معرفته): صاروا لشوقهم إلى معرفة الله تعالى وولوع قلوبهم وميل أفئدتهم إليها بمنزلة

من طعم شيئاً حلواً فهو يتهالك في تناوله والاستمرار على أخذه.

(وشربوا بالكأس الروية من محبته): الروية هي: المملؤة التي يروى(2) من شربها، وأراد أن المعرفة والمحبة قد صارا ملتبسين بهما، حتى صار أحدهما مطعومة وهي المعرفة، والأخرى مشروبة وهي المحبة، وهذا من المجازات الرشيقة العجيبة.

(وتمكنت من سويداء قلوبهم وشيجة خيفته): الوشيجة هي: العروق المشتبكة، وسوداء(3) القلب هي: أعظمه بمنزلة سواد العين، وأراد أن وشائج الخوف الواقعة من جهات مختلفة قد رسخت [في](4)أفئدتهم رسوخاً عظيماً، وتشبثت به تشبثاً، وخالطته مخالطة كلية.

(فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم): الاعتدال هو: الاستواء، وأراد أنهم حنوا(5) بها بالركوع والسجود تقرباً إلى ربهم وخضوعاً لجلاله.

(ولم ينُفد طول الرغبة إليه مادة تضرعهم): أراد أن انقطاعهم إلى الله بالرغبة في جميع أحوالهم لا يزيل كثرة تضرعهم إليه، بل هم في أشد ما يكون من التضرع مع استطالة الرغبة.

---

(1) قوله: أن سقط من (ب).

(2) في (ب): تروي.

(3) في (أ): وسواد، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(4) سقط من (أ).

(5) في (ب): حنوها.

(554/2)

(ولا أطلق عنهم عظيم الزلفة رِبَق خشوعهم): الربقة: واحدة الربق، وهو: حبل فيه عرا تدخل رقاب صغار المعز في كل واحد منها، يعني أن عظيم(1) خطرهم وارتفاع منازلهم عند الله لم يطلق رقابهم عن تلك الخشية له؛ لأن من كان ذا منزلة رفيعة وخطر عظيم عند بعض الملوك فربما يدعوه ذلك إلى الاستنكاف عن بعض خدمته، وليس هذه حالة الملائكة فإنهم مع عظم زلفتهم قيامهم بخدمته أكثر.

(ولم يتولهم الإعجاب فيستكثروا ما سلف منهم): التولي من الولاية وهي: الصداقة ضد العداوة، ومنه قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}[المائدة:51] وأراد أن الإعجاب لم يصادقهم، أو يكون من ولاه(2) يليه إذا قرب منه، أي أن الإعجاب لم يقاربهم(3) ويخالطهم فيستكثروا ويعظم في أعينهم ما سلف منهم من العبادة والخوف والمراقبة.

(ولا تركت لهم استكانة الإجلال نصيباً في تعظيم حسناتهم): الاستكانة هي: المسكنة وهي: عبارة

عن ضعف الحال، وأراد أن الاستكانة في ذاتهم(4) وضعف حالهم بالإ ضافة إلى جلال الله وتواضعهم لكبريائه، لم يدع لهم نصيباً في تعظيم ما عملوا(5) من الحسنات والأعمال الصالحة.

(ولم تجر الفترات فيهم على طول دؤوبهم): دأب في عمله إذا جد فيه دأباً ودؤوباً، ولهذا يقال للنهار والليل: إنهما دائبان(6) وأراد أن الفترات وهي الضعف عن العمل غير جارية في حقهم مع جدهم في الأعمال واجتهادهم في أدائها وتحصيلها.

____

(1) في (ب): عظم.

(2) في (ب): ولا.

(3) في (ب): لم يقارنهم قط.

(4) في (أ): في آذانهم، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(5) في (ب): ما عملوه.

(6) في (أ): دائبين، وهو خطأ، والصواب ما أثبته.

(555/2)

(ولم تعص رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربهم): المعصية: خلاف الطاعة، وأراد هاهنا أن رغباتهم وكثرة شوقهم في غاية الطاعة لخالقهم والانقياد لأمره، ولأجل ذلك لم يخالفوا عن طلب ما يرجونه من جهة الله تعالى من الرغائب العظيمة.

(ولم تجف لطول المناجاة أسلات ألسنتهم): الأسلة: مستدق طرف اللسان، وجمعها أسلات، وأراد أن مناجاتهم لخالقهم في جميع أحوالهم لا تنفك ولا تزال غضة طرية، وعبر عن انقطاعها بجفاف الألسنة، وهي من المجازات التي لا يهتدي إليها غيره.

(ولا تمكنتهم(1) الأشغال): استغرقتهم الأعمال التي لغير وجهه.

(فتنقطع بهمس الجؤار أصواتهم): الجؤار هو: التضرع بالدعاء، وجأر الثور يجأر إذا صاح، وقرأ بعضهم: {عِجْلاً جَسَدًا لَهُ جُؤَارْ}[الأعراف:148، طه:88] والهمس هو: الصوت الخفي، وأراد أن همسهم بالتضرع إليه غير منقطع؛ إذ لا شغل لهم في غير ذلك.

(ولم تختلف في مقاوم الطاعة مناكبهم): المقام بفتح الفاء: يجمع على مقامات سواء كان للزمان أو المكان أو المصدر وهكذا مقام بضمها أيضاً(2)، قال الله تعالى: {لاَ مُقَامَ لَكُمْ [فَارْجِعُوا](3)}[الأحزاب:13] وقوله تعالى: {حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا}[الفرقان:76] وقوله تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ}[الدخان:51] فأما قوله: مقاوم فيحتمل أمرين:

أما أولاً: فبأن يكون جمعاً لمقام على الأصل أيضاً.

(1) في (ب) وفي شرح النهج: ولا ملكتهم.

(2) في (ب): بضم الفاء.

(3) زيادة في (ب).

(556/2)

وأما ثانياً: فبأن يكون جمعاً لمقوم كمقبض(1) وهي: الخشبة التي يمسكها الحراث، واستعاره ها هنا، والمنكب من الإنسان مثل المنسج(2) من الفرس، وكلامه هذا يحتمل وجهين:

أما أولاً: فبأن يكون(3) المراد من ذلك هم حملة العرش فإنه محمول على مناكبهم فلا يتزايلون عن حمله باختلاف مناكبهم.

وأما ثانياً: فبأن يكون المراد من ذلك جميع الملائكة، أي أنهم قائمون بالعبادة على وجهها، لاتختلف أحوالهم في ذلك.

(ولم يثنوا إلى راحة التقصير في أمره(4) رقابهم): ثنيت الحبل إذ عطفته، وأراد أنهم لم يأخذهم تقصير في حق الله تعالى فينعطفوا إلى إيثارالراحة ويجنحوا إليها، أو يكون مراده لم ينصرفوا عن طاعة الله إلى سواها من ثنيته عن حاجته إذا صرفته عنها، وإنما علق الراحة بثني الرقبة؛ لأن النوم أعظم لذات الجسم وراحاته، والرقاب تتثنى عنده، فلهذا علق الراحة بها.

(ولا تعدو على(5) عزيمة جدهم بلادة الغفلات): عدا عليه، فيها وجهان:

أحدهما: أن يكون بالعين المهملة، من قولهم: عدا عليه الأسد إذا وثب عليه.

وثانيهما: أن يكون بالغين المعجمة، من قولهم: غدا عليه إذا سار نحوه بالمضرة، وأراد أن البلادة التي هي نقيض الفطنة لا تغفلهم عمَّا هم بصدده من الاهتمام بأمر الله والقيام بعبادته.

---

(1) في (ب): كقميص.

(2) المنسج: قيل ما بين مغرز العنق إلى منقطع الحارك في الصلب، وقيل: غير ذلك (انظر لسان العرب 624/3)

(3) في (ب): فبأن يكون جمعاً المراد...إلخ.

(4) في (أ): أمر.

(5) في (أ): ولا تعدوا علامة عزيمة...إلخ، وفي (ب) وفي نسخة أخرى كما أثبته.

(557/2)

(ولا تنتضل في هممهم(1) خدائع الشهوات): ناضله إذا رماه، والخدع هو: المكر، وأراد أن المكر من جهة الشهوات لا يرمي في همَّهم(2) بالتهاون والتقصير.

(قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة): الذخيرة(3): أنفس ما يجده الإنسان عند حاجته، وأراد أنهم جعلوا الله أعظم الذخائر وأقواها، وإنما خص ذا العرش من بين أسماء الله تعالى لما في العرش من عظم الملك وباهر الخلق، وهو من(4) أعظم المخلوقات.

(ليوم فاقتهم): الفاقة هي: الحاجة، وذلك اليوم هو يوم القيامة.

(ويمموه عند انقطاع الخلق إلى المخلوقين برغبتهم): وأراد وقصدوه وانقطعوا إليه في طلب حوائجهم، وقضاء مآربهم وقت انقطاع الخلق إلى بعضهم بعض في قضاء حوائجهم، حيث كان لارغبة لهم عند غيره ولا حاجة لهم في سواه.

(لا يقطعون غاية أمد عبادته(5)): أراد أنهم قد وضعوا عند نفوسهم لما دلَّهم البرهان العقلي أنه لا نهاية لعبادته، فقد اعتقدوا وعلموا أنهم لا يقطعونها، وكيف يقطعونها وهي بلا(6) نهاية ولاحد لها ولا غاية.

(ولا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته، إلا إلى مواد من قلوبهم غير منقطعة من رجائه ومخافته): الاستهتار: العجب والحمق، يقال: استهتر الرجل فهو مستهتر، إذا كان أحمق متكبراً، وفلان مستهتر بالشراب أي مولع به، وأراد ها هنا الولوع، والمعنى أن الولوع بطاعته لا يرجع بهم إلى العجب والكبر، وإنما يرجع بهم إلى ما أمنَّهم به من تحقيق رجائهم في كرمه، والإجارة مما خوفَّهم منه من عقابه.

---

(1) في نسخة أخرى وفي النهج: هممهم.

(2) في نسخة أخرى: هممهم.

(3) في (أ): الذخرة.

(4) قوله: من سقط من (ب).

(5) في النهج: لا يقطعون أمد غاية عبادته.

(6) في (ب): لا.

(لم تنقطع أسباب الشفقة منهم فينأوا(1) في جدهم): نأى بالحمل إذا أثقله، ونأى به إذا نهض، وهو من الأضداد، قال الله تعالى: {لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ}[القصص:76] أي تثقلهم، وأشفق الرجل إذا صار ذا شفقة وحب، وأشفق إذا صار ذا خوف، والشفقة هاهنا محتملة لهما جميعاً، وأراد أن أسباب الخوف والمحبة غير منقطعة عنهم، فلا جرم لم(2) تثقلهم أعباء هذه التكاليف ونهضوابها، خفيفة عليهم مطمئنة بها أنفسهم.

(ولم تأسرهم الأطماع فيؤثروا وشيك السعي على اجتهادهم): أسره يأسره إذا شدَّه بالإسار، وهو: القدُّ(3)، ولهذا سمي الأسير أسيراً لأنه يشد بذلك، ووشك الأمر إذا قرب وقته، وأراد أن الملائكة لما كانوا منزهين عن الأطماع مبرءين عن الشهوات، لا يرون قرب سعيهم وسرعته في نيل مطلوب و قضاء شهوة(4) على بذل الوسع في طاعة الله، وطلب مرضاته، بل ذلك غرضهم وغاية مطلبهم.

(ولم يستعظموا ما مضمن أعمالهم): على كثرتها وعظم موقعها عند الله تعالى في الإخلاص والقربة.

(ولو استعظموها(5)): استكثروا ذلك في حق الله تعالى.

---

(1) في النهج: فينوا.

(2) في (ب): فلا جرم له بثقلهم.

(3) القدُّ هو: السير الذي يقدّ أي يقطع من الجلد (انظر مختار الصحاح، والقاموس المحيط).

(4) في (ب): في نيل مطلوبهم، وقضاء شهوتهم.

(5) في النهج: ولو استعظموا ذلك.

(559/2)

(لنسخ الرجاء منهم(1) شفقات وجلهم): أراد أنه لو كان من جهتهم استعظام واستكثار لما يفعلونه، لأ زال ما يرجونه على تلك الأعمال التي استكثروها من الإثابة والجزاء، حذرهم من الله وخوفهم من عقابه؛ لأن بعض العبيد إذا كان مستكثراً ما يأتي به من خدمة مولاه هوَّن ذلك موقع خوفه من سيده إدلالاً على ما فعل واعتماداً عليه.

(ولم يختلفوا في ربهم): فيثبته بعضهم وينفيه الآخرون، وهكذا القول في سائر الاختلاف في صفاته.

(باستحواذ الشيطان عليهم): بإدخال الشبه عليهم في ذلك، واستزلال أقدامهم بالإقدام على الاعتقادات المخالفة للتوحيد.

(ولم يفرقهم): أي لم يجعلهم فرقاًوأحزاباً.

(سوء التقاطع): التقاطع: الشيء الذي يكون حاصلاً بسبب الحسد والبغضاء، بل قلوبهم مجتمعة

على(2) حب الله واعتقاد توحيده.

(ولا تولاهم): استولى عليهم، من قولهم: توليت على كذا إذا استوليت عليه.

(غلُّ التحاسد): الغُل بضم الفاء: ما يكون في الرقبة، والغِل بكسرها: ما يكون في القلب، وهو المراد ها هنا، أي أنه لم يكن مستولياً عليهم إحن الصدور الحاصلة بسبب التحاسد.

(ولا شعَّبتهم(3)) جعلتهم متفرقين فرقاً.

(مصارف الريب): حوادث الدهر بصروفها ونكباتها.

(ولا اقتسمتهم(4)): ولا جعلتهم(5) على أقسام مختلفة.

(أخياف الهمم): ليس من الخوف، وإنما هو من قولهم: الناس أخياف أي مختلفون، وأرد أن اختلاف هممهم لم تجعلهم علىأقسام مختلفة بل همهم واحد وهو خوف الله تعالى والتزام طاعته.

---

(1) منهم، زيادة في النهج.

(2) في (ب): في.

(3) في نسخة أخرى وفي النهج: ولا تشعبتهم.

(4) في (أ): ولا قسمتهم.

(5) في (أ): ولا جعلهم، وفي (ب) كما أثبته.

(560/2)

(فهم أسرى الإيمان(1)): الذين أسرهم الإيمان بحبله كالأسير المشدود بالحبل.

(لم(2) يفكهم من ربقته زيغ ولا عدول): لم يطلقهم من عراه الوثيقة ميل عنه ولا تعلق بغيره.

(ولا ونى ولافتور): ولا ضعف عن القيام به، ولاتخاذل في القوى.

(وليس في أطباق السماوات موضع إهاب): طبقاتها السبع، الإهاب: الجلد.

(إلا وعليه ملك ساجد): حاني لظهره لا يرفعه.

(أو ساع): بأمر الله إلى حيث أمره.

(حافد): أي مسرع في الامتثال.

(يزدادون على طول الطاعة بربهم علماً): تحققاً ويقيناً(3).

(وتزداد عزة ربهم في قلوبهم عظماً): لمايشاهدون من عظم الملكوت وكمال الكبرياء.

ولما فرغ من بيان أحوال العالم العلوي في صفة السماء والملائكة فقرره على ما ذكر، ثم تكلم في عجيب خلق الأرض ودحوها على الماء، بقوله:

(كبس الأرض على مور أمواج): كبس الأرض: أي وضعها على الماء، من قولهم: كبس رأسه إذا

وضعه بين أثوابه مغطياً له، والمور: الحركة والاضطراب، والأمواج: جمع موج وهو: ما تراكم من(4) الماء بشدة الريح.

(مستفحلة): عظيمة، ومنه قولهم: استفحل الأمر إذا عظم.

(ولجج بحار): اللجة: معظم البحر.

(زاخرة): مرتفعة، من زخر البحر إذا ارتفع وعلا.

(تلتطم أواذي أمواجها): تضطرب من جانب إلى جانب، والأواذي: جمع آذي وهو أشد الموج وأعظمه.

(وتصطفق [بين](5) متقاذفات): تصطك، والمتقادفات: المترامية.

(أثباجها): الثبج هو: أعلى السنام، شبهها عند تراميها بالسنامات.

(وترغو زبداً): رغا اللبن رغواً إذا ظهر زبده، وزبداً منصوب على التمييز بعد الفاعل، أي: يرغو زبدها.

---

(1) في (ب) وفي النهج: إيمان.

(2) في (أ): لا.

(3) في (ب): وتيقناً.

(4) في (ب): عن.

(5) زيادة في (أ) وليست في (ب) ولا في شرح النهج.

(561/2)

(كالفحول عند هيا جها): شبه الموج عند تقاذفه بالزبد بفحول(1) الأبل عند هياجها، وهو ما يكون منها عنداشتداد غلمتها ونزوها على الإناث.

(فخضع جماح الماء المتلاطم): فذل وثوب الماء الذي يصك بعضه بعضاً من شدة اضطرابه.

(لثقل حملها): حمل الماء لها، والمصدر مضاف إلى مفعوله.

(وسكن هيج ارتمائه): شدة حركته واضطرابه.

(إذوطئته بكلكلها): إذ ها هنا زمانية، مثلها في قوله تعالى: {وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى، إِذْ رَأَى نَارًا}[طه:9-10] والكلكل: الصدر، وأراد أنها سكنت حركته حين(2) استقرت عليه لما فيها من عظم الثقل.

(وذل مستخذياً): خاضعاً مستكيناً، وانتصابه على الحال على جهة البيان لقوله ذل؛ لأنه مفيد لفائدته، كقوله تعالى: {فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا[مِنْ قَوْلِهَا](3)}[النمل:19].

(إذ تمعكت عليه بكواهلها): إذ ها هنا وقتية أيضاً، والتمعك هو: التمريغ(4) بالتراب، والكاهل من الإنسان: مجتمع ما بين الكتفين، وأراد أنها انبسطت منفتلة(5) عليه بجوانبها.

(فأصبح بعد اصطخاب أمواجه): صياحها وزفيرها من شدة الاضطراب.

(ساجياً): ساكناً.

(مقهوراً): مستضعفاً.

(وفي حَكَمَةِ الذل منقاداً أسيراً): الْحَكَمَةُ من اللجام: ما يلي حنك الفرس، وأراد أنه حاصل في الحَكَمَةِ، منقاداً لا يتصعب، وأسيراً لا يفتدى فيتخلَّص.

(وسكنت الأرض مدحوة): وحصلت بعد ذلك ساكنة مبسوطة على وجهه.

(في لجة تياره): معظم تغيره وشدة موجه، وسمي الموج تياراً؛ لأنه يحصل تارة بعد تارة.

---

(1) في (ب): وفحول الإبل عند هيجانها.

(2) في (ب): حتى.

(3) زيادة في (ب).

(4) في (ب): التمرغ.

(5) في (ب) وفي نسخة أخرى: منفتلة، كما أثبته، وفي (أ): متقيلة..

(562/2)

(وردَّت من نخوة بأوه واعتلائه): النخوة: العظمة(1)، والبأو: الكبر، والاعتلاء هو: العلو، وفي نسخة أخرى: (وغلوائه): بغين منقوطة وهو العلو أيضاً، ومفعول ردت فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون محذوفاً، ويكون تقديره: وردت من نخوة بأوه ما كان سيوجد لولاها.

وثانيهما: أن يكون مفعوله هو الجار والمجرور، ومن دالة على التبعيض أي وردت بعض ما كان من ذلك.

(وشموخ أنفه وسمو غلوائه): شموخ الأنف كناية عن التكبر، والغلو هو: العلو، وأراد وارتفاع صوته.

(وكعمته): شدت على فِيْهِ.

(على كظة جريته): الكظة هي: الامتلاء في البطن، وأراد أنها سكنته على شدة حركته وجريانه.

(فهمد بعد نزقاته): فسكن بعد طيشه وخفة حركته، والنزقات بالقاف هو: السرعة في الحركة.

(وبعد(2) زيفان وثباته): زاف يزيف أي تبختر واختال، وأراد بعد تبختره في وثبه ونزوانه.

(فلما سكن هيج الماء): وثبه وتدافعه(3).

(من تحت أكنافها): جوانبها.

(وحمل شواهق الجبال): الشاهق: ما ارتفع من الجبال.
(البذَّخ)(4): الراسخة أصولها في الأرض.
(فجَّر ينابيع العيون): الينبوع واحد الينابيع، وهي: الأنهار الجارية.
(من عرانين أنوفها): عرنين كل شيء: أوله، وعرنين الأنف: تحت مجتمع الحاجبين، وأراد أنه(5) أظهر هذه العيون من المواضع المرتفعة من الأرض.
(وفرقها في سهوب(6) بيدها): السهب: الفلاة من الأرض، والبيد: جمع بيداء كحمراء وحمر وهي: الأرض المتسعة.
(وأخاديدها): جمع أخدود وهي: الأودية والشعوب.

---

(1) في (ب): العظيمة.
(2) في النهج: ولبَّد بعد زيفان وثباته.
(3) في (أ): وتراتقه، وفي (ب) كما أثبته.
(4) في النهج: وحمل شواهق الجبال الشمَّخ البذخ على أكتافها.
(5) في (أ): وأراد به.
(6) في (أ): سهواب.

(563/2)

(وعدَّل حركاتها): أقام الأرض عن الاضطراب.
(بالراسيات من جلاميدها): وهي الجبال، والجلاميد: واحدها جلمود وهي: الصخرة العظيمة.
(وذوات الشمِّ الشناخيب من صياخيدها): الشمم هو: الارتفاع، والشم جمع أشم، والشناخيب: واحدها شنخوب وهي: رؤو س الجبال، والصياخيد هي: الشديدة الصلبة، واحدها صيخود.
(فسكنت من الْمَيَدَان): من الحركة والاضطراب.
(برسوب الجبال): رسب في الماء إذا انغمس فيه، وأراد بانغماسها.
(في قطع أديمها): جوانبها وأركانها، وأديم الأرض: ظاهرها.
(وتغلغلها): أراد الأنهار، والضمير لها أي تخلخلها في الشجر.
(متسربة في جوبات خياشيمها): منصبة في فرجها، الجوبة بالجيم: الفرجة من الأرض، والخياشيم: ما ارتفع منها، وشبه نفوذ الماء في الأرض بما يقطر في الأنف فيذهب [في] (1) الخياشيم متغلغلاً فيها مايعاً(2) بينها.
(وركوبها أعناق سهول الأرضين): ما ارتفع من الأراضي، والضمير للأنهار.

(وجراثيمها): وأصولها، وجرثوم كل شيء: أصله.

(وفسح بين الجو وبينها): أراد أن الجو جعله واسطة بين السماء والأرض، وهو الفتق الذي أشار إليه تعالى بقوله: {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا}[الأنبياء:30] بتوسط الجو بينهما.

(وأعدَّ الهواء): هيَّأه وسواه.

(متنسماً لساكنها): من الحيوانات، فإنه لولا هذا الجو لم يكن للأرواح بقاء، ولهذا فإن الحيوان متى غم نفسه ومنع عن التنفس بطلت حياته وذهبت.

(فأخرج(3) إليها أهلها): من كان مخلوقاً فيها من الملائكة والجن وبني آدم.

---

(1) سقط من (أ).

(2) أي جارياً بينها.

(3) في النهج: وأخرج.

(564/2)

(على تمام مرافقها(1)): إكمال منافعها التي هم يحتاجونها ولا بد لهم منها، ليكمل الغرض(2)بخلقهم بالتمكين مما كلفوه، وعلى في موضع نصب على الحال أي وأخرجهم مستوية له المنافع مكملة.

(ثم لم يدع جرز الأرض): وهي التي لا نبات فيها.

(التي تقصر مياه العيون عن روابيها): ما كان مرتفعاً منها، لا تناله العيون والأنهار لارتفاعه عما يصلحه من سقيها.

(ولا تجد جداول الأرض(3) ذريعة إلى بلوغها): الجداول هي: الأنهار الصغار، والعيون: ما كبر منها، أي لاتجد سبيلاً لارتفاعها وعلوها إلى أن تكون متصلة بها.

(حتى أنشأ لها ناشئة سحاب): خلق لها وابتدأ من أجلها، والناشئة: المرتفع من السحاب، وقوله: أنشأ مع قوله ناشئة من أنواع البديع الملقب بالاشتقاق، كقوله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ}[الروم:43] والبدعة شرك الشرك.

(تحيي مُوَاتَها): تنبت شجرها المنبث(4) باليبس.

(وتستخرج نباتها): ما كان حاصلاً في بطن الأرض فإنه لا يخرج إلا بالمطر.

(ألّف غمامها): جمعه من جهات متفرقة، والضمير للناشئة.

(بعد افتراق لمعه): اللمع: القطع من السحاب المتفرقة.

(وتباين قزعه): القزعة: قطعة من السحاب رقيقة، أي جمع من السحاب ما كان منه غليظاً ورقيقاً.

(حتى إذا تمخضت): تحركت واضطربت، ومنه تمخض الجنين في الرحم وهو اضطرابه.

(لجة المزن فيه(5)): ماء السحاب العظيم المتراكم.

(والتمع برقه): ظهر سناه ونوره.

---

(1) في (ب): لمرافقها.

(2) في (أ): العوض وهو تحريف، وكما أثبته هو في (ب)، وفي (ب): لتكميل الغرض.

(3) في النهج: الأنهار.

(4) في (ب) وفي نسخة أخرى: الميت.

(5) فيه، زيادة في النهج.

(565/2)

(في كففه): قطعه المستديرة، والكفة تطلق على ما كان مستديراً نحو كفة الميزان وغيره.

(ولم ينم وميضه): نما السعر (1) إذا ارتفع وعلا، والوميض: لمعان البرق الخفي.

(في كَنَهْورِ ربابه): الكنهور: السحاب المتراكم، والرباب: السحاب الأبيض، وأراد أن البرق لم يكن لمعانه يميناً وشمالاً؛ لأنه إذا لمع واعترض في جوانب السحاب فهو الحفو وهو أمارة ضعف المطر، وإذا استطال في وسط السحاب وشقه فهو العقيقة، وهو أمارة على جود المطر وغزراة مائه.

(ومتراكم سحابه): الغليظ منه الأسود.

(أرسله سحاً): الضمير للماء، سحاً: متوالياً دفعة بعد دفعة.

(متداركاً(2)): متصلاً لا يقلع.

(قد أسَّف هيدبه): أسف الطائر إذا دنا من الأرض، والهيدب: شآبيب المطر التي كأنها خيوطه متصلة من السماء إلى الأرض.

(تمريه الجنوب): أَمرْت الناقة إذا در لبنها، والجنوب هي: الريح التي تهب من مطلع سهيل.

(دِرَرَ أهاضيبه): الدرر: جمع درة، وهي: عبارة عن كثرة المطر، والأهاضيب جمع أهضاب جمع هضب، وهي: عبارة عن تدارك القطر [بعد القطر] (3)، وانتصابه على البدل من الضمير في تمريه السحاب، أو مفعول لفعل محذوف تقديره: ويرسل درر أهاضيبه.

(ودفع شآبيبه): الدُّفعة بالضم مثل الدُّفقة، والشآبيب: جمع شئبوب، وهو ما يكون(4) مثل الخيط الممدود من المطر.

---

(1) في (أ): نما الشعر.

(2) في (أ): دراكاً.

(3) سقط من (ب).

(4) في (ب): وهي ما تكون مثل الخيوط

(566/2)

(فلما ألقت السحاب برْكَ بوانيها): البرك: الصدر، والبواني هي: عظام الصدر، جعل للسحابة صدراً وعظاماً، كما جعل امرؤ القيس(1) في الليل صلباً وكلكلاً في قوله:

فقلتُ له لما تَمَطّى(2) بِصُلبِهِ .... وأردفَ أعجازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ(3)

استعارة عجيبة.

(وبَعَاع ما استقلت به(4)): البعاع: الثقل، قال امرؤ القيس:

فألقى بِصحراء الغبيط بَعَاعَه(5)

أي ثقل ما أقلته.

(من العبء المحمول عليها): العبء هو: الحمل، وأراد ما أقلت من الماء المحمول عليها.

(أخرج به من هوامد الأرض): صحاري الأراضي التي لا نبات فيها.

(النبات): وهو عبارة عن جميع ما تشققت(6) عنه الأرض.

(ومن زعرالجبال): أماكنها التي لا نبات فيها.

(الأعشاب): وهو عبارة عن جميع الحشائش مما تأكله الأنعام.

(فهي تبتهج(7)): البهج هو: الحسن والنضارة، قال الشاعر:

---

(1) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، المتوفى سنة 80ق. هـ، من بني آكل المرار، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يماني الأصل، مولده بنجد أو بمخلاف السكاسك باليمن، اشتهر بلقبه، واختلف في اسمه فقيل: جندح، وقيل: مليكة، وقيل: عدي، وكان أبوه ملك أسد وغطفان، وأمه أخت المهلل الشاعر. (انظر الأعلام 2/11-12).

(2) في النسختين: (تنطى)، وفي شرح المعلقات السبع للزوزني، ولسان العرب، وشرح ابن أبي الحديد كما أثبته.

(3) شرح المعلقات السبع للزوزني ص20، لسان العرب 290/3، وقوله: بصلبه، في اللسان: بجوزه، وانظر البيت أيضاً في شرح ابن أبي الحديد 451/6.

(4) به، زيادة في النهج.

(5) عجزه:

نزول اليماني ذي العباب المحمل_ ... _(شرح المعلقات السبع للزوزني ص32).

(6) في (ب): ماشققت.

(7) في النهج: تبهج.

(567/2)

كان الشباب رداءً قد بَهِجْتُ به .... فقد تطاير مني للبلى خِرَقُ(1)

(بزينة رياضها): بما يحصل في متونها(2) من الحسن بسبب الخضرة.

(ويزدهي(3)): يتكبر ويفخر.

(بما ألبسته): الأرض وأعشب إياه.

(من ريط أزاهيرها(4)): الرِّيَطُ جمع رَيْطَة وهي: الملاءة، قال:

درس الجديد(5) جديد مَعْهَدِها(6) .... فكأنَّما هي رَيْطَةُ(7) جَرْدُ

والأزاهير جمع لأزهار جمع زهر.

(وحلية ما سمطت به): خلطت.

(من نواظر(8) أنوارها): الأنوار جمع نَوْرٍ وهو: زهر الشجر.

(وجعل ذلك): الإشارة إلى ما تقدم ذكره مما تخرجه الأرض.

(بلاغاً للأنام): رزقاً يبلغهم إلى ما أرادهم له من العبادة وتستقيم أحوالهم معه.

(ورزقاً للأنعام): وقوتاً للمواشي وسائر الحيوانات، وإنما خص الأنام بالبلاغ، وجعل الرزق في حق الأنعام، وكل واحد منهما رزق إشارة إلى أن(9) غرض الله تعالى ومراده بإعطائهم أعني بني آدم الرزق، إنما هو من أجل أن يبلغوا به إلىعبادته ويكون وصلة لهم إليها.

(وخرق الفجاج في آفاقها): سلك الطرق في جوانبها لطلب المنافع وسائر الا رتفاقات.

---

(1) لسان العرب 274/1 بدون نسبة إلى قائله.

(2) أي ظهورها.

(3) في (ب): وتزدهي: تتكبر وتفخر.

(4) في (أ): أزهارها، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى ومن شرح النهج.

(5) في (أ): الحرير، وهو تحريف.

(6) المَعْهَدُ: المنزل.

(7) في (أ): ريط، والْجَرْدُ: الثوبُ الْخَلِقُ أي البالي، والبيت هو لدوقلة المنبجي من قصيدته المعروفة باليتيمة والتي مطلعها:

هل بالطلول لسائلٍ ردُّ أم هل لها بتكلم عهدُ

(8) كذا في النسخ ولعل الصواب: نواضر بالضاد المعجمة، وفي النهج: ناضر.
(9) قوله: أن سقط من (ب).

(وأقام المنار للسالكين(1) على جواد طرقها): أعلام الطرق، وهو: ما يهتدى به إليها من الجبال والروابي والآكام، وغير ذلك مما يكون هداية إلى الطرقات، ودليلاً عليها، كما جعل النجوم في البحر أمارة لها.

(فلما مهد أرضه): بما جعل فيها من المنافع والأرزاق والخيرات لمن فيها.

(وأنفذ أمره): أمضاه وقدره بما(2) يريده من خلق هذه العوالم كلها، ولما سبق في علمه من ذلك.

(اختار آدم): اصطفاه.

(خيرة من خلقه): الخيرة بسكون الياء الاسم من خار الله له خيرة، وبتحريكها الاسم من اختار الله، وكلاهما حاصل في حقه عليه السلام، والرواية بهما جميعاً.

(وجعله أول جِبلَّته): خليقته من بني آدم؛ لأن قبله قد كان غيره من الملائكة والجن.

(وأسكنه جنته): كما قال تعالى: {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ}[الأعراف:19].

(وأرغد فيها أكله): هنَّأه، كما قال تعالى: {وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا}[البقرة:35].

(وأوعز إليه): أي قدم.

(فيما نهاه عنه): كما قال: {وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ}[البقرة:35].

(وأعلمه أن في الإقدام عليه): الضمير في عليه لما نهاه عنه من أكل الشجرة.

(التعرض لمعصيته): بالوقوع فيها.

(والمخاطرة بمنزلته): المخاطرة: الإشراف على الهلاك، وهو ما يكون من ذهابها وزوالها.

(فأقدم على ما نهاه عنه): بأكل الشجرة التي نهي عن أكلها.

---

(1) للسالكين، زيادة في النهج.
(2) في (ب): لما.

(موافاة لعلمه السابق(1)): لأن الله تعالى قد علم في سابق أزله أنه يأمره بدخول الجنة، وينهاه عن أكل الشجرة، وأنه يأكلها لا محالة، وما علم الله وجوده فلا بد من وقوعه، وليس العلم بأنه يأكلها موجباً لأكلها، كما تزعمه المجبرة، وإنما أكلها بمعصيته وسوء اختياره لنفسه، وانقياده لإبليس واغتراره به، ولو كان العلم موجباً لمعلومه لبطل الأمر والنهي والمدح والذم، فتباً لهذه المذاهب ما أبعدها،وسحقاً لهذه الآراء، فما أسخفها!.

(فأهبطه بعد التوبة): أراد فأخرجه من الجنة مكافأة له على مخالفة ما نهي عنه، ثم تاب عليه رحمة من الله تعالى ولطفاً به، ثم أهبطه بعد ذلك إلى(2) الدنيا.

(ليعمر أرضه بنسله): بأولاده الذين يخرجون من صلبه.

(وليقيم الحجة به على عباده): لأنه أهبطه بالنبوة والشريعة لمصالح الخلق وإزاحة عللهم كغيره من الأنبياء، وهو أولهم.

(ولم يخلهم بعد أن قبضه): يتركهم بعد موته.

(مما يؤكد عليهم حجة ربوبيته): توحيده وكونه رباً تجب عبادته.

(ويصل بينهم وبين معرفته): أي ولتكون بعثة الأنبياء سبباً إلى الحث بالنظر في معرفته.

(بل يعاهدهم(3)): إضراب عن الترك، وإثبات التعهد، والتعهد هو: التحفظ على الشيء، وهو أفصح من التعاهد؛ لأنه لا يقع إلا بين اثنين.

(بالحجج على ألسنة(4) الخيرة من أنبيائه): بالأدلة الواضحة والتنبيه(5) عليها من جهة الأنبياء الذين اختارهم الله تعالى لإبلاغ ذلك وإيصاله.

---

(1) في النهج: موافاة لسابق علمه.

(2) إلى، سقط من (ب).

(3) في شرح النهج: بل تعاهدهم.

(4) في شرح النهج: ألسن.

(5) في (أ): والبينة، وفي (ب) كما أثبته.

(570/2)

(ومتحملي ودائع رسالاته): والمؤتمنين على(1) العلوم الغيبية التي أودعوا إياها.

(قرناً فقرناً): أي ما من قرن إلا ويُبعَثُ فيهم نبي من الأنبياء من أجل صلاحهم(2).

(حتى تمت بنبينا محمد صلى الله عليه وآله حجته): فختم به الرسالة، وجعله حجة على من بعث إليه كغيره من الأنبياء.

(وبلغ للقطع(3) عذره ونذره): وبلغ غاية الأمر وقصاراه ما كان من جهة الله تعالى على لسانه من الإعذار بالحجج والإنذار للعقوبات الأخروية.

(وقدَّر الأرزاق): على ما يعلم من المصلحة.

(فكثَّرها): لمن يعلم ذلك صلاحاً في حقه.

(وقلّلها): لمن يعلم ذلك صلاحاً في حقه.

(على الضيق(4)): في بعضها.

(والسعة): في بعض آخر.

(فعدل فيها): فجعل ذلك عدلاً من جهته وحكمة بالغة.

(ليبتلي من أراد): ليختبر على حد إرادته في ذلك.

(بميسورها ومعسورها): الميسور والمعسور، إما صفتان على رأي سيبويه، وإما مصدران على رأي غيره، وكلاهما محتمل ها هنا.

(وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيها وفقيرها): لأن صاحب اليسر يحتاج إلى الشكر على تمام نعمة الله تعالى، من إرخاء الرزق وإدراره عليه، وصاحب العسر يفتقر إلى الصبر على ما ابتلاه الله، من الحاجة وضر الفقر والمسكنة.

(ثم قرن بسعتها): ضم إلى السعة وألزمها.

(عقابيل فاقتها): آثار الفاقة، والعقبول: واحد العقابيل وهي آثار الشيء وبقاياه.

(وبسلامتها طوارق آفاتها): أراد أنه ألزم السعة بالفاقة والسلامة بالآفات.

---

(1) على، سقط من (ب).

(2) في (ب): إصلاحهم.

(3) في شرح النهج: المقطع.

(4) في شرح النهج: وقسمها على الضيق والسعة.

(571/2)

(وبفرج(1) أفراحها غصص أتراحها): الفرح: هو السرور، والترح: الغم، فهذه الأمور كلها متعاقبة بعضها في إثر بعض كما مر(2) ذكره.

(وخلق الآجال فأطالها وقصرها): فإطالتها ببلوغ سن الهرم، وتقصيرها بلبث ساعة في الدنيا، ثم ما بين الأمرين أعمار مختلفة يعلمها علامها، ويقدرها محكمها.

(وقدّمها وأخرّها): فهذا يموت قبل هذا، وهذا يعيش بعد هذا.

سؤال؛ هل يمكن تفرقة بين الإطالة والتقصير، [وبين التقديم فيها والتأخير، أو يكون كلاماً مترادفاً] (3)؟

وجوابه؛ [نعم، فإن الإطالة والتقصير] (4) بالإضافة إلى المدة نفسها، فمنهم من بلغ حد الهرم وبعضهم حد الشيخوخة، وحد الكهولة، وحد الطفولية، وأما التقديم والتأخير فهو بالإضافة إلى المعمرين أنفسهم، بتقديم بعضهم على بعض في الحياة والموت.

(ووصل بالموت أسبابها): وجعل منتهاها وغايتها، سواء طالت أو قصرت الموت.

(وجعله خالجاً لأشطانها): جاذباً لحبالها بالقطع، والأشطان: الحبال، قال عنترة(5):

كيفَ التَّقدّمُ والرماحُ كأنَّها .... أَشْطَانِ بِئْرٍ في لَبَانِ الأدْهَمِ(6)

---

(1) في (ب): وتفرج.

(2) قوله: مر سقط من (ب).

(3) سقط من (ب).

(4) سقط من (ب).

(5) هو عنترة بن شداد بن عمرو العبسي، المتوفى نحو 22ق. هـ: أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى من أهل نجد، وهو أحد شعراء المعلقات السبع، وينسب إليه ديوان شعر مطبوع. (انظر الأعلام 61/5).

(6) البيت في شرح المعلقات السبع للزوزني ص 122، ولسان العرب 317/2بلفظ:

يدعون عنتر والرماح كأنها .... أشطان بئر في لبان الأدهم

والشطن: الحبل الذي يستقى به، والجمع أشطان، واللبان: الصدر، والأدهم: الفرس.

(572/2)

(وقاطعاً لمرائر أقرانها): المرير: الحبل الدقيق، والأقران: جمع قرن بفتح الراء وهو: الحبل الشديد الفتل.

وحين فرغ من الكلام في لطائف هذه المخلوقات، في القدرة وبديع خلق هذه المكونات ذكر دقيق علمه وكيفية إحاطته بكل المعلومات فقال:

(عالم السر من ضمائر(1) المضمرين): فيه وجهان:

أحدهما: أن تكون (من) لبيان الجنس، ويكون المعنى أنه يعلم السرَّ الذي هو ضمائر المضمرين.

وثانيهما: أن تكون (من) للتبعيض، ويكون معناه عالم السرِّ وهو بعض ما أضمره المضمرون؛ لأن ما في ضميرك بعضه تجهربه للغير، وبعضه تسرُّه في نفسك، وهذا كقوله تعالى: {يَعْلَمُ

السِّرَّ}[طه:7] وهو ما تسرُّ به على غيرك {وَأَخْفَى}، وهو ما تضمره في نفسك.

(ونجوى(2) المتخافتين): والمخافتة التي فوقها جهر ودونها لايسمع، قال الشاعر:

أخاطب جهراً إذ لهنَّ تخافت .... وشتان بين الجهر والمنطق الخفت(3)

(وخواطر رجم الظنون): وبرجيم الخواطر بظنونها الكاذبة.

(وعُقَدِ عزائم(4) اليقين): وما قطع به من العقود اليقينية العلمية، وإنما عبَّر عمَّا يتعلق بالظن بالرجم والخواطر، وعبَّر عمَّا يتعلق بالعلم بالعقد والعزيمة، لما كان الظن على شرف الزوال فيخطر في حالة دون حالة، ولما كان ما يعلم ثابت لا يتغير عبَّر عنه بالعقد والعزيمة؛ إلحاقاً لكل شيء بما(5) يليق به، وهذا من عجائب كلامه ولطيف أسراره.

____

(1) في نسخة: سرائر [هامش في (ب)].

(2) في (أ): ونجو، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى ومن النهج.

(3) لسان العرب 864/1، بدون نسبة إلى قائله.

(4) في النهج: عزيمات.

(5) في (أ): ما وفي (ب) ما أثبته.

(573/2)

(ومسارق إيماض الجفون): يقال: أومضت المرأة إذا سارقت نظرها ، وفلان يسارق(1) النظر إذا كان مرتقباً للغفلة فينظر في حالها.

(وما ضمنته أكنان القلوب): حُجَبُهَا وأستارها المتضمنة بها.

(وغيابات الغيوب): غيابة البئر: قعرها، وأراد بعيدات الغيوب وأقاصيها.

(وما أصغت لاستماعه(2) مصائخ الأسماع): الإصغاء في السماع بمنزلة التحديق في رؤية العين، ومصائخ الأسماع: إصاخاتها(3)، قال أبو داود:

ويصيخ أحياناً كما استم .... ع الْمُضِلُّ لصوتٍ ناشد(4)

(ومصايف الذر): جمع مصيف.

(ومشاتي الهوام): جمع مشتى، وهما عبارتان عن زمن(5) الصيف والشتاء، وإنما خص الذر بالمصايف لأنها لا تحتفل بالبرد، وإنما تهرب من الحر في أماكن مخصوصة حذراً على نفسها وعلى فساد أرزاقها من الحر، وأما سائر الهوام فتخاف من البرد فتفزع إلى المغارات(6) والأمكنة الضيقة.

(ورجع الحنين من المولهات): وما ترجعه المولهة من البهائم وهي الثكلى شديدة الوجد بفقد(7) ولدها

من أصواتها من الحزن.

(وهمس الأقدام): أصواتها الخفية عند السير.

(ومنفسح(8) الثمرة من ولائج غُلُف الأكمام): الوليجة: خلاصة الثمرة، والغلاف والكمام: وعاؤها(9) التي هي فيه، ومنفسح(10) الثمرة: انفصالها من كمامها.

(ومتقمع الوحش(11)): موضعه من القماع وهي: الأماكن المرتفعة.

---

(1) في (ب): سارق.

(2) في نسخة وفي شرح النهج: لاستراقه.

(3) وهي ثقبة الأذن.

(4) لسان العرب 498/2.

(5) في (ب): زمان.

(6) في (ب): الغارات.

(7) في (ب): لفقدان.

(8) في (ب): ومتفسخ.

(9) في (أ): وعاها.

(10) في (ب): ومتفسخ.

(11) في (ب) وشرح النهج: ومنقمع الوحوش.

(574/2)

(من غيران الجبال وأوديتها): وموضعه من المواضع المنخفضة كالمغارات والأجحرة.

(ومختبإ البعوض): موضع اختبائه.

(بين(1) سُوْقِ الأشجار): جمع ساق.

(وألحيتها): بين أصل الشجرة وقشرها.

(ومغرز الأوراق): موضع اتصالها.

(بالأفنان): وهي الشماريخ وأعواد الشجر.

(ومحطِّ الأمشاج): وموضع قرار النطفة من الرجال والنساء.

(من مسارب الأصلاب): جمع مسرَبة بفتح الراء وضمها وهو: ما يوضع فيه، وأراد به النساء.

(وناشئة الغيوم): وهي السحائب.

(ومتلاحمها): ما اختلط بعضها ببعض.

(ودرور قطر السحاب ومتراكمها(2)): والمتفرِّق من قطر المطر والمجتمع منه.
(وما تَسْفِي الأعاصير): جمع إعصار وهي: الريح التي تثير الغبار وترتفع إلى السماء كالعمود.
(بِذُيُولها): شبَّه انسحابها على الأرض بالذيل المبسوط.
(وتعفو الأمطار بسيولها(3)): تمحوه بجري السيول عليه.
(وعوم نبات الأرض في كثبان الرمال): العوم: السباحة، وأراد ها هنا جري نبات الأرض وغوصه في الرمال والكثب منها، وكثبان جمع كثيب.
(ومستقر ذوات الأجنحة): من الطيور.
(بذرا شَنَاخِيْبِ الجبال): ذروة كل شيء أعلاه، وشناخيب الجبال: أعلاها.
(وتغريد ذوات المنطق): وإفصاح ما نطق من الطير بالأصوات المختلفة.
(في دياجيرالأوكار): في ظلام أماكنها ومستقرها.
(وما أودعته(4) الأصداف): وهي أوعية اللؤلؤ وأغلاف الجواهر.
(وحَضَنَتْ عليه أمواج البحار): جعلته في أحضانها، استعارة لذلك، من قولهم: حضنه إذا ضمه إلى صدره، وحضن الطائر بيضه إذا ضمه إليه.
(وما غشيته سُدْفَةُ ليل): ظلام الليل.

---

(1) في (ب): عن.
(2) في (ب) وشرح النهج: في متراكمها.
(3) في (ب): سيولها.
(4) في (ب): أوعته، وفي شرح النهج: أوعبته.

(أو ذرَّ عليه شارق نهار): سمى النهار شارقاً لما فيه من الإشراق والنور لطلوع الشمس.
(وما اعتقبت(1) عليه أطباق الدياجير):فيه وجهان:
أحدهما: أنه يريد بأطباق الدياجير ظلمات الأرضين(2) على ما اشتملت عليه من المخلوقات.
وثانيهما: أن يريد بذلك ما اعتقبت عليه أي اختلفت عليه الليالي المظلمة وإطباقها عليه وهذا أحسن لقوله: واعتقبت.
(وسُبُحَاتُ النور): السابحة: دون الأشعة من الأنوار.
سؤال؛ ما ذكرالله تعالى النور والظلمة في كتابه إلاو جمع الظلمة، وأفرد النور كقوله تعالى: {وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ}[الأنعام:1] وغير ذلك، وهكذا في كلام أميرالمؤمنين فإنه جمع الدياجير وأفرد النور،

فما وجه ذلك؟
وجوابه؛ هو: أن الظلمة عبارة عن عدم النور كما اخترناه في الكتب العقلية، فلما كان النور جنس واحد وحقيقته واحدة فلا جرم أفرد، وأما الظلمة فهي بحسب الإضافات أمور كثيرة؛ لأنه ما من شيء من الأجرام الجسمية إلا وله ظل، وظله عدم النور عنه، وهو نفس الظلمة فلأجل هذا كانت مجموعة.
(وأثر كل خَطْوَة): إما مقدارها في حجمها، (3)وإما حكمها في ثوابها وعقابها.
(وحسِّ كل حركة): وحال كل متحرك بحركة.
(ورجع كل كلمة): جوابها، ومنه قولهم: أتاني رجع كتابي أي جوابه.
(وتحريك كل شفة): من خفيها وجهرها وفصيحها وأعجمها.
(ومستقر كل نسمة(4)): أين تكون في جميع الجهات والأمكنة.

---

(1) في (أ): وما أطبق، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى، ومن شرح النهج.
(2) في (ب): الأرض.
(3) في (أ) جمحها، وهو خطأ، وهي في (ب) كما أثبته.
(4) في (أ): سنمة، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج.

(ومثقال كل ذرة): ما يثقلها في الحمل فلا يعزب عن علمه شيء، كما قال تعالى: {لاَ(1) يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ}[سبأ:3].
(وهماهم كل نفس هامة): الهمهمة: ترديد الصوت في الصدر، وجمعها هماهم، والهامة هي: التي تهم بالفعل(2) وتريده، أو التي تدب على وجه الأرض وتتحرك فيها.
(وما عليها): الضمير للأرض المتقدم ذكرها.
(من ثمرة شجرة(3)): من أشجارها المثمرة.
(أو ساقط(4) ورقة): كما قال تعالى: {وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا}[الأنعام:59] وساقط ورقة من باب إضافة الصفة إلى فاعلها نحو: حسن وجهه.
(أو قرار نطفة): مستقرها في رحم كل أنثى.
(أو ناشئة خلق): من كل ما ابتدأه واخترعه من جميع المكونات.
(أو نقاعة دم(5)): أو دم مجتمع [قد أريق] (6).
(أو سُلالة): وسلالة الشيء: ما استل(7) منه وأخذ، فاستلال(8) آدم من الطين، واستلال(9) أولاده

من النطفة.
(لم يلحقه في ذلك): الإشارة إلى جميع ما تقد م من المخلوقات المحكمة.
(كلفة): مشقة في صنعه واختراعه.

---

(1) في (أ): ولا يعزب، وهو خطأ فالصواب بدون واو.
(2) في (ب): في الفعل.
(3) في شرح النهج: من ثمر شجرة.
(4) في (أ) ساقطة، وفي (ب) وشرح النهج كما أثبته.
(5) في النهج: أو نقاعة دم ومضغة، أو ناشئة خلق وسلالة.
(6) زيادة في نسخة أخرى، والعبارة في (ب): أو دم مجتمع أريق.
(7) في (ب): ما انسل.
(8) في (ب): فانسلال.
(9) في (ب): وانسلال.

(577/2)

(ولا اعترضه(1) في حفظ ما ابتدع من خلقه عارضة): الاعتراض: ما يمنع من(2) الشيء ويحول دون فعله، والعارضة إما صفة أي حالة عارضة دون فعله للأشياء، وإما مصدر أي ولا عرض له [عروض](3) يصده عن ذلك.
(ولا اعتورته في تنفيذ الأمور): تداولته، من الاعتوار وهي: التداول في إمضاء الأمور.
(وتدابير(4) المخلوقين): في جميع أحوالهم وأمورهم، وإنما جمع التدبير لاشتماله على الأنواع المختلفة، والضروب المتفاوتة على حسب مصالحهم.
(ملالة): وهو ما يلحق بالنفس من الإعراض والسآمة.
(ولا فتور(5)): وهو ما يلحق الأعضاء(6) من الضعف والهوان.
(بل): إنما هو إضراب عن ذلك وإثبات لنقيضه.
(نفذهم): من قولهم: نفذ السهم بالصيد إذامرقه، وأراد أنه استولى عليهم.
(علمه، وأحصاهم عدُّه): كما قال تعالى: {وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا}[الجن:28].
(ووسعهم عدله): أي لم يضق فيجاوزهم(7) إلى الجور.
(وغمرهم فضله): من قولهم: غمره الماء إذا كان فائضاً على رأسه.
(مع تقصيرهم عن كُنْهِ ما هو أهله): قصورهم عن غاية ما هو أهله من الشكروالعبادة والقيام بحقه.

ولما فرغ من بيان كمال القدرة وباهر العلم في حقه تعالى أردفه بالجؤار إلى الله تعالى والتوسل إلى كرمه في الرغائب من عنده، بقوله:

(اللَّهُمَّ، أنت أهل الوصف الجميل): الحقيق بالأوصاف الحسنة والأسماء العالية.

(والتعداد الكثير): من أنواع التسبيح والتقديس، أو من النعم على خلقك والإفضال مما لا يمكن عدُّه لكثرته.

(إن تؤمَّل): في الإعطاء والكرم الواسع.

---

(1) في النهج: ولا اعترضته.

(2) في (ب): عن.

(3) زيادة في (ب).

(4) في (أ): وتدبير.

(5) في شرح النهج: ولا فترة.

(6) في (ب): بالأعضاء.

(7) في نسخة أخرى: فيجاوز بهم.

(578/2)

(فخير مأمول): فأعظم من يُعْطِي، وأكرم من يُفْضِلُ.

(وإن تُرجَ): لغفران الخطايا وقبول التوبة عن كل من أذنب.

(فخير مرجّو): لذلك؛ إذ لا يطلب من غيرك، ولا يرجى ذلك من سواك.

(اللَّهُمَّ، وقد بسطت لي): مكنتني من المدائح العظيمة والثناءات(1) الحسنة.

(فيما لا أمدح به غيرك): في الذي لا ينبغي لي أن أمدح به غيرك لقصوره عن ذلك وعدم استحقاقه له.

(ولا أثني به): ولا أوجه الثناء به.

(على أحد سواك): لأنه في غيرك كذب، وفيمن سواك نقص عليَّ.

(ولا أوجهه إلى معادن الخيبة): مواضع الرجاءات(2) الخائبة من الآدميين، وجعلهم معادن؛ لأنهم مظنة ذلك وموضعه(3) الذي يطلب فيه.

(ومواضع الريبة): الشك والارتياب عن أن يكون حاصلاً.

(وعدلت بلساني): صرفتها.

(عن(4) مدائح المخلوقين): لكونهم غير أهل لها، ولا مستحقين لشيء منها.

(والثناء على المربوبين): المملوكين لأن الرب هو المالك، وقوله: المخلوقين والمربوبين تعريض بحالهم؛ لأن من هذه حاله في كونه مخلوقاً مربوباً فحاله متقاصر في كل ما يؤمّل منه.

(اللَّهُمَّ، ولكل مثنٍ على من أثنى عليه): لكل مادح على ممدوحه الذي اختاره لمدحه(5) وخصه به من دون غيره.

(مثوبة من جزاء): إنما سمي الثواب ثواباً لكونه جزاء على الطاعات، فلهذا قال: مثوبة من جزاء أي مثوبة من أجل الجزاء.

(وعارفة من عطاء): العارفة: هي المعروف، وأراد ومعروف من أجل العطاء.

(وقد رجوتك دليلاً): دالاً لي ومعيناً بالألطاف الخفية على الأعمال الصالحة التي تكون عوناً.

---

(1) في (أ): والبنآآت، وهو تصحيف.

(2) في (ب): الرحاب.

(3) في (ب): ومواضعه.

(4) في (أ): عند، وفي (ب) كما أثبته، والعبارة في شرح النهج: عن مدائح الآدميين.

(5) في (ب): بمدحه.

(579/2)

(على ذخائر الرحمة): تحصيلها واكتسابها من عندك.

(وكنوز المغفرة): التي ذخرتها وكنزتها للخواص من أوليائك وأهل الكرامة عندك.

(اللَّهُمَّ، وهذا مقام من أفردك بالتوحيد): مدحك بالمدائح الدالة على أنك واحد.

(الذي هو لك): بحيث تكون مختصاً به ولا يستحقه أحد سواك.

(ولم ير مستحقاً لهذه المحامد والممادح): المحامد: جمع محمدة، والمدائح: جمع مديحة، وكلاهما مصدر بمعنى الحمد والمدح.

(غيرك): سواك.

(وبي فاقة إليك): حاجة وفقر.

(لا يَجْبُرُ مسكنتها): ضعفها وهوانها.

(إلا فضلك): كرمك وخيرك.

(ولا يَنْعَشُ من خَلَّتِها): نعشه إذا نهضه من عثاره، والخَلَّةُ بالفتح هي: الحاجة.

(إلا مَنُّكَ وجُودُكَ): تفضلك الذي لم يكن عن استحقاق وعطاؤك.

(فهب لي(1) في هذا المقام): أراد الذي قمت فيه بمدائحك.

(رضاك(2)): رضوانك وهو أعظم ما يُعْطَى لقوله تعالى: {وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ}[التوبة:72].
(وأغننا): بأن لا تجعل لنا حاجة إلى غيرك.
(عن مدِّ الأيدي إلى سواك): جعل مدَّ الأيدي كناية عن السؤال، وأراد عن سؤال غيرك.
({إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ})[آل عمران:26]: من ذلك كله، وقد ختم هذه الخطبة بهذه الآية فوقعت في أحسن موقع، وكانت أحسن ختام.
ثم إن كلامه عليه السلام مع ما له من التمييز على غيره من الكلامات فهي متميزة عنه بأن صارت قمر هالته، وفَلْكَ غزالته(3).

(89) و من كلام له عليه السلام لما أريد على(4) البيعة بعد قتل عثمان

---

(1) في شرح النهج: لنا.
(2) في (أ): ضياك، وهو تحريف، والصواب: كما أثبته من النهج ومن (ب).
(3) فَلْكَة المغزل بالفتح سميت بذلك لاستدارتها. (مختار الصحاح ص511).
(4) قوله: على سقط من (أ).

(580/2)

(دعوني والتمسوا غيري): اتركوا مراودتكم لي على الإمامة، واطلبوا رجلاً آخر ترضونه.
سؤال؛ أليس هو منصوصاً عليه في الإمامة على مذهبكم، فما باله أمرهم بطلب غيره، ولا وجه للعقد مع النصِّ بالإجماع؟
وجوابه؛ هو أن الأمر كما ذكرته في كل ذلك، ولكنه أراد قد أخطأتم وجه النظر في النص بإثبات إمامة من قبلي، فاجروا على وهمكم هذا في بيان(1) إمامة من يكون مخالفاً لي.
(فإنَّا مستقبلون أمراً): إما أن يكون من الموت، وأهوال القيامة، وإما أن يكون من الفتن المضلة الواقعة.
(له وجوه وألوان): لفزعه وكثرة أهواله.
(لا تقوم له القلوب): لعظمه.
(ولا تثبت عليه العقول): أي أحكام العقول من المدح والذم، والثواب والعقاب، على الطاعة والمعصية، لما يحصل فيه من الإلجاء وبطلان الاختيار ، بمشاهدة الأهوال العظيمة، وهذا يؤيد الاحتمال الأول.
(فإن الآفاق قد أغامت): فلم تظهر شمسها لما حجبها من(2) الغيم.
(والمحجة قد تنكرت): والطريق قد التبست معالمها فلا يهتدى لسلوكها، فاستعار الغيم في الأفق،

والتنكر في الطرق، منبهاً به على وقوع اللبس في الدين، وتغطية وجه الصواب.

(واعلموا): أمر لهم بالتحقق لما يقوله لهم.

(أني إن أجبتكم): إلى ما دعوتموني إليه من أمر الإمامة والبيعة.

(ركبت بكم): من قولهم: ركب فلان الأمور العسرة.

(ما أعلم): إما الذي يوجبه اجتهادي وتقتضيه بصيرتي، وإما طلب الآخرة والإعراض عن الدنيا، وكل ذلك مخالف لمقصودكم ومباين لأهواءكم.

(ولم أصغ): أميل، من قولهم: صغا إلى كذا إذا كان مائلاً إليه، كما قال تعالى: {وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ}[الأنعام:113].

---

(1) في (ب): إثبات.

(2) قوله: من، سقط من (ب).

(581/2)

(إلى قول القائل): ما لك فعلت كذا؟ ولِمَ لَمْ تفعل كذا؟

(وعتب العاتب): مواجدة(1) الواجد على ما في قلبه، فإني غير ملتفت إلى ذلك ولا مكترث به(2).

(وإن تركتموني): عن البيعة والقيام بالأمر.

(فأنا كأحدكم): لا سلطان لي عليكم، وما لي من الحق إلا كحق أحدكم(3) على أخيه.

(ولعلي أسمعكم وأطوعكم): وأرجو أن أكون أخوفكم لله في الانقياد والاحتكام.

(لمن وليتموه أمركم): بايعتموه وقام بالأمر فيكم.

(وأنا لكم وزير): معاضد ومعين.

(خير مني لكم أمير(4)!): حاكم عليكم لمكان الإمرة وحكم السلطنة.

سؤال؛ كيف قال: إنه وزير خير من كونه أميراً، والمعلوم خلاف ذلك، فإن الصلاح في إمرته ظاهر لا يمكن دفعه، خاصة على قولكم: إنه منصوص عليه، ثم لو لم يكن ثَمَّ نصٌّ عليه(5)، فكونه إماماً لا يخفى صلاحه على مسلم؟

وجوابه من وجهين؛

أما أولاً: فلأنه إنما قال ذلك على جهة الهضم لنفسه والغض لها، كما قال عمر: كلكم أفقه من عمر حتى المخدَّرات في البيوت.

وأما ثانياً: فلأن المراد بقوله خير، أي أسهل؛ لأنه إذا كان وزيراً جازت مخالفته، بخلاف حاله إذا كان أميراً فإن مخالفته حرام.

(1) في (ب): موجدة.

(2) في (أ): فإني غير متقلب إلى ذلك ولا يكترث به، وما أثبته من (ب).

(3) في (ب): إلا كأحدكم على أخيه.

(4) في شرح النهج: وأنا لكم وزيراً، خير لكم مني أميراً.

(5) قوله: عليه زيادة في (ب).

(582/2)

---

(90) ومن خطبة له عليه السلام

(أما بعد، أيها الناس، فأنا فقأت عين الفتنة): فقأ عينه إذا أعورها، وأراد أنه الذي هدم منارها ومحا آثارها.

(ولم يكن لأحد غيري أن يجترئ عليها): وغرضه من ذلك هو قتل البغاة، وحرب أهل القبلة معاوية وأهل الشام، وحرب الجمل، فإن من كان قبله من الخلفاء كان حربهم مقصوراً إما على أهل الردة كما كان من أبي بكر، وإما على الروم والفرس وغيرهم كما كان من عمر، فأما أهل البغي فما أُخِذَتْ أحكام حربهم إلا منه، وإنما قال: ما كان لأحد أن يجترئ عليها غيره لما فيه من الخطر العظيم من قتل قائل: لا إله إلا الله، وإنما أقدم على ذلك لما خصه الله به من نفوذ البصيرة وتنويرالقلب وشرحه وتبحره في العلوم الدينية.

(بعد أن ماج(1) غيهبها): اضطرب ظلامها ومنه الموج، وإنماسمي بذلك لكثرة اضطرابه.

(واشتد كَلَبُها): الكَلَبُ هو: الشر [من كل شيء، ومنه كلب النار وكلب الحرب لما فيهما من الشر](2) وهو بفتح اللام.

(فسلوني(3)): عن الحكم والآداب الدينية والدنيوية، وعن كل ما يصلحكم من مهمات الدين.

(قبل أن تفقدوني): بانقطاع أثري عن الدنيا بالموت.

(فوالذي نفسي بيده): إقسام [بما](4) لا يقدر عليه إلا الله، وهو إمساك الأرواح كقولك: لا والذي يعلم الخائنة للأعين.

(لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة): من الحوداث التي بينكم وبين يوم القيامة من الفتن والأهوال والمصائب والآفات، وهذا من العلوم الغيبية التي لا تعلم إلا بإعلام من جهة الله تعالى بواسطة الرسول، فإنه غيرممتنع أن يكون الرسول قد أخبره بذلك كله، وأقره في سمعه، ولهذا صرَّح به في كلامه هذا.

(1) في (ب) وشرح النهج: ماج، كما أثبته، وفي (أ): أماج.
(2) ما بين المعقوفين زيادة في (ب) وفي نسخة أخرى.
(3) في النهج: فاسألوني.
(4) زيادة في (ب).

(583/2)

(ولا عن فئة): جماعة، قال الله تعالى: {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ}[البقرة:249].
(تهدي مائة): ترشد هذا العدد إلى الخير.
(وتضل مائة): وتدعو هذا العدد إلى الخسارة.
(إلا أنبأتكم): أعلمتكم وأخبرتكم.
(بناعقها): النعق(1) بالعين المهملة هو: ما يكون من الدعاء للبهائم، يقال: نعق للضأن إذا صاح بهن، والنغق(2) بالغين المنقوطة هو: صياح الغراب يقال: نغق الغراب، وحكى ابن كيسان(3): نعق الغراب بالعين المهملة أيضاً(4)، وأراد بمن يصيح بها.
(وقائدها وسائقها): وبمن يكون قدّامها(5) وإماماً لها، وبمن يكون خلفها يحثُّها من ورائها.
(ومُنَاخ رِكَابِها): وموضعها الذي تنيخ فيه ركايبها(6).
(ومحط رحالها): وأماكنها التي تلقي فيه أثقالها من الرحال وغيرها.
(ومن يقتل من أهلها قتلاً): بالسيف.
(ومن يموت من أهلها موتاً): حتف أنفه.
(ولو قد فقدتموني): بالموت والتولي عن الدنيا.
(ونزلت بكم كرائه الأمور): من الخطوب المكروهة والحوادث العظيمة.
(وحوازن(7) الخطوب): حزنه الأمر إذا دهمه وأصابه، وأراد وحوادث الخطوب التي تصيب أهلها بالغم والحزن.

---

(1) في (ب): النعيق.
(2) في (ب): والنغيق.
(3) ابن كيسان هو: محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الحسن، المعروف بابن كيسان، المتوفى سنة 299هـ، عالم بالعربية نحواً ولغة، من أهل بغداد، أخذ عن المبرد وثعلب، من كتبه (تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها) و(المهذب في النحو) وغيرهما (أنظر الأعلام 308/5).
(4) مختار الصحاح ص668.

(5) في (ب): قد أمهَّا، وفي نسخة أخرى: قداماً لها.
(6) الركاب: الإبل التي يسار عليها.
(7) في نسخة أخرى وفي شرح النهج: وحوازب، وهو من قولهم: حز به الأمر إذا اشتد عليه أو ضغطه.

(لأطرق كثير من السائلين): حيرة ودهشاً وذهاباً عن السؤال، والإطراق: السكوت(1).
(وفشل كثير من المسئولين): أزعجوا وارتعد ت فرائصهم لما يعتريهم من القلق لعظم الأمر وكبره.
(وذلك): إشارة إلى ما ذكره(2) من الإطراق والفشل وتغير الأحوال.
(إذا قلَّصت حربكم): قلص الما ء إذا ارتفع، وأراد ارتفع شرها وعظم أمرها، وقوله: حربكم أي التي أنتم بصددها
(وشمرت عن ساق): شمر في سيره إذا أسرع فيه، والساق: الشدة، قال الله تعالى: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ}[القلم:42] ويقال: شمرت الحرب عن ساق أي شدة وجهد(3) وبلاء.
(وضاقت الدنيا عليكم ضيقاً): لما يغشاكم من الغمِّ، وذلك لأن الإنسان إذا نزل به أمر وخطب عظيم ضاق عليه الواسع من الأرض، كما حكى الله تعالى عن الثلاثة المخلفين(4): {ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ}[التوبة:118].
(تستطيلون أيام البلاء عليكم): تفسير لقوله: ضاقت عليكم الدنيا؛ لأن الا ستطالة لم تكن إلا من أجل الضيق لأن أيام الدعة تكون قصيرة.
(حتى يفتح الله لبقية الأبرار منكم): أهل الصلاح والتقوى فرجاً من عنده وفتحاً من جهته، وهذا كله إخبار بما هو كائن بعده وصفة لأحوالهم في ذلك الزمن.
(إن الفتن إذا أقبلت شبَّهت): لأن عند إقبالها يشتغل الناس ببليتها والسعي في دفعها وإصلاحها، ويلهون بذلك عن النظر في أسبابها فتشتبه عليهم الحال فيها.

(1) في (ب): السكون.
(2) في (ب): ما ذكر.
(3) في (أ) و(ب): وعهد، وما أثبته من نسخة أخرى.
(4) هم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية. (انظر قصتهم في الكشاف 303/2).

(وإذا أدبرت نبَّهت): لأنها عند إدبارها وتوليها(1) يفزعون للتفكر في أحوالها ويتنبهون لأسبابها ولدفعها والتحرز من ميلها(2).
(ينكرن مقبلات):لما يحصل عند إقبالهنَّ من الدهشة والقلق فلا يمكن النظر في حالهنَّ.
(ويعرفن مدبرات): لفراغ الخاطر عن بلاءهنَّ فلا جرم أمكن النظر عند إدبارهنَّ، (ومقبلات ومدبرات)، منصوبات على الحال أي في حال إقبالهنَّ وإدبارهنَّ ينكرن ويعرفن.
(يَحُمن حوم الحمام(3)): وحام(4) الطيرحوماً إذا دار في طيرانه، وأراد أن دأبهنَّ التحويم على أفئدة الخلق بالإضلال لهم عن الحق.
(يصبن بلداً، ويخطئن بلداً): إما على ظاهره، فإنهنَّ إنما يقعن في بلد دون أخرى؛ لأن الفتن لا تعم الدنيا كلها، وإما أن يكون أراد بالبلد قوماًدون آخرين، فإنه قد روي عن الرسول أنه قال: ((سألت الله أن لايلبس أمتي شيعاً فمنعنيها)) (5) وأراد ما بينهم من التفرق والخلاف والفتن في الدين.
(ألا وإن أخوف الفتن عندي(6) عليكم): أكبرها وأعظمها خوفاً في الدين.
(فتنة بني أمية): لما ظهر فيها من الجور والظلم، وهو أول بغي كان في الإسلام وظلم وجور.
(فإنها فتنة عمياء): لايهتدى فيها لمنار الحق وسبيله.

---

(1) في (أ): وتوليتها.
(2) في (ب): والتحرز عن مثلها، وفي نسخة أخرى: والتحذير من مثلها.
(3) في النهج: الرياح.
(4) الواو سقط من (ب).
(5) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير 57/4، وأبو نعيم في حلية الأولياء 360/1، والحديث في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 184/5 بلفظ: ((سألت الله أن لا يلبسهم شيعاً، ويذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها)) وعزاه إلى مسند أحمد بن حنبل 396/6.
(6) قوله: عندي، زيادة من النهج.

(586/2)

(مظلمة): ذات ظلام لما يظهر فيها من الظلم، والظلم ظلمات يوم القيامة على أهله.
(عمَّت(1) خُطتها): الخُطة بالضم هو: الأمر الشديد، وأراد أن شدتها عمَّت الخلق بما كان منهم من ظلمهم وفسادهم.

(وخصَّت بليتها): أمير المؤمنين بما كان من معاوية وحزبه وخروجه عليه، وتأليب الناس على قتاله في صفين، ثم أولاده بعده(2)، أما الحسن بن علي فسمه معاوية على يد امرأة(3)، وأما الحسين بن علي فقتله يزيد على يد عبيد الله(4) بن زياد، وغير ذلك مما كان من الأموية من الأفاعيل بالزيدية(5) الزكية.

(وأصاب البلاء من أبصر فيها): من كانت له بصيرة مثل ما كان من الفاطمية من البصيرة في حربهم، فنالهم المكروه من أجل ذلك.

(وأخطأ البلاء من عمي عنها): من كان لا بصيرة له في الإنكار عليهم، فسلم من ضُرِّهم وقتلهم من أفناء الناس.

(وايم الله): كلمة تستعمل في القسم، وموضعها صدر الكلام، وهي مرفوعة على الابتداء، وخبرها محذوف، أي ايم الله قسمي، وهي جمع يمين كما مرَّ بيانه.

(لتجدُنَّ بني أمية لكم(6) أرباب سوء بعدي): ولاة سوء بعد انقضاء مدتي، من أجل إبطالهم لقواعد الشرع ومحو رسومه وتعفية آثاره.

(كالناب): الناقة الْمُسِنَّة.

(الضروس): السيئة الخلق لما فيها من الشره والشَكَسِ.

---

(1) في (أ) وعمت، وفي (ب) وشرح النهج: عمت بغير واو كما أثبته.

(2) قوله: بعده، سقط من (ب).

(3) هي جعدة بنت الأشعث بن قيس، وكانت زوجة الإمام الحسن عليه السلام، فسمته بإيعاز من معاوية، ووعدها بمال جزيل، وأن تتزوج ابنه يزيد، فلما سمته دفع لها المال، ولم يزوجها يزيد، والقصة مشهورة.

(4) في النسختين: عبد الله، والصواب ما أثبته.

(5) في (ب): بالذرية.

(6) لكم، زيادة في النهج.

(587/2)

(تعذم بِفِيْهَا): تعضُّ حالبها بِفِيْهَا.

(وتخبط بيدها(1)): والخبط: الضرب باليد.

(وتَزْبِنُ برجلها): الزَّبْنُ بالزاي: الدفع، وأراد(2) أنها تركض برجلها.

(وتمنع درها): لهذه الأشياء فلايمكن الوصول إليه، ولاسبيل إلى الانتفاع بلبنها، وغرضه من هذا

التنبيه على بني أمية بأن ضررهم على الخلق عظيم في جميع أحوالهم، وخيرهم مفقود(3) لا ينال شيء منه(4) أبداً.

(لا يزالون بكم): في أيامهم وزمان دولتهم .

(حتى لا يتركوا منكم أحداً إلا نافعاً لهم): معيناً لهم على ظلمهم وفجورهم.

(أو غير ضائر بهم(5)): أو معتزلاً عنهم، لا يضرهم في تغيير ما هم عليه.

(ولا يزال بلاؤهم عنكم(6)): محنتهم عليكم وضرهم بكم دائماً مستمراً فيكم.

(حتى لايكون انتصار أحدكم منهم إلا مثل انتصار العبد من ربه): أراد أن غاية انتصاركم من ظلمهم ليس إلا بالاسترحام والاسترجاع، كما يكون ذلك من جهة السيد لعبده، فإن انتصاره منه ليس إلا بذلك.

(والصاحب من مستصحبه): وانتصار الصاحب من صاحبه ليس إلا بالعتاب والمكالمة اللينة، فأما ما سوى ذلك من منعهم عن المناكر (7) وإكراههم على تركها بالسيف، وزمِّهم عن الظلم والضرب على أيديهم، فهذا مما لا سبيل إليه في أيامهم.

(ترد(8) عليكم فتنتهم شُوْهاً(9)): قبيحة لاشتمالها على المنكرات العظيمة والأفعال الشنيعة.

____

(1) في (ب): بيديها.

(2) في (ب): فأراد.

(3) في (ب): مقصور.

(4) في (ب): لاينال منه شيء أبداً.

(5) بهم، زيادة في النهج.

(6) عنكم، زيادة في النهج.

(7) في (ب): المناكير.

(8) في (ب) وفي النهج: ترد، كما أثبته، وفي (أ): تردد.

(9) في النهج: شوهاء.

(588/2)

(مخشنة): الخشن: خلاف اللين، وأراد أنها جرزة لميلانها عن الحق السلس، وانحرافها عن الحنيفية السمحة والطريقة السهلة.

(وقطعاً جاهلية): القطع: جمع قطعة وهي ظلمة آخر الليل، على دأب الجاهلية وعادتها في إشادة الباطل وهدم منار الدين وأعلامه.

(ليس فيهم منار هدى): داعٍ يدعو إلى دين الله.
(ولا علم(1) يرى): يُدرك بالبصر فيُهتدى به، والمنار والعلم: شيئان يوضعان للاهتداء بهما للسابلة(2)، وقد استعارهما ها هنا، وأبان أنهم ليسوا أهلاً لذلك، ولا هم منه في ورد ولا صدر.
(نحن أهل البيت): منصوب على الاختصاص.
(منها بنجاة(3)): أي إنَّا برآء عمَّا يرتكبونه من الفواحش وناجون من تبعاته ووخامة عواقبه.
(ولسنا فيها بدعاة): أراد أنَّا لا ندعو المسلمين إلى ذلك ولا نحضهم عليه، وأراد بأهل البيت هو وأولاده؛ إذ ليس أهل البيت في ذلك الزمن إلا من ذكرنا(4).
(ثم يفرِّج الله عنهم(5) ذلك): فرَّج الأمر إذا كشفه، وأراد أن الله يكشف ما أصابهم من الضر ومسهم من البلوى، والإشارة إلى ما تقدم من ورود الفتنة.
(كتفريج الأديم): عمَّا سلخ منه، فإنه لا يرجع كما كان أبداً، وأراد أنهم لا يرجعون عند حصول(6) الفرج إلى ما كانوا فيه من هذه الفتنة أبداً.
(بمن يسومهم خسفاً): يقال: سامه خسفاً وخسفاً بضم الخاء وفتحها أي أولاه ذلاً.
(ويسوقهم عنفاً): العنف: نقيض الرفق، وخسفاً وعنفاً صفتان لمصدرمحذوف أي سوماً خسفاً وسوقاً عنفاً.

---

(1) في (ب) والنهج: ولا علم، كما أثبته، وفي (أ): وعلم.
(2) السَّابلة: أبناء السبيل المختلفة في الطرقات.
(3) في نسخة أخرى وفي النهج: بمنجاة.
(4) في (ب): ذكرناه.
(5) في النهج: عنكم.
(6) في (ب): حضور.

(589/2)

(ويسقيهم بكأس مصبَّره): أي مُرَّة قد ديف فيها(1) الصَّبِر.
(و(2)لا يعطيهم إلا السيف): ولا يجعل عطيتهم ومنحتهم من جهته إلا القتل بالسيف.
(ولا يجلسهم(3) إلا الخوف): ولا يكون لهم مستقر ولا موضع يشتركون فيه إلا الخوف والطرد، وقوله: لا يعطيهم إلا السيف، ولا يجلسهم إلا الخوف، من أنواع البديع يسمى الإسناد المجازي ونظيره قولهم: عتابك السيف، وقولهم:
تحية بينهم ضربٌ وجيعٌ .... وتعليقها الإسراجُ والإلجامُ(4)

ومنه قول المتنبي(5):

بدت قمراً ومالت خوطبان .... وفاحت عنبراً ورنت غزالا

---

(1) في النسختين: قد ذيق منها، والصواب كما أثبته، وقوله: ديف فيها هو من الدوف وهو الخلط أو البلُّ بماء أو نحوه، والصّبِر بكسر الباء هو الدواء المر.

(2) الواو، سقط من (ب).

(3) في شرح النهج: ولا يحلسهم بالحاء المهملة أي يلبسهم. (انظر شرح ابن أبي الحديد 57/7).

(4) في (أ): والإلحام.

(5) المتنبي هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي [303-354هـ] الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي، له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة، ولد بالكوفي في محلة تسمى كندة، وإليها نسبته، ونشأ بالشام، ثم تنقل في البادية يطلب الأدب وعلم العربية وأيام الناس، وقال الشعر صبياً، وله ديوان شعر مطبوع، وعلى العموم فشهرته تغني عن التعريف به. (وانظر الأعلام 115/1، ومعجم رجال الاعتبار ص24).

(590/2)

وأراد بما ذكره بني العباس، فإن مروان بن محمد وهو آخر الأموية هلكاً لما قتل(1) تفرقوا في البلاد هرباً بأنفسهم عن السيف من بني العباس، فإنهم فعلوا بهم هذه الأفعال التي ذكرها أمير المؤمنين(2)

---

(1) قوله: قتل، سقط من (ب)، ومروان بن محمد قتل ببوصير من صعيد مصر (انظر شرح ابن أبي الحديد 128/7-129).

(2) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج 121/7-122 في معرض ذكره للأخبار الواردة في انتقال الملك من بني أمية إلى بني العباس ما لفظه: سار عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس في جمع عظيم للقاء مروان بن محمد بن مروان، وهو آخر خلفاء الأمويين، فالتقيا بالزاب من أرض الموصل، ومروان في جموع عظيمة وأعداد كثيرة، فهزم مروان واستولى عبد الله بن علي على عسكره، وقتل من أصحابه خلقاً عظيماً، وفر مروان هارباً حتى أتى الشام، وعبد الله يتبعه، فصار إلى مصر، فاتبعه عبد الله بجنوده، فقتله ببوصير الأشمونين من صعيد مصر، وقتل خواصه وبطانته كلها، وقد كان عبد الله قتل من بني أمية على نهر أبي فطرس من بلاد فلسطين قريباً من ثمانين رجلاً قتلهم مُثْلَة، واحتذى أخوه داود بن علي بالحجاز فعله فقتل منهم قريباً من هذه العدة بأنواع الْمُثُل. وكان مع مروان حين قُتِلَ ابناه عبد الله وعبيد الله، وكانا وليي عهده فهربا في

خواصهما إلى أسوان من صعيد مصر، ثم صارا إلى بلاد النوبة ونالهم جهد شديد وضر عظيم، فهلك عبد الله بن مروان في جماعة ممن كان معه قتلاً وعطشاً وضراً، وشاهد من بقي منهم أنواع الشدائد وضروب المكاره، ووقع عبيد الله في عدة ممن نجا معه في أرض البُجة وقطعوا البحر إلى ساحل جدة، وتنقل فيمن نجا معه من أهله ومواليه في البلاد مستترين راضين أن يعيشوا سوقة بعد أن كانوا ملوكاً، فَظُفر بعبد الله أيام السفاح فحبس فلم يزل في الحبس بقية أيام السفاح، وأيام المنصور، وأيام المهدي، وأيام الهادي، وبعض أيام الرشيد، وأخرجه الرشيد وهو شيخ ضرير، فسأله عن خبره، فقال: يا أمير المؤمنين، حبست غلاماً بصيراً وأخرجت شيخاً ضريراً، فقيل: إنه هلك في أيام الرشيد، وقيل: عاش إلىأن أدرك خلافة الأمين. انتهى، ثم ساق عدداً من الأخبار التي تحكي انتقال الملك من بني أمية إلى بني العباس، وما يتصل بذلك انظرها فيه من ص 121 إلى ص 166.

(591/2)

، وشردوهم في البلاد، وهرب عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك(1) إلى الأندلس وقتل هناك، ثم ولي السفاح بعد مروان بن محمد وهو أول العباسية ملكاً وخلافة فاستأصلهم قتلاً وتشريداً.

(فعند ذلك): الإشارة إلى ما ذكره من سوم الخسف وسوق العنف.

(تود قريش) (2): بني أمية ومن كان معهم من بطون قريش على رأيهم في البغي عليه.

(بالدنيا وما فيها): ببذل الدنيا وما فيها من النفائس.

(لو يرونني): عند لقائهم ما يلقون من ذلك.

(مقاماً واحداً): انتصابه على الظرفية أي في مقام واحد، وتعلقه بيرونني.

(ولو قدر جزر جَزُوْرٍ): ولو وقتاً واحداً تجزر فيه جزور.

---

(1) عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي [113-172هـ] ويعرف بعبد الرحمن الداخل، مؤسس الدولة الأموية في الأندلس، ولد في دمشق، ولما انقرض ملك الأمويين في الشام، وتعقب العباسيون رجالهم بالفتك والأسر، أفلت عبد الرحمن وأقام في قرية على الفرات، فتتبعته الخيل، فأوى إلى بعض الأدغال حتى أمن، فقصد المغرب فبلغ أفريقية، فاستمر عامل أفريقية عبد الرحمن بن حبيب الفهري يطلبه فانصرف إلى مكناسة ثم تحول إلى منازل نفراوة، وهم جيل من البربر أمه منهم، فأقام مدة يكاتب من في الأندلس من الأمويين. (انظر الأعلام 338/3).

(2) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج 57/7 في شرح قوله: (فعند ذلك تود قريش بالدنيا وما فيها ... إلى آخر الكلام) قال ما لفظه: فإن أرباب السير كلهم نقلوا أن مروان بن محمد قال يوم الزاب

لما شاهد عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بإزائه في صف خراسان: لوددت أن علي بن أبي طالب تحت هذه الراية بدلاً من هذا الفتى، والقصة طويلة وهي مشهورة. انتهى.

(592/2)

(لأقبل منهم ما أطلب بعضه اليوم فلا يعطوننيه): واللام في قوله: لأقبل منهم هي لام كي وهي متعلقة بيرونني، وما موصولة، وجواب لو محذوف تقديره: لفعلوا، والمعنى في هذا أن بني أمية عند معاينتهم لما يفعله بنو العباس بهم، يودون لفرط تحسرهم وندامتهم أنهم يفعلون لي كل ما أطلبه منهم في ذلك اليوم، لو طلبت منهم الآن بعضه لامتنعوا عن فعله.

(91) ومن خطبة له عليه السلام

(فتبارك الله الذي لا يبلغه(1) بعد الهمم): البركة: هي النماء والزيادة، وتبارك الله له معنيان:

أحدهما: أن يريد(2) كثرة خيره وتكاثر آلائه على خلقه.

وثانيهما: أن يريد تزايده على كل شيء في أفعاله وصفاته، والهمم: جمع همة، وأراد أنه لا تبلغ الهمم له غاية وإن بلغت أقصى جهدها.

(ولا يناله حدس الفطن): ولا يصل(3) إليه ظنون الأفهام وتوهماتها.

(الأول فلا غاية له(4)): فلا بداية لهذه(5) الأولية.

(فينتهي): أي لو كان له بداية لكان متناهياً.

(ولا آخر له): فلا انقطاع لهذه الآخرية.

(فينقضي): أي لو كان له آخر لكان مزايلاً(6) منقضياً.

ثم شرع في وصف الأنبياء بقوله:

(فاستودعهم في أفضل مستودع): أراد أنهم أفضل الخلائق عنده وأعلاهم مكاناً.

(وأقرهم في خير مستقر): أراد أنه اختارهم من بين العالمين، ومستقر الشيء حيث يكون قراره، ومستودعه حيث يكون مخبوءاً فيه.

(تناسختهم كرائم الأصلاب): بيان لقوله: أقرهم واستودعهم، وأراد انتجاب الآباء.

---

(1) في (أ): لا تبلغه.

(2) في (ب): يزيد.

(3) في (ب): ولا تصل.

(4) في شرح النهج: الأول الذي لا غاية له.

(5) في (ب): فلا بداية له بهذه...إلخ.

(6) في نسخة أخرى: زايلاً.

(593/2)

(إلى مطهرات الأرحام): أي لم يزالوا ينتقلون في الكرم والتطهير من قِبَلِ آبائهم وأمهاتهم،لم يكونوا عن زنا، ولا كان في أحسابهم وِشْبٌ(1)، ولهذاقال عليه السلام: ((خلقت من نكاح لا من سفاح))(2).

(كلما مضى(3)منهم سلف): السلف هم: المتقدم.

(قام بدين الله منهم خلف): والخلف هو: الذي يتلوه بعده، وأراد أنهم دعاة إلى الله وإلى دينه من تقدم منهم ومن تأخر.

(حتى أفضت كرامة الله سبحانه إلىمحمد صلى الله عليه وآله): أفضى من قوله: أفضيت إليه بسري أي أو صلته إياه، وأراد حتى وصلت تلك الكرامة إلى نبينا وهي كرامة النبوة.

(فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً): المنبت: موضع النبات، كمضرب الناقة أي مكان ضربها.

(وأعز الأرومات مغرساً): الأرومة هي: الأصل، والمغرس: مكان الغرس أيضاً.

(من الشجرة التي صدع عنها(4) أنبياءه): صدع الشيء إذا شقه، وأراد بالشجرة إبراهيم فإن أكثر الأنبياء بعد نوح من ولده.

---

(1) الوِشْبُ مفرد الأوشاب وهم الأوباش والأخلاط من الناس.

(2) روى قريباً منه الحاكم الجشمي رحمه الله في تنبيه الغافلين ص 175، في حديث عن جعفر بن محمد عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((أخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم لم يصبني سفاح الجاهلية، ولم أخرج إلا من طهر))، وهو بلفظ: ((أخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح))، في موسوعة أطراف الحديث 179/1 وعزاه إلى مصنف عبد الرزاق (13273)، وتهذيب تأريخ دمشق لابن عساكر 279/1، وانظر المعجم الكبير للطبراني 329/10، وتلخيص الحبير لابن حجر 176/3، وخلاصة البدر المنير 198/2، ومسند شمس الأخبار 7/1 الباب الثاني.

(3) في (أ): كل مضى، وفي النهج: كلما مضى، وما أثبته من النهج ومن (ب).

(4) في النهج: منها.

(594/2)

(وانتجب(1) منها أمناءه): على وحيه وعلى السيرة في خلقه.

(عترته خيرالعتر): عترة الرجل: أقاربه الأدنون منه.

(وأسرته خيرالأسر): الذين يعتضد بهم ويتقوى وهم الحفدة والأعوان.

(وشجرته خير الشجر): لأنها موضع النبوة ومكان الاصطفاء.

(نبتت في حرم): في مكة في الحرم المحرَّم.

(وبسقت في كرم): بسق الشيء إذا علا، وأراد أن كرمها عال على غيرها وشرفها.

(لها فروع طوال): ذرية طيبة ونسل طاهر.

(وثمر لا ينال): لعلوها واستطالتها وكرم أصلها.

(فهو إمام من اتقى): لاقتدائهم بآثاره.

(وبصيرة من اهتدى): لاهتدائهم بمناره.

(سراج لمع ضوؤه): فأنار وأضاء.

(وشهاب سطع نوره): فظهر(2) واستعلى.

(وزَنْدٌ بَرَقَ لمعُهُ): فنفع وأورى(3).

(سيرته القصد): الوسط من الأمور كلها، كما قال عليه السلام: ((خير الأمور أوسطها(4))).

(وسنته الرشد): إلى مصالح الدين والدنيا، ومعالي الأمور كلها.

---

(1) في (ب): وانتخب.

(2) في (ب): وظهر.

(3) من ورى الزند يَرِي بالكسر وَرْياً أي خرجت ناره.

(4) في (ب): أوساطها، والحديث أورده في موسوعة أطراف الحديث 643/4 وعزاه إلى عدة مصادر منها: السنن الكبرى للبيهقي 273/3، وإتحاف السادة المتقين 246/6، 13/8، والشفاء للقاضي عياض 175/1، وتفسير القرطبي 154/2 وغيرها، قلت: وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه 186/7 بلفظ: ((خير أموركم أوسطها)).

(595/2)

(وكلامه الفصل(1)): الجد لا الهزل، ولهذا قال عليه السلام: ((أوتيت جوامع الكلم))(2)، وأراد بجوامع الكلم أنه يتكلم بالكلمات القصيرة وتحتها معان جمة ونكت غزيرة.

(وحكمه العدل): الذي لاجور فيه ولا حيف على صاحبه.

(أرسله على حين فترة من الرسل): تراخي من بعثة الرسل وإرسالهم.

(وهفوة من(3) العمل): وذهاب من الأعمال والعبادات إذ لا داعي إليها.

(وغباوة من الأمم): جهل منهم لعدم من يرشدهم إلى الخير.

(اعملوا رَحمكم الله على أعلام بينة): أراد على بصيرة نافذة، وعن هذا قالعليه السلام: ((قليل في سنة خيرمن كثير في بدعة))(4).

(فالطريق نهج): واضح بيَّن(5) لمن سلكه.

(يدعو إلى دار السلام(6)): إلى الجنة، وهي موضع السلامة من النار.

---

(1) في (أ): القصد، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى ومن شرح النهج.

(2) أورده في موسوعة أطراف الحديث وعزاه إلى: مسلم في المساجد (7، 8)، ومسند أحمد بن حنبل 250/2، 314، 442، 501، وإتحاف السادة المتقين 113/17 وغيرها، والحديث في الانتصار للمؤلف 832/1 وعزاه المحققان إلى مسلم، وأحمد في المسند، قلت: وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد 173/1، وابن أبي شيبة في مصنفه 318/2.

(3) في شرح النهج: عن.

(4) أخرجه معمر بن راشد في الجامع 291/11، ومسند الشهاب 239/2، والسنة للمروزي 30/1، كلها بلفظ: ((عمل قليل في سنة....)) الحديث، وهو باللفظ الذي أورده المؤلف هنا في الزهد الكبير 340/2.

(5) قوله: بين سقط من (أ).

(6) في (أ): السلم.

(596/2)

(وأنتم في دار مستعتب): مسترضى(1) من قولهم: استعتبته فأعتبني أي استرضيته فأرضاني، ولهذا قال عليه السلام: ((فما بعد الموت من مستعتب))(2).

(على مهل وفراغ): إرواد في العمر وفسحة فيه، وفراغ من الا شتغال قبل الموت، والاشتغال بأعمال الآخرة.

(والصحف منشورة): ممهدة للقراءة.

(والأقلام جارية): ممهدة للكتابة.

(والأبدان صحيحة): عن الأمراض والأسقام، قادرة علىالأعمال.

(والألسن مطلقة): عن الا عتقال فصيحة للنطق.
(والتوبة مسموعة): لمن نطق بها.
(والأعمال مقبولة): ممن فعلها.
(بعثه والناس ضلاَّل في حيرة): ضلاَّل عن الهدى، حائرون في ظلمات الجهل والعمى.
(خابطون في فتنة): عاملون في غير بصيرة، من قولهم: فلان يخبط في أمره أي يجري على غير هدى.
(قد استهوتهم الأهواء): استهواه الشيطان أي استهامه، والهيام: ضرب من الجنون، وأراد خالطهم أهواء النفوس فهم في حيرة وقلق.
(واستزلهم(3) الكبرياء): أبعدهم الفخر والتكبر عمَّا يليق بالعقلاء فعله.
(واستخفتهم الجاهلية الجهلاء): استخفه أي أهانه، وأراد أن أعمال(4) الجاهلية هي التي أهانتهم، وأسقطت منازلهم، والجهلاء مبالغة مثل قولهم: شيطان ليطان، وحسن يسن(5).

---

(1) في (أ): يسترضى.
(2) أخرجه من حديث عن ابن عباس، الشريف السيلقي في الأربعين السيلقية ص 18، رقم (4)، وهو من حديث أخرجه الإمام الموفق بالله في الاعتبار وسلوة العارفين ص 273، بسنده يبلغ به إلى الحسن البصري، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر الحديث، (وانظر تخريجه فيه)._ ... _قلت: وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان 360/7، والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب 93/3.
(3) في (ب) وشرح النهج: واستزلتهم.
(4) في (ب): الأعمال.
(5) كذا في النسخ.

(597/2)

(حيارى): متحيرون في مذاهبهم، لا يدرون أين يوجهون.
(في زلزال من الأمر): وجل وإشفاق من أجل ما هم فيه من أمر الجاهلية.
(وبلاء من الجهل): وأعظم بلوى من أجل الجهل، ولعمري إنه من أعظم البلاوي.
(فبالغ صلى الله عليه وآله(1) في النصيحة): لمن بعث إليهم بالهداية إلى ما يصلحهم وتعريفهم ما يفسدهم.
(ومضى على الطريقة): الدعاء إلى التوحيد وإقامة الحدود.

(ودعا إلى الحكمة والمواعظ(2) الحسنة): كما أمره الله تعالى بقوله: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}[النحل:125] وأراد بالحكمة الهداية إلى الدين، والتذكير البالغ النافع لمن سمعه.

(قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار(3)): أراد أن الله تعالى مكنَّ محبته من(4) قلوب أهل ا لصلاح فتمكنت(5) من سوائد قلوبهم، وفي الحديث: ((لا يكون المؤمن مؤمناً حتى أكون أحب إليه من والديه))(6)

---

(1) قوله: وآله، زيادة في النهج.

(2) في (ب) وشرح النهج: الموعظة.

(3) قبل هذه العبارة في شرح النهج: (مستقره خير مستقر، ومنبته أشرف منبت، في معادن الكرامة، ومماهد السلامة).

(4) في (ب): في.

(5) في (أ): فمكثت من سويداء قلوبهم.

(6) أخرجه بلفظ: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)) مسلم في صحيحه 67/1، وابن حبان في صحيحه 405/1، والحاكم في المستدرك 528/2، وأخرجه البخاري في صحيحه 14/1، واللفظ في آخره : ((.... حتى أكون أحب إليه من والده))._ ... _قلت: وله شاهد أخرجه الإمام الناصر الأطروش عليه السلام في البساط ص73-74 بسنده عن ابن أبي ليلى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه، وأهلي أحب إليه من أهله، وعترتي أحب إليه من عترته، وذاتي أحب إليه من ذاته)).

(598/2)

(وثنيت إليه أزمة الأبصار): ثنيت الحبل إذا عطفته، وأراد أن الأزمة مصروفة عنه دون غيره.

(دفن به الضغائن(1)): التي كانت بينهم في الجاهلية، وصاروا كثيري التراحم والحنو على بعضهم بعض ببركته، كما قال تعالى: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ}[الأنفال:63].

(وأطفأ به(2) النوائر): النوائر جمع نائرة، والنائرة بالنون هي: العداوة والشحناء، وبالثاء بثلاث نقط هي هيجان الغضب، وكله ها هنا محتمل، وأراد أن الله أطفى ببركته ما كان بينهم من هذه الثوائر(3).

(ألف به إخواناً): جمع بالدين جماعات كانوا مفترقين(4).

(وفرق به أقراناً): وفرق به جماعات كانوا مجتمعين على الباطل من عبادة الأوثان والأصنام.

(أعز الله به بعد الذلة(5)): رفع به(6) أقواماً بالإسلام بعد استصغارهم في الكفر.

(وأذل به بعد العزة(7)): وخفض(8) أقواماً بالكفر بعد أن كانوا أعزة في الجاهلية، وهذا ظاهر من حاله عليه السلام، فانظر إلى ما رفع الله حال سلمان وصهيب وبلال، وغيرهم من الضعفاء بالدين والإسلام،، وإلى ما وضع الله أبا لهب وعتبة وشيبة بالكفر والضلال.

(كلامه بيان): لكل ما تضمنه من الشرائع والأحكام، والحكم والآداب في الدين والدنيا.

(وصمته لسان): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أن صمته بمنزلة قوله في كونه شرعاً يقتدى به، وهو أحد الأدلة الشرعية أعني السكوت من جهته.

وثانيهما: أن يريد أن صمته حكمة وصواب، وليس غفلة وذهولاً وحصراً وعياً مثل سكوت غيره.

---

(1) في (ب) وشرح النهج: دفن الله به الضغائن.

(2) في (أ): وإطفائه.

(3) في (ب): النوائر.

(4) في (ب): متفرقين.

(5) لفظ العبارة في النهج: أعز به الذلة.

(6) قوله: به، زيادة في (ب).

(7) لفظ العبارة في النهج: وأذل به العزة.

(8) في (أ): وخفظن، وهو تحريف.

(599/2)

---

(92) ومن خطبة له عليه السلام

(الحمد لله الأول فلا شيء قبله): لأن كل ما كانت أوليته بلا نهاية، فلايعقل أن يكون شئ متقدماً عليه ولا سابقاً له.

(والآخر فلا شيء بعده): لأن كل ما كانت آخريته(1) بلا نهاية، فلا يمكن أن يكون شيء متأخراً عنه كائناً بعده.

(والظاهر): بالأدلة.

(فلا شيء فوقه): في الظهور والجلاء.

(والباطن): عن إدراك الأبصار.

(فلا شيء دونه): في استحالة الإدراك عليه.

(ولئن أمهل الله الظالم): نفَّس له في المهلة، ومدَّ له في العمر.

(فلن يفوت أخذه): فيستحيل أن يتعذر عليه أخذه والانتقام منه.

(وهو له بالمرصاد): بالطريق الذي يرقبه فيها.

(على مجاز طريقه): ممره فيها.

(وبموضع الشجا): وهو ما يعترض بالحلق(2).

(من مساغ ريقه): من مبلع الريق.

(أما والذي نفسي بيده): قسم بما لايقدر عليه إلا الله من إمساك الأنفس وتوفيها.

(ليظهرنَّ): من الظهور والغلبة.

(هؤلاء القوم(3)): معاوية وأهل الشام.

(عليكم): بالقهر والإذلال، وظهورهم عليكم.

(ليس لأنهم أولى بالحق منكم): ما كان لهذه العلة، فالأمر على خلاف ذلك من كونكم على الحق وهم على الباطل.

(ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم): انقيادهم لحكم معاوية ومتابعتهم له وامتثالهم لأمره.

(وإبطا ئكم عن حقي): بمخالفتكم لأمري وتثاقلكم عن نصرتي.

(ولقد أصبحت الأمم): من قبلكم وبعدكم .

---

(1) في النسختين: أوليته، وما أثبته من نسخة أخرى.

(2) في (ب): في الحلق.

(3) القوم، زيادة في النهج.

(600/2)

(تخاف ظلم راعيها(1)): أميرها والمتولي(2) لأمرها، وهذا هو الحكم في العادة على مجاري الدهر.

(وأصبحت أخاف ظلم رعيتي): تنقصهم بحقي(3) وتخاذلهم عن نصرتي.

(استنفرتكم للحرب(4)): طلبت خروجكم لمحاربة عدوكم.

(فلم تنفروا): ذلاً وتخاذلاً ونكوصاً عن الجهاد والموت.

(وأسمعتكم): المواعظ والزجر والتهديد.

(فلم(5) تسمعوا): فلم تكن منكم(6) حقيقة السماع بالخروج والامتثال.

(ودعوتكم سراً وجهراً): على جميع الأحوال في الدعاء.

(فلم تستجيبوا): لما دعوتكم(7) إليه من أمرالجهاد.

(ونصحت لكم): وأتيت بالنصيحة من أجلكم.

(فلم تقبلوا): إعراضاً منكم عن ذلك.

(أشهودٌ كغُيَّاب؟): أراد أنكم شهود بأشباحكم كغياب بقلوبكم، أو شهود في حكم من هو غائب في عدم الانتفاع والاستماع.

(وعبيد كأرباب؟): لأن من حق العبد الطاعة لسيده، وأنتم عبيد الله ولكن لا تطيعونه.

(أتلو عليكم الحِكَمَ فتنفرون عنها(8)): نفار من لا رغبة له فيها ولا أثر(9) لها على قلبه.

(وأعظكم بالموعظة البالغة فتفرقون(10) عنها): لا تجتمعون على معناها، ولا تحتفلون(11) بها وتثنون قلوبكم عنها كأنكم ماسمعتموها.

(وأحثكم على جهاد أهل البغي): معاوية وأهل الشام وكل من نازعني [أمري] (12)، أو أراد مخالفتي، فهو مستحق لأن يكون باغياً عليَّ.

---

(1) في النهج: رعاتها.

(2) في (ب): والمستولي.

(3) في (ب): لحقي.

(4) في النهج: للجهاد.

(5) في (ب): ولم.

(6) قوله: منكم سقط من (ب).

(7) في (ب): أدعوكم.

(8) في النهج: منها.

(9) في (ب): ولا أنزلها.

(10) في النهج: فتتفرقون.

(11) في (أ): تحتلفون، وفي (ب)، وفي نسخة أخرى كما أثبته.

(12) سقط من (ب).

(601/2)

(فلا(1) آتي على آخر قولي): موعظتي وكلامي لكم.

(حتى أراكم متفرقين): متشتتة(2) آراؤكم.

(أيادي سبأ): أيدي سبأ وأيادي سبأ مثل يضرب في التفرق(3)، وهما اسمان جعلا اسماً واحداً في موضع نصب على الحال، حيث وقع، يقال: ذهبوا أيدي سبأ، أي متفرقين، وهو سبأ بن يشجب(4)؛ لأن أولاده تفرقوا في البلاد فضرب بهم(5) المثل، وفيه مذهبان:

أحدهما: أن يكون مصروفاً وهو الأكثر، إما على أن الاسم الأول مضاف(6) إلى الثاني وإعرابه النصب، وإنما سكنت ياؤه على جهة التخفيف، وإما على أن الاسم الأول مبني مع الثاني بمنزلة الجيم من جعفر فهذا كله شايع(7) فيه.

وثانيهما: أن يكون غير مصروف؛ لأنه في التركيب والعلمية بمنزلة معدي كرب، وهذا قليل.

(ترجعون إلى مجالسكم): مطمئنين للوقوف والمحادثة من غير اكتراث(8).

(وتتخادعون عن مواعظكم(9)): المخادعة هي: المخاتلة، وهي أن توهم صاحبك خلاف ما تريده من المكر به، وأراد أنهم يفهمون الاتعاظ وما هم منه بطريق.

---

(1) في النهج: فما.

(2) في (ب): مشتتة.

(3) في (ب): التفريق وانظر المثل في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 75/7، والكشاف 587/3 وفيه: قال كثّير:

أيادي سبأ ياعز ما كنت بعدكم فلم يحلُ بالعينين بعدك منظر

(4) هو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، من كبار ملوك اليمن في الجاهلية الأولى، قيل: اسمه عبد شمس، وقيل: عامر، ويظن أنه كان في القرن العشرين قبل الميلاد (انظر الأعلام 76/3).

(5) في (أ) فضربهم، وهو تحريف.

(6) في (أ) مضافاً، وهو خطأ، والصواب: مضاف بالرفع؛ لأنه خبر إن.

(7) في (ب): سائغ.

(8) أي من غير مبالاة.

(9) بعده في النهج: أقومكم غدوة، وترجعون إليّ عشية.

(602/2)

(كظهر الحنية): الخشبة المعوجة التي يريد صاحبها تقويم أَوَدِهَا(1).

(عجز(2) المقوِّم): من أجل ضعفه عن إقامتها.

(وأعضل المُقوَّم): أعضل الأمر إذا اشتد فلا(3) يهتدى لوجهه.

(أيها [القوم](4) الشاهدة أبدانهم): أراد الفرقة والجماعة الحاضرة أشباحهم في الأعيان.

(الغائبة عنهم قلوبهم(5)): فلا يفهمون ما يقال له(6)، وإنما قال: عنهم، تنبيهاً على مجاوزتها لهم وأنها غير حاضرة معهم.

(المختلف(7) أهواؤهم): فلا يجتمعون على أمر واحد.

سؤال؛ أراه أنَّث الشاهدة والغائبة، وذكَّر المختلف مع أن فاعل الصفة جمع في كلها؟
وجوابه؛ هو أن هذه التاء إنما أتى بها دلالة على الحدوث، فإذا قلت: هذه امرأة حائض، فالغرض أنها ممن تحيض، فإذا قلت: هذه امرأة حائضة دل على تجدد حيضها الآن، فأراد أن الشهادة والغيبة متجددان، فأما الاختلاف في الأهواء فكأنها لهم صفة ثابتة لا ينفكون عنها ولا يزايلونها، فلهذا أسقط التاء منبهاً على ذلك.
(المبتلى بهم أمراؤهم): المجعولين بلوى لمن كان رئيساً عليهم.
(صاحبكم): أراد نفسه.
(يطيع الله): بالقيام فيكم بأمره وحكمه.
(وأنتم تعصونه): بالمخالفة له في جميع ما أمربه.
(وصاحب أهل الشام): أراد معاوية.
(يعصي الله): فيما أتى به من البغي والشقاق عليَّ.
(وهم يطيعونه): بامتثال أوامره(8).
(لوددت والله): اللام هذه المؤكدة للجملة، مثلها في قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا}[الحديد:26].

---

(1) أي اعوجاجها.
(2) في (أ): العجز، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج.
(3) في (ب): ولا.
(4) زيادة في (ب) وشرح النهج.
(5) في شرح النهج: عقولهم، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(6) في (ب): به.
(7) في النهج: المختلفة.
(8) في (ب): أمره.

(603/2)

(أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم): إن ها هنا جواب للقسم.
(فأخذ مني عشرة منكم(1) وأعطاني رجلاً منهم!): بيان لكيفية المصارفة، وهذا هو الغاية في ركة هممهم واسترذال أحوالهم.
(يا أهل الكوفة): استعمل(2) نداء البعيد لغفلتهم عما يريد وتركهم التفطن لكلامه.
(منيت منكم بثلاث واثنتين): أي بليت بهذه الخصال، وإنما لم يقل بخمس خصال لأن الثنتين لا

يطابقان الثلاث من وجهين:

أما أولاً: فلأنهما نفي، والثلاث إثبات.

وأما ثانياً: فلأن الثلاث راجعة إلى ما تختص(3) الحواس، بخلاف الثنتين فإنهما لايرجعان إليها فلا جرم فرق بينهن.

(صم): عن سماع ما أقوله والعمل به.

(ذووأسماع): ولهم أسماع.

(وبكم): لاينطقون بالحق.

(ذوو كلام): وهم يتكلمون بما لاينفع ولا يجدي(4).

(وعمي): عن الحق فلا يتبعونه.

(ذوو أبصار): ولهم أعين غير نافعة لهم.

(لا أحرار صدق عند اللقاء): أي لا يصدقون(5) عند الحرب في الاستقامة والصبر عند المكافحة والقتال، كما يصدق الأحرارالصابرون على القتل.

(ولا إخوان ثقة عند البلاء): ولا يوثق بهم عند حصول البلايا كما يفعله الأخوان المتحابون في الله، وقوله:(صم ذووأسماع، وبكم ذوو كلام ... إلى آخره) من أنواع البديع يسمى الطباق، وهو ذكر النقيضين معاً، ونظيره قوله تعالى: {لَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا}[الأعراف:179] وقد طابق أبو تمام بأسماء الإشارة إذا كان أحدهما للحاضر والآخر للغائب عن الحضرة كقوله:

---

(1) منكم، زيادة في النهج.

(2) في (ب): يستعمل فيهم نداء ...إلخ.

(3) في (ب): ما يخص.

(4) في (أ): ولا يجزي.

(5) في (ب): لا تصدقون.

(604/2)

مها الوحش الا أن هاتا أوانسٌ .... قنا الخَط إلا أنَّ تِلْكَ ذَوابِلُ(1)

وقد جاء الطباق بالنفي كقول البحتري(2):

تقيَّض لي من حيثُ لا أعلمُ النَّوى .... ويسري إليَّ(3) الشوقُ من حيثُ أعلمُ

فقوله: لا أعلم، في موضع أجهل فلهذا كان طباقاً.

(تربت أيديكم!): دعاء عليهم، إما أماتهم الله حتى لصقوا بالتراب، وإما أفقرهم حتى لصقوا بالتراب.

(يا أشباه الإبل ضل(4) عنها رعاتها): شبههم بالإبل لما فيهم من الجفاء والغلظ عند فقد من يرعاها؛ لأنها أكثر المواشي شروداً إذا لم تكفُّ وتقبض.

(كلما جمعت من جانب تفرقت من جانب): لشدة تجميعها واعتياص ضمها.

(والله لكأني بكم فيما إخال): فيما أظن وأحدس، وإخال بكسر الهمزة هو الأفصح، وبنو أسد يفتحونها على القياس.

(لو(5) حمس الوغى): اشتد الحرب، وحمس بشين منقوطة بثلاث من أسفلها وحاء مهملة.

(وحمي الضراب(6)): اشتد حره.

(قد انفرجتم عن ابن أبي طالب): انكشفتم عنه وأسلمتموه لعدوه.

---

(1) البيت هو لأبي تمام، أورده ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة 106/2.

(2) هو الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي أبو عبادة [206-284هـ] شاعر كبير يقال لشعره: سلاسل الذهب. ولد بمنبج (بين حلب والفرات) ورحل إلى العراق، فاتصل بجماعة من الملوك أولهم المتوكل العباسي، ثم عاد إلى الشام وتوفي بمنبج، له ديوان شعر مطبوع (الأعلام 121/8)،

(3) في (ب): علي، والبيت أورده ابن أبي الحديد في شرح النهج 106/2.

(4) في النهج: غاب.

(5) في النهج: أن لو حمس ...إلخ.

(6) في (ب): وحمي بكم الضراب.

(605/2)

(انفراج المرأة عن قُبُلِها): القُبُلُ بضمتين: نقيض الدُّبُرُ، وهما اسمان لما بين يدي الإنسان وما خلفه من العورة وكذلك المرأة، وأراد انفصال المرأة عما تلده فإنه انفصال لا يعود أصلاً، وإنما شبه انفراجهم عنه بفرج المرأة وما يخرج منه تنبيهاً على افتضاحهم بقبيح انهزامهم عنه وانخزالهم(1) عن الثبوت معه.

(إني لعلى بينة من ربي): أدلة واضحة وبرهان بين.

(ومنهاج من نيتي(2)): وطريق مرضية فيما أنويه وأتقرب به إلى الله.

(وإني لعلى الطريق الواضح): في كل مادعوتكم إليه من الحرب والقتال.

(ألقطه لقطاً): آخذه عن الرسول وعن الله عن تحقق وبصيرة، وغرضه بهذا الكلام إنكار عليهم وتعريض بأحوالهم، واستركاك لبصائرهم، في التفرق عنه والمخالفة له وهو على هذه الحالة.

(انظروا أهل بيت نبيكم): أراد نفسه وأولاده، إذلم يكن ذلك الوقت أهل البيت إلا هو وأولاده .

(فالزموا سمتهم): [طريقهم](3) من غير مخالفة.

(واتبعوا أثرهم): في الأقوال والأفعال كلها.

(فلن يخرجوكم من هدى): أنتم عليه الآن.

(ولن يعيدوكم في ردى): قد خرجتم عنه.

(فإن لَبَدوا فالبدُوا): لبد(4) بالمكان إذا أقام فيه.

(وإن نهضوا(5) فانهضوا): نهض من المكان إذا تحول عنه.

(ولا تسبقوهم): لأن في السبق لهم العمل على غير قولهم وترك المتابعة لهم.

(فتضلوا(6)): عن الحق بالسبق لهم.

---

(1) الانخزال: مشية في تثاقل، وتَخَزَّلَ السحاب كأنه يتراجع متثاقلاً. (انظر القاموس المحيط ص1282).

(2) في النهج: نبيي.

(3) سقط من (أ).

(4) في (أ): ألبد.

(5) في (ب): وإن نهض.

(6) في (أ): فتضلون وهو خطأ، والصواب كما أثبته من (ب).

(606/2)

(ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا): لأن في التأخر ترك المتابعة وهي سبب الهلاك، وقوله: فتهلكوا وتضلوا(1) منصوبان لأنهما جواب للنهي، كقوله تعالى: {وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}[الأنفال:46] وهذا محمول على أحد وجهين:

إما على المخالفة لهم في الأدلة القاطعة، وإما على المخالفة فيما أجمعوا عليه؛ لأن إجماعهم عندنا حجة قاطعة يجب متابعتها ويحرم مخالفتها.

(لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله): شاهدتهم بعيني.

(فما أرى أحداً يشبههم منكم(2)): في خوف الله والقيام بحقه وتعظيم حاله.

(لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً): الشعث يكون في الشعر يقال: خيل شعث إذا كان في شعورها كدر ، والغبرة في الجلد، قال الله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ}[عبس:40].

(وقد(3) باتوا سجداً وقياماً): يحيون ليلهم بالركوع والسجود.

(يراوحون(4) بين جباههم وخدودهم): المراوحة بين العملين(5) هو أن تعمل(6) هذا مرة وهذا أخرى، يقال: راوح بين رجليه إذا قام على أحدهما مرة وعلى الأخرى مرة أخرى، وأراد أنهم يضعون جباههم على الأرض مرة وخدودهم مرة أخرى.

(ويقفون على مثل الجمر): قلقلة وزلزلة.

(من ذكر معادهم): خوفاً للقيامة وأهوالها.

(كأن بين أعينهم رُكَبَ المعزى): أراد أن(7) جباههم قد تصلبت واشتدت حتى صارت مثل ركب المعز.

---

(1) في (ب): فتضلوا وتهلكوا.

(2) منكم، زيادة من النهج.

(3) في (ب): قد بغير واو.

(4) في (أ): يراحون، وما أثبته من (ب) و من نسخة أخرى ومن شرح النهج.

(5) في (أ، ب) العلمين، وفي نسخة أخرى: العملين، كما أثبته منها.

(6) قوله: تعمل، زيادة في (ب).

(7) قوله: إن، سقط من (أ).

(607/2)

(من طول سجودهم): من دوام وضعها على الأرض.

(إذا ذكروا(1) الله هملت أعينهم): صبوا دموعهم خوفاً منه وإشفاقاً من عذابه.

(حتى تبل جيوبهم): تنحدر على صدورهم من غزارتها.

(ومادوا): اضطربوا.

(كما تميد الشجر في اليوم العاصف(2)): شديد الريح؛ لنحولهم ورقة أجسامهم.

(خوفاً من العقاب، ورجاء للثواب): لأنهما(3) أعظم ما يرجى ويخاف.

(93) [ومن كلام له عليه السلام](4)

(والله لا يزالون): أراد بني أمية فإن عادتهم وهجيراهم التهتك.

(حتى لا يدعون(5) محرماً إلا استحلوه): أراد فعلوه وارتكبوه، كما يفعل ما هو ضلال، وليس الغرض أنهم اعتقدوا حله فإن الأول يكون فسقاً، وهذا كفر، ولم يكونوا كفاراً ولا عاملهم معاملة الكفار.

(ولا عقداً إلا حلوه): من العقود المؤكدة، وكل هذا تنبيه على ركوبهم لهذه القبائح الفسقية.
(وحتى لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا دخله ظلمهم): يعني لاستيلائهم على الخلق بالظلم والجور، فلا يبقأحد من البدو والقرار إلا ناله حقه من ذلك.
(ونبا به سوء رعيهم(6)): نبا من أرضه إذا خرج منها، وأراد أنه أظهره من وطنه سوء رعايتهم وميلها عن الحق.
(وحتى يقوم الباكيان يبكيان(7)): الناس كلهم يقومون رجلين رجلين.
(باكٍ يبكي لدينه): من أجل بطلان دينه وفساده، لما يظهر في الأرض من المنكرات العظيمة، ويبدو من الفساد في البر والبحر من غيرمراقبة لله تعالى في ذلك.

---

(1) في شرح النهج: ذُكِرَ.
(2) في النهج: كما يميد الشجر يوم الريح العاصف.
(3) في (ب): لأنها.
(4) زيادة في (ب)، وفي شرح النهج.
(5) هكذا في (أ) و(ب)، وفي النهج: حتى لا يَدَعُوا لله محرماً إلا استحلوه.
(6) في (ب): رعيتهم، و في شرح النهج: رعتهم.
(7) يبكيان، زيادة من النهج.

(608/2)

(وباكٍ يبكي لدنياه): من أجل فوات دنياه بالظلم والجور، وأخذ الأموال على غير وجهها.
(وحتى تكون نصرة أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيده): أراد أنهم يحتكمون عليكم احتكام السادة على العبيد، وتكون نصرتكم منهم مثل نصرة العبيد.
(إذا شهد أطاعه، وإذا غاب اغتابه): أراد أن(1) العبد حالته هذه، فهكذا تكونون إذا حضروا خدمتموهم بالجد منكم، والجهد خوفاً منهم، وإذاغابوا عن أعينكم كان غايتكم الغيبة لهم، وذكر مساوئهم سراً.
(وحتى يكون أعظمكم فيها غناءً): الغناء: النفع، والضمير للفتنة.
(أحسنكم بالله ظناً): أراد أن أعظم الناس دفعاً للفتنة وأكثرهم اجتهاداً في إزالتها، لا يكون من جهته إلا الدعاء إلى الله تعالى بإزالتها ودفعها عن الخلق لا غير(2)، وهو غاية جهده.
(فإن أتاكم الله بعافية فاقبلوا): منه نعمته بتسهيل من يقتلع جرثومتهم ويزيل نعمتهم بالقتل وقطع الدابر.

(وإن ابتليتم فاصبروا): على هذه البلوى، فإن فيها عظيم الأجر لمن صبر.
(ف{إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ})[هود:49]: أراد أنه لاعقبى أحسن من تقوى الله تعالى، فإن عقباها الصيرورة إلى رضوان الله والجنة، وهذه الآية في آخر كلامه من كتاب الله يلوح على وجهها أثر الإعجاز، فصارت في أثنائه كالعلامة في الثوب والطراز.
وذكر بني أمية عقيب ذكر أحوال الصحابة رضي الله عنهم من باب الاستطراد، إذ(3) لا ملاءمة بينهما، وهو من علم البديع في المكان الرفيع.

(94) ومن خطبة له عليه السلام

(نحمده على ما كان): من النعم السابقة(4) والبلايا المتقدمة.

---

(1) قوله: إن زيادة في (ب).
(2) قوله: لاغير، سقط من (ب).
(3) قوله: إذ، سقط من (أ).
(4) في (ب): السالفة.

(609/2)

(ونستعينه من أمرنا على ما يكون): أراد أنا نطلب منه التوفيقات والألطاف الخفية، على ما نستقبله من الإتيان بهذه الطاعات(1) والكف عن المحرمات.
(ونسأله المعافاة في الأديان): عما يشوبها من ارتكاب البدع، وإحباط الأعمال بالمعاصي.
(كما نسأله المعافاة في الأبدان): من العلل والأمراض، وإنما شبهه بذلك لأن فزع الإنسان بالجؤار إلى الله تعالى برفع الألم أعظم من فزعه إلى ذلك، وما ذاك إلا لشدة وقعه(2) وعظم(3) تأثيره في النفوس، فكم ترى من شخص يفزع إلى الله تعالى في عافية جسمه كل ساعة وحين، ولا يخطر له على بال فزعه إلى الله في غفران ذنوبه.
(أوصيكم بالرفض لهذه الدنيا): تركها والإعراض عنها.
(التاركة لكم): بزوالها ونفادها.
(وإن لم تحبوا تركها): شغفاً بها وركوناً إليها واستناداً إليها.
(والمبلية لأجسامكم): بالهرم والشيخوخة والترب(4).
(وإن كنتم تحبون تجديدها): بقاءها لكم واستمرارها عليكم.
(فإنما مثلها ومثلكم): في محبتكم لها وانقطاعها عنكم.

(كسَفْر سلكوا سبيلاً): طريقاً من الطرق، وإنما نكره(5) لما فيه من الفخامة.

(وكأنهم قد قطعوه): بالسير إليه.

(وأمّوا(6) علماً): علم الطريق: شيء يوضع يكون هداية إليها.

---

(1) في (أ): من هذه الطاعات، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(2) في (أ): دفعه.

(3) في (ب): وعظيم.

(4) في (ب): والموت.

(5) في (أ): ذكره، والصواب: نكره كما أثبته من (ب).

(6) في (ب): وأتوا.

(610/2)

(وكأنهم قد بلغوه): لأن غاية السير هو بلوغ الغاية لامحالة، وفي(1) كلامه هذا تشبيه شيئين بشيئين، فشبه حالنا(2) مع الدنيا كحال السفر مع الطريق، وهذا كقوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ...}[الجمعة:5]إلى آخر الآية فشبه حال اليهود مع حمل التوراة وإهمالهم العمل بها بحال الحمار يحمل كتباً، ومنه قول امرئ القيس:

كأنَّ قلوبَ الطير رطباً ويابساً .... لَدى وَكْرِها(3) العُنَّابُ والحَشَفُ(4) البالي

فشبه الرطب واليابس من أفئدة الطيور وأكبادها وهما أمران، بالعناب(5) والحشف من التمر وهما أمران.

(وكم عسى المجري إلى الغاية أن يجري إليها حتى يبلغها(6)!): كم هذه الخبرية ومميزها محذوف، أي كم مرة وكم يوم، والْمُجري بضم الميم وفتحها هو: المصدر، وأن خبر عسى، وأرادكم من طالب لغاية يسعى إليها فهو يدركها لابد من ذلك.

(وما عسى أن يكون بقاء من له يوم لايعدوه): أي وكل من كان له أجل مقدور(7) محدود في علم الله تعالى وحكمه فإنه لا يبقى بعده أبداً.

(وطالب(8) حثيث يحدوه في الدنيا حتى يفارقها): ومن له طالب حثيث يسوقه في الدنيا وهو الموت؛ فإنه يفارقها بلا شك ولا مرية.

---

(1) في (ب): وكلامه.

(2) في (أ): فشبه حالة مع الدنيا، وما أثبته من (ب).

(3) في (ب): ذكرها.
(4) العُنَّاب: كرمان ثمر معروف، والحَشَفُ بالتحريك: أردأ التمر، أو الضعيف الذي لا نوى له، أو اليابس الفاسد. (انظر القاموس المحيط).
(5) في (ب): العناب.
(6) حتى يبلغها، زيادة من النهج.
(7) في (ب): مقدر.
(8) اللفظ من هنا في النهج: (وطالب حثيث من الموت يحدوه، ومزعج في الدنيا عن الدنيا حتى يفارقها رغماً).

(611/2)

(فلا تنافسوا في عز الدنيا وفخرها): فلا ترغبوا في العز فيها بالتمكن من الأموال والفخر فيها بالأحساب وعلو المراتب.
(ولا تعجبوا بنعيمها وزينتها): ولا يأخذكم العجب بما يظهر من زينتها بالأموال والأولاد، وبما(1) يحصل من نعيمها باللذات وأكل الطيبات.
(ولا تجزعوا من ضرّائها وبؤسها): ولا يقل صبركم ويعزب(2) عمَّا يعتريكم من فقرها وحاجتها.
(فإن عزها وفخرها إلى انقطاع): بالتغير والزوال.
(وزينتها ونعيمها إلى زوال): بطلان وامحاق.
(وضراءها وبؤسها إلى نفاد): فناء وتغير.
(وكل مدة فيها إلى انتهاء): بالموت وإن طالت وكثرت.
(وكل حي فيها إلى فناء): إما إلى موت وتفرق، كما يقوله من لا يرى بالإعدام من حُذَّاق المتكلمين، وهو المختار عندنا وقد لخصناه في الكتب العقلية، وإما إلى إعدام(3)، كما يقوله أكثر المعتزلة.
(أوليس لكم في آثار الأولين): من الأمم الماضية والقرون الخالية.
(وفي آبائكم الماضين منكم(4)): الذين شاهدتم أحوالهم وعاشرتموهم أزماناً(5).
(تبصرة): عن عمى الغفلة.
(ومعتبر): واعتبار زاجر عن اللهو.
(إن كنتم تعقلون !): تعقلون(6) أفعال العقلاء في أنهم إذا وعظوا انزجروا، وإذا خُوِّفُوا حَذِرُوا.
(أولم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون): من مضى منكم موتاً فإنه لا يرجع إلى الحياة أبداً.

---

(1) في (أ): وإنما، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(2) في (ب): ويعون.

(3) في (أ): عدم، وما أثبته من نسخة أخرى ومن (ب).

(4) العبارة في النهج: وفي آبائكم الأولين، وقوله هنا: منكم، سقط منه.

(5) في (أ): أرباباً، وفي (ب) وفي نسخة أخرى كما أثبته.

(6) في (ب) ونسخة أخرى: تفعلون.

(612/2)

(وإلى الخلف الباقي(1) لايبقون!): يخرمهم الموت في كل حين.

(أو لستم ترون أهل الدنيا يمسون ويصبحون على أحوال شتى): فكفى لكم عبرةِ في تغير ما أنتم فيه ، وإبطال ما أنتم عليه.

(فميت يُبْكى): يبكيه أهله(2) وأولاده لا نقطاعه عن الدنيا.

(وآخر يعزّى): أي ومن كان حياً فإنه يعزّى له فيمن مات من أقاربه.

(وصريع مبتلى): ومصروع قد ابتلي بالألم والوجع.

(وعائد يعود): ورجل يزور إخوانه من الأمراض.

(وآخر بِنَفْسِهِ يجود): أي(3) يسمح بنفسه للموت لما يلاقي من جرضه وشدة غصصه.

(وطالب للدنيا): جاهد في تحصيلها.

(والموت يطلبه): لأخذ روحه.

(وغافل): عن أمور الآخرة مشغول بالدنيا.

(وليس بمغفول عنه): بل تشاهد أعماله وأفعاله ويحا فظ عليها {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ}[الإنفطار:10]، {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}[ق:18].

(وعلى أثر الماضي مايمضي الباقي!): أي وعلى هذه الأحوال والسلوك على هذا المنوال يكون حال من بقي من غير مخالفة، وماهاهنا زايدة، مثلها في قوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ}[آل عمران:159].

(ألا فاذكروا هادم(4) اللذات): ألاهاهنا للتنبيه، وهدم الجدار إذا أسقطه.

(ومُنَغِّص الشهوات): نغَّصه إذا أذهب كمال لذته.

(وقاطع الأمنيات): واحدها أمنية، وهو مايتمناه الواحد منَّا في عمره، وهو الموت، فإنه فاعل لهذه الأشياء عند هجومه.

(عند المساورة للأعمال القبيحة): المساورة هي: المواثبة، فإنَّه(5) يفتُّ في الأعضاد ويوهي القوى عن فعلها.

(1) في النهج: الباقين.

(2) في (ب): يبكي عليه أهله.

(3) قوله: أي، زيادة في (ب).

(4) في شرح النهج: هاذم.

(5) قوله: فإنه سقط من (أ).

(613/2)

(واستعينوا بالله(1)):واطلبوا منه الإعانة بالألطاف.

(على أداء واجب حقه): ما أوجب عليكم من حقوقه.

(وما لا يحصى من أعداد نعمه وإحسانه): وعلى أداء شكر مالايحصى مما أقرَّ من النعم، وأرخى(2) من الآلآء والمنن.

(95) ومن خطبة له عليه السلام

(الحمد لله النا شر في الخلق فضله): نشر الثوب إذا مدَّه.

(الباسط(3) فيهم بالجود يده): بسط الثوب إذا فرشه، وأراد هاهنا أن فضل الله تعالى وجوده على الخلق منشور عليهم من فوقهم، ومبسوط من تحتهم، فهما شاملان لهم في(4) كلِّ أحوالهم وتصرفهم .

(نحمده في جميع أموره): سرائه وضرائه وشدته ورخائه.

(ونستعينه على رعاية حقوقه): من أداء واجب أو كفٍّ عن محرَّم فنطلب الإعانة منه باللطف على ذلك.

(ونشهد أن لا إله غيره): أي أنَّ أحداً لا يستحق الإلهية وهي استحقاق العبادة سواه.

(وأن محمداً عبده): أهل لأن يكون عبداً له.

(ورسوله): ومستحق للرسالة من جهته.

(أرسله بأمره صادعاً): أي مظهراً(5)، من قولهم: صدع بكذا إذا أظهره.

(وبذكره قاطعاً(6)): إما قاطعاً على أن ذكره حقٌّ لا شكَّ فيه، وإما قاطعاً بذكره غير معرِّج على سواه، فالقطع مستعمل فيهما جميعاً، يقال: قطعت بكذا إذا تحققته، وانقطعت في حاجتي إذا كنت مشغولاً بها(7) غير معرِّج على غيرها.

(فأدَّى): ما أرسل به من الشرائع والأحكام.

(أميناً): عليه، من غير زيادة فيه ولا تحريف ولا تبديل.

(ومضى): انقضى عمره.

---

(1) في النهج: الله.

(2) أي أوسع.

(3) في النهج: والباسط.

(4) في (أ): في جميع كل أحوالهم.

(5) في (أ): أي مظهر.

(6) في النهج: ناطقاً.

(7) في (أ): وانقطعت عن حاجتي إذ كنت مشغولاً عنها، وما أصلحته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(614/2)

(رشيداً): إما مرشداً لغيره هادياً له، وإما راشداً في أفعاله.

(وخلَّف فينا راية الحق): أراد القرآن.

(من تقدَّمها): خارج عنها غير معرِّج عليها.

(مرق): خرج، ومنه مرق السهم من الرمية(1) إذا خرج من بطنها.

(ومن تخلَّف عنها): نكص عن اتباع أحكامها.

(زهق): إما اضمحل من قولهم: زهق الباطل إذا اضمحل، وإما جاوز الحد، من قولهم: زهق السهم إذا جاوز الهدف.

(ومن لزمها): لازمهاولم ينفك عنها.

(لحق): بالنجاة وكان متقدماً فيها.

(دليلها): أراد به الرسول عليه السلام فإنه الدالُّ على كون القرآن من جهة الله تعالى، ولا دليل لنا علىذلك سوى كلامه وخبره، ولولا ذلك لكنّا نجوِّز أنّ القرآن من جهته عليه السلام؛ لأنه كلام، والكلام مقدور للبشر.

(مكيث الكلام): كثير الأناة في الكلام والتؤدة، لا ينطق إلا بالحكمة، قليل البطش(2) والانزعاج.

(بطيء القيام): أراد أنه إذا قعد لتعليم معالم الدين لم يقم على العجلة والفشل من غير إتمام لما هو فيه من التعليم للخلق وإرشادهم.

(سريع إذا قام): أراد أنه إذا قام فهو نشيط في قيامه خفيف في حركته ليس متثاقلاً بعد فراغه مما هو فيه.

(فإذا أنتم ألنتم له رقابكم): أراد ها هنا بلين الرقاب إسراعهم إلى أمره وامتثالهم لما يقوله، كما كان ليّ الرؤوس عبارة عن التكبر والمخالفة، كما قال تعالى: {لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ}[المنافقون:5] وهو مجاز رشيق واستعارة بديعة.

(وأشرتم إليه بأصابعكم): من بين سائر الخلائق وقلتم هذا هو.

(جاءه الموت فذهب به): لما استكمل عمره وبلَّغ ما أرسل به.

(فلبثتم بعده ما شاء الله): من الأوقات والأزمنة.

---

(1) قوله: من الرمية، سقط من (ب).

(2) في نسخة أخرى: الطيش.

(حتى يطلع عليكم(1)): يشرف عليكم، من اطلع على القوم إذا أشرف عليهم.

(من يجمعكم): بعد التفرّق.

(ويضم شملكم): بعد التشتت، وفي نسخة أخرى: (يَضُمُّ نَشْرَكُم): أي ما انتشر من أمركم، ويحتمل أن يريد بهذا الكلام نفسه؛ لأن هذا هو حاله بعد وفاة الرسول عليه السلام في ضمِّ النشر(2)، وجمع المتفرّق، ويحتمل أن يريد بعض أولاده، وأن هذا سيكون بعده، فيطابق ما روي عن الرسول عليه السلام: ((أنه سيظهر من أولاده من يملاء العالم عدلاً، ويقهر الظالمين، ويهلك القاسطين))(3).

(فلا تطمعوا في غير مقبل): أي لا تطلبوا الخير إلا ممن كان مقبلاً من أولادي على اتباع الحق، عالماً مقيماً للطاعة، متمسكاً بحبل الديانة.

(ولا تيأسوا من مدبر): فمن زلَّ منهم عن سنن الهدى وارتكب المعاصي فإنه سيدَّاركه(4) الله بالتوبة والإنابة(5).

(فإن المدبر عسى أن تزل إحدى قائمتيه): رجْليه لأنه يقوم عليهما.

(وتثبت الأخرى): على الطريقة المرضية.

---

(1) في شرح النهج: حتى يطلع الله لكم.

(2) في (أ): البشر، وهو تصحيف.

(3) رواه باللفظ المذكور هنا الشريف علي بن ناصر الحسيني في أعلام نهج البلاغة -خ- ص29 إلا قوله هنا: ((ويهلك القاسطين)) في أعلام النهج: ((ويهلك الفاسقين)).

(4) في (ب): سيتداركه.
(5) في (أ): والإثابة.

(616/2)

(فترجعا حتى تثبتا جميعا): وفي هذا دلالة على حسن الرعاية لهم من الله واللطف لهم(1) من جهته، وفي الحديث عن الرسولعليه السلام: ((سألت الله لكم يا بني عبد المطلب جوداً ومجداً، سألت الله يا بني عبد المطلب أن يُثَبِّت قائمكم، ويَرْشُد ضالكم)) (2).
(ألا إن مثل آل محمد [صلى الله عليه وآله](3) كمثل نجوم السماء): إنما مثَّلهم بالنجوم لأمور ثلاثة:
أما أولاً: فلأنَّه يهتدى بهم في أحكام الدين كما يهتدى بالنجوم في البحار والقبلة.

---

(1) في (ب): بهم.
(2) له شاهد أخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين 161/3 بسنده يبلغ به إلى ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((يا بني عبد المطلب، إني سألت الله لكم ثلاثا: أن يثبت قائمكم، وأن يهدي ضالكم، وأن يعلِّم جاهلكم، وسألت الله أن يجعلكم جوداء نجداء رحماء، فلو أن رجلاً صفن بين الركن والمقام فصلى وصام، ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار))، قال الحاكم: هذا حديث حسن صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. وكما في المستدرك أخرجه الطبراني في المعجم الكبير 176/11 مع اختلاف يسير في لفظه، وابن أبي عاصم في السنة 642/2، وقوله: ((نجداء)) في السنة لابن أبي عاصم: ((مجداء)).
(3) زيادة في النهج.

(617/2)

وأما ثانياً: فلأنَّهم أمان لأهل الأرض كما أنَّ النجوم أمان لأهل السماء، كما جاء في حديث عن الرسول عليه السلام(1)

---

(1) للحديث روايات عدّة وطرق كثيرة فهو بلفظ: ((النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهبت النجوم من السماء أتى أهل السماء ما يوعدون، وإذا ذهب أهل بيتي من الأرض

أتى أهل الأرض ما يوعدون))، أخرجه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام في الأحكام 14/1، وفي كتاب معرفة الله عزوجل من مجموع رسائله ص63، وبلفظ: ((أهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، فويل لمن خذلهم وعاندهم)) أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 152/1-153 بسنده عن عليعليه السلام، وقال الإمام القاسم بن محمد في الاعتصام 157/1 مالفظه: وفي الجزء الثاني من كتاب جواهر العقدين عن أياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي)). وأخرجه مسدد، وابن أبي شيبة، وأبو يعلى في مسانيدهم، والطبراني، قال: وعن أنس قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: ((النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا هلك أهل بيتي جاء أهل الأرض ما كانوا يوعدون)) إلى آخره، قال: أخرجه ابن المظفر من حديث عبد الله بن إبراهيم الغفاري، قال: وعن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض)) قال: أخرجه أحمد في المناقب، وذكره في ذخائر العقبى بلفظه، قال: وعن قتادة، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس)) قال: أخرجه الحاكم، وقال الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. انتهما نقلته من الاعتصام._ ... _قلت: وأخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي في المناقب 143/2 رقم (623) بسنده عن أياس بن سلمة الأكوع بلفظ الأحكام للإمام الهادي (وانظر تخريجه الموسع في المناقب)، وله في المناقب أيضاً شواهد آخر (انظر الفهرس)، وللحديث باختلاف رواياته وطرقه وأسانيده مصادر كثيرة، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي 99/10.

(618/2)

.

وأما ثالثاً: فلأنَّ الله تعالى شرَّفهم ورفع مراتبهم كما شرَّف النجوم ورفع مكانها فلهذا شبههم بالنجوم.

(إذا خوى نجم طلع نجم): خوى أي سقط، وهذا التشبيه الذي ذكره تشبيه مركب، وأراد أن مثل آل محمد في الأرض كمثل النجوم في السماء، ونظيره قول ذي الرمة:

وكأنَّ أجْرامَ السَّماءِ تواقعاً(1) .... دُرَرٌ نُثِرْنَ(2) على بِسَاطٍ أَزْرَقِ

وهو من محاسن التشبيه وغرائبه.

(فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع، وأراكم ما كنتم تأملون): من اطلاع من ذكره من أهل

البيت، ممن يجمع الله به الشمل، ويضمّ به الشَّعَثَ، ويصنع الله به الأمر كله.

(96) ومن خطبة له عليه السلام مشتملة على ذكر الملاحم

(الحمد لله الأول قبل كل أول): الذي ثبتت(3) له حقيقة الأولية فلا تعقل أولية قبله.

(والآخربعد كل آخر): وهو الآخر الذي تثبت(4) له معقول الآخرية فلا تعقل آخرية بعده.

(بأوليته وجب أن لا أول له): أراد من أجل أن أوليته بلا نهاية ولا بداية لها ولا غاية وجب بحكم العقل أن لايكون له أول يشارإليه.

(وبآخريته وجب أن لا آخر له): ومن أجل أن آخريته بلا غاية وجب ببرهان العقل أن لا يكون له آخر يشار إليه، وكيف يمكن تحديد أوليته وآخريته، وقد دل البرهان العقلي على فقد التناهي فيهما.

(وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة): انتصابه على المصدرية المؤكدة.

(يوافق فيها السرُّ الإعلان): السرُّ: ما يُسَرُّ في النفوس، وتشتمل عليه جوانح(5) الأفئدة، والإعلان: ما يظهر على الجوارح من الأعمال المطابقة لذلك.

---

(1) في (ب): توافقاً، وفي نسخة أخرى: لوامعاً.

(2) في (ب): نثرت.

(3) في (ب): ثبت.

(4) في (ب): ثبتت.

(5) في (ب): جوارح.

(619/2)

(والقلب اللسان): أي ويطابق اعتقاد القلوب من التوحيد وانشراح الصدوربه ما يظهر على الألسنة من الإقرار منه.

(أيها الناس): خطاب عام.

(لا يجرمنَّكم): يكسبنكم، وهو يتعدى إلى مفعولين في قوله تعالى: {وَيَاقَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ}[هود:89] وقد حذف ها هنا أحد مفعوليه، وتقديره لا يجرمنَّكم شقاقي أن تخالفوني.

(شقاقي): مشاقتكم إياي، وأصله من الشقِّ وهو: الانفصال؛ لأن المشاقَّة نقيض الملاءمة.

(ولا يستهوينَّكم عصياني): استهواه الشيطان إذا استهامه، والهيام: ضرب من الجنون، والمعاصاة هي: المخالفة.

(ولا تتراموا بالأبصار): رمى ببصره إذا حدق إليه، حيرة في أمركم وفشلاً وجزعاً.

(عندما تسمعونه مني): وقت سماعكم لكلامي ومواعظي وما آمركم به من صلاحكم.
(فوالذي فلق الحبة): إما خلقها، وإما شقَّها بنصفين، كقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى}[الأنعام:95].
(وبرأ النَّسمة): وخلق الإنسان، وهذان الأمران لايقد رعليهما إلا الله، فلهذا كان القسم بهما؛ لأن القسم إنما يكون بالذات أو بالصفات الذاتية أو بصفات الأفعال كالخالق.
(إن الذي أنبأتكم به): أخبرتكم به وأبلغتكم إياه.
(عن النبي صلى الله عليه وآله): أخذته عن الرسول، وأقرَّه في قلبي من جميع ما أمرتكم به ونهيتكم عنه.
(ما كذب المبلِّغ): في كل ما(1) نقله وأبلغه.
(ولا جهل السامع): فيحرِّف ويبدِّل، وأراد نفسه في ذلك كله، أي أنه بريء من الكذب والجهل فيما رواه وحكاه عن صاحب الشريعة، أو أخبر به عن العلوم الغيبية.

---

(1) قوله: ما، سقط من (أ).

(620/2)

(لكأني أنظر إلى ضليِّل قد نعق بالشام): الضلِّيل مبالغة وهو: كثير الضلالة كالشريب والضحيك لمن يكثر ذلك منه، والنعيق: تصويت للبهائم.
(وفحص براياته في ضواحي كوفان): فحص برجله التراب أي أثاره، وفي الحديث: ((من بنى مسجداً ولو مثل مفحص قطاة(1) بنى الله له قصراً في الجنة))(2)، وضواحي البلد: ظواهره، وأراد أنه نصب راياته ومكَّنها في الأرض.
(فإذا فغرت فاغرته): فغر فاه إذا فتحه، وأراد ملأت فتنته الأرض
(واشتدت شكيمته): الشكيمة في اللجام هي: الحلقة التي فيها فأسه، وأراد استفحل أمره وعظم .
(وثقلت في الأرض وطأته): لتمكنه في الأرض واستطالته فيها .
(عضت الفتنة أبناءها بأنيابها): كنا ية عن شدة الأ مر وتفا قمه، ولهذا يرى الإنسان لايفعله إلا عند شدة الغضب وقوته، ويقال: فلان يعضض شفتيه إذا غضب .
(وماجت الحرب بأمواجها): أي اضطربت من أجل الأ مواج وهي الفتن التي فيها.
(وبدا من الأيام كُلُوحُها): الكُلُوح: تكشير(3) في الشفة مع عبوس.

---

(1) المفحص: حفرة تحفرها القطاة أو الدجاجة في الأرض لتبيض وترقد فيها، والقطاة: واحدة القطا

وهو نوع من اليمام يؤثر الحياة في الصحراء، ويتخذ أفحوصه في الأرض. (انظر المعجم الوسيط 748/2،675).

(2) أخرجه الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني في الأمالي ص 355 عن أنس بن مالك بلفظ: ((من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة))، وعنه رواه الإمام القاسم بن محمد في الاعتصام 117/2، وللحديث مصادر كثيرة بروايات فيها بعض الاختلاف، انظرها في موسوعة أطراف الحديث النبوي 171/8-174.

(3) في (ب): تكشر.

(621/2)

(ومن الليالي كُدُوحها): الكُدوحُ: آثار في(1) الوجه وهو أكثر من الخدش، وفي الحديث: ((المسألة كدوح وخدوش في وجه صاحبها)) وأراد وظهر من الأ يام والليالي مكروهاتها وفجائعها من ذلك.

(فإذا ينع(2) زرعه): استحكم وبلغ الحصاد.

(وقام على ينعه(3)): واستقام ساقه على نضاجه.

(وهدرت شقاشقه): الشقشقة قد فسرناها، وأراد عظم خطبه وغضبه؛ لأن الجمل لا يخرج شقشقته إلا عند هيجه وشدة أمره.

(وبرقت بوارقه): لاحت مخايل الضلال والفتنة فيه.

(عقدت رايات الفتن المعضلة): أعضل الأمر إذا اشتدَّ وتقوَّى.

(وأقبلن كالليل المظلم): الذي لايهتدى فيه لإبصار شيء.

---

(1) في (أ): أثافي، وفي (ب): كما أثبته، وهو الصحيح.

(2) في (ب): نبع، وفي شرح النهج: أينع.

(3) في (ب): نبعه.

(622/2)

(والبحر الملتطم): بالأمواج من جانب إلى جانب. وعندي أنه أراد بذلك ما يكون في آخر الزمان من فتنة الدجال التي كان الرسولعليه السلام تعوذ(1) منها في دعائه بقوله: ((وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، ومن غلبة الدين وقهرالرجال))(2) ويدل عليه آخر

كلامه.

(هذا): وهي كلمة فصيحة تستعمل بين جملتين يشار بها إلى جملة متقدمة من أجل تحقيقها، كقوله تعالى: {هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ}[ص:49]، وقوله: {هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ}[ص:55] ومعناها هذا على ما قررته.

(وكم يخرق الكوفة من قاصف): وهي: الريح الشديدة؛ لأنها تقصف الأشجار أي تكسرها، ولهذا قال فيها: يخرق الكوفة.

(ويمر عليها من عاصف!): وهي الريح التي تعصف الأشجار أي تميلها من جانب إلى جانب.

---

(1) في (ب): يتعوذ.

(2) لم أجده بلفظه مجموعاً، ووجدته مفرقاً من حديثين أخرجهما أبو داود في سننه 90/2 مع اختلاف يسير في بعض لفظه، الأول برقم (1541) عن أنس بن مالك قال: كنت أخدم النبيصلى الله عليه وآله وسلم فكنت أسمعه كثيراً يقول: ((اللهم، إني أعوذبك من الهمِّ والحزن، وضلع الدين، وغلبة الرجال))، والثاني برقم (1542) عن عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلمهم هذا الدعاء، كما يعلمهم السورة من القرآن، يقول: ((اللهم، إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات)) والحديث بلفظه تجده مفرقاً في عدة أحاديث انظرها ومصادرها في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف2/218-219.

(623/2)

(وعن قليل تلتف القرون بالقرون(1)): يجمع الله الأولين من الخلق والآخرين، أراد على إثرذلك.

(ويُحْصَدُ القائم): من الزرع، استعارة(2) لموت من كان باقياً من الخلق.

(ويحطم المحصود!): يدقُّ ما حصد من الزرع، وأراد ويفنى من كان ميتاً ويتفتت بالتراب(3).

(وذلك يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين): من سلف من أول الخلق(4) إلى آخرهم.

(لنقاش الحساب): التحفظ فيه والاستقصاء، ومنه الحديث: ((من نُوْقِشَ الْحسابُ عُذِّب))(5).

(وجزاء الأعمال): من خيرها وشرها.

(قياماً خضوعاً): حالان من قوله: الأولين والآخرين، والخضوع هو: الذلة، وإنما كانوا قياماً؛ لأن القعود موضع استراحة.

(قد ألجمهم العرق): بلغ إلى أفواههم فصار ملجماً لهم عن التكلم.

(ورجفت بهم الأرض): أي تحركت تحركاً شديداً هائلاً، كما قال الله تعالى: {يَوْمَ تَرْجُفُ

الرَّاجِفَةُ}[النازعات:6].

(فأحسنهم حالاً): فأسهلهم وأخفهم.

(من وجد لقدمه موضعاً): يضعه فيه من شدة الازدحام.

(ولنفسه متسعاً): ينفذ فيه(6) من شدة الكظم.

(فتن كقطع الليل المظلم): إنما مثلت الفتن بقطع الليل المظلم لخلوها عن نور الهداية والأدلة الواضحة لما يلحق القلوب فيها من الغم كما يلحقها بسبب الظلمة.

---

(1) قوله: بالقرون سقط من (ب).

(2) في (ب): واستعاره.

(3) في (أ): التراب.

(4) في (ب): من أول الوقت.

(5) الحديث في نهاية ابن الأثير 106/5، وهو في موسوعة أطراف الحديث النبوي 885/8 وعزاه إلى مصادر كثيرة منها: مسلم في الجنة 79،80، وسنن الترمذي برقم (3337) ومسند أحمد بن حنبل 127/6،91 وغيرها._ ... _قلت: وأخرجه البخاري في صحيحه 2394/5، والحاكم في المستدرك 125/1، وأبو داود في سننه 184/3.

(6) في (ب): عنه.

(624/2)

(لا تقوم لها قائمة): أي حجة واضحة.

(ولا تُرَدُّ لها راية): لعظمها، فلا يقدر أحد على دفعها لقوة أمرها.

(تأتيكم مزمومة مرحولة): ترد عليكم مستعدة أمورها، آخذة أهبتها، محزومة(1) بزمامها، مجعولاًعليها رحالها لتمهيد الركوب عليها.

(يحفزها قائدها): يعجلها من يقودها.

(ويجهدها راكبها): ويتعبها بالاحتثاث من هو راكبها من الجهد وهو التعب، وأراد من هذا كله الإشارة إلى شدة هذه الفتنة وعظم حالها بما ذكر.

(أهلها قوم شديد كلبهم): االكَلَب بالفتح هو: التكالب على الخلق والتسلط عليهم بالشدائد.

(قليل سَلَبُهُمْ): يعني أنه لا يوجد فيهم وفر(2) ولا هم أهله.

(يجاهدهم(3) في الله): أي في سبيله وابتغاء وجهه.

(قوم أذلة عند المتكبرين): أراد أنهم يخالهم(4) المتكبرون أذلة بالإضافة إليهم.

(في الأرض مجهولون): لتواضعهم وخمولهم.

(وفي السماء معروفون): لعلوهم وشرفهم عند الله تعالى، وأظن أن مراده بما ذكر هو المهدي وأصحابه فإنه هو الذي يقتل الدجال هو وأصحابه، وصفتهم عند الله كما(5) ذكر.

(فويل لك يا بصرة(6)): الويل: كلمة دعاء، وقد قدمنا ذكر حكمه في الإعراب.

(من جيش من نقم الله!): من عقوباته.

(لا رهج فيه): الرهج: الغبار.

(ولا حس له): الحس: الصوت الخفي.

---

(1) في (ب): مجذوبة.

(2) الوفر: المال الكثير.

(3) في (أ): يجاهدون، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى ومن شرح النهج.

(4) في (ب): يخالفونهم.

(5) في (ب): بما.

(6) في شرح النهج: فويل لك يا بصرة عند ذلك.

(625/2)

(وسيبتلأهلك بالموت الأحمر): إنما يوصف بالحمرة لشدته، ومنه الحديث: ((كنَّا إذا أحمر البأس اتقينا برسول الله))(1) معناه اشتد الأمر.

(والجوع الأغبر!): الشديد الوقع، وقولهم: اغبرت السماء إذا اشتد وقعها.

(97) ومن خطبة له عليه السلام

(انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها): بالرفض لها واطراحها.

(الصادفين عنها): المعرضين عن لذاتها ونعيمها الزائل.

(فإنها والله عما قليل تزيل الثاوي): ثوى بالمكان إذا أقام فيه، فمن طبعها إزالة المقيم.

(الساكن): المستقرُّ فيها، المطمئنُّ إليها.

سؤال؛ كيف أجاب القسم بالفعل المضارع وهويزيل، وحذف منه اللام ونون التأكيد، وهو غير جائز؟

وجوابه؛ أن الجواب ها هنا ليس بالفعل المضارع، وإنما هو بإن المصدرة في أول الكلام، وجعل القسم حشواً كأنه قال: والله إنها تزيل.

(وتفجع المترف الآمن): فجعه الأمر إذا أوجعه، والمترف: الذي أطغته النعمة، والآمن نقيض(2)

الخوف(3) والإشفاق.

(ولا يرجع(4) ما تولى منها فأدبر(5)): ما انقضى فيها من خير وشر فيستحيل ردُّه وإعادته.

---

(1) الحديث هو لأمير المؤمنين علي عليه السلام رواه المؤلف في كتابه تصفية القلوب ص 466 بلفظ: ((كنَّا إذا احمرَّ البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه)). وهو في نهاية ابن الأثير 89/1 للإمام علي أيضاً، ومطمح الآمال ص 45، وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى 23/2، والطبري في تأريخ الأمم والملوك 23/2.

(2) في (أ): نقيضي، والصواب كما أثبته من (ب).

(3) كتب فوقها في (ب): الخائف.

(4) في (ب) وشرح النهج: لا يرجع، بدون واو.

(5) قوله: فأدبر، سقط من (أ).

(626/2)

(ولا يُدْرَى ما هو آت منها فينتظر): أي أن(1) الأمور المستقبلة مطوي عنَّا علمها، ولا(2) ندري أهي خير فننتظر(3) أو هي شر فنستعيذ منها.

(سرورها مشوب بالحزن): فلا مسرة(4) من مسراتها إلا ويتبعها(5) مضرة وألم، كما قال عليه السلام: ((ما من فرحة إلا وتتبعها ترحة))(6).

(وجلد الرجال فيها إلى الضعف والوهن): وقوة من كان فيها من أهل الغضارة والشباب آيلة إلى الشيخوخة والهرم.

(فلا يغرَّنكم كثر(7) ما يعجبكم فيها): فلا يزدهيكم العجب بتكاثرها وترادف لذاتها فهي في الحقيقة حقيرة.

(لقلة ما يصحبكم منها): وهوالحنوط والأكفان.

(رحم الله امرأ تفكر): الرحمة من الله هي: الإمداد بالألطاف الخفية، كقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}[الأنبياء:107]، ومنَّا التعطف والرأفة(8) والحنو، تفكر في عاقبة أمره.

(فاعتبر): اتعظ وانزجر(9).

(واعتبر فأبصر): إما من الإبصار وهو رؤية(10) ما يصلحه، وإما من الاستبصار، وهو: تحقق أمر العاقبة.

---

(1) قوله: إن سقط من (ب).

(2) في (ب): فلا.

(3) في (أ): فينتظر.

(4) في (أ): فلا يسره.

(5) في (ب): وتتعقبها.

(6) أخرجه الإمام أبو طالب (ع) في أماليه ص599 من حديث بسنده عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: ((يا علي، ما من دار فيها فرحة إلا تتبعها ترحة)) ثم ذكر تمام الحديث، والحديث بلفظ: ((ما من فرحة إلا وله ترحة)) في موسوعة أطراف الحديث 277/9 وعزاه إلى كشف الخفاء 420/2.

قلت: وأخرجه القضاعي في مسند الشهاب 21/2، وابن المبارك في الزهد 89/1.

(7) في (ب) وشرح النهج: كثرة.

(8) في (ب): والرقة.

(9) في (ب): وازدجر.

(10) في (ب): الرؤية.

(627/2)

(فكأن ما هو كائن من الدنيا): من زخارفها وحطامها وما جُمِعَ فيها.

(لم يكن): بالتغير والزوال والبطلان.

(وما هو كائن من الآخرة): من الجزاء(1) على الأعمال بثوابها وعقابها.

(لم يزل): لدوامه واستمراره.

(وكل معدود منتقض(2)): بالموت والانقطاع.

(وكل متوقع آت): إما من أعمال الدنيا بطي الليل والنهار وتقريبهما له، وإما من أمور الآخرة بانقضائها وزوالها.

(وكل ما هو آت فهو قريب دان): يقرب دنوه وحصوله، من جميع ما ذكرناه من أعمال الدنيا والآخرة.

(العالم): في الحقيقة حتى لا عالم إلا هو.

(من عرف قدره): من أحاط بنفسه علماً ودراية، ومن حقيقة ذاك إحراز ما يصلحها(3) والامتناع عما يفسدها.

(وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره): لأنه إذا جهل نفسه وهي أقرب ما يكون إليه وأقوى ما يكون إحاطة(4) بها فجهله بغيرها أكثر وأعظم غباوة وأوفر.

(إن من أبغض العباد إلى الله تعالى(5)): البغض من الله تعالى إرادة إنزال العقوبة.

(لعبداً وَكَلَهُ الله إلى نفسه): جعل عمدته على نفسه، وسلبه ألطافه وإعانته.

(حائر(6) عن قصد السبيل): فلا يمكنه السلوك لحيرته.

(سائر بغير دليل): فلا يأمن أن يضل عن الطريق لعدم من يدله عليها.

---

(1) في (أ): بالجزاء.

(2) في شرح النهج: منقض.

(3) في (ب): ما يصلحه.

(4) في (أ): إحاطته.

(5) قوله: تعالى سقط من (ب).

(6) كذا في النسختين بالرفع، وكذلك قوله بعده: سائر، وهما خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير هو حائر، وهو سائر، وفي شرح النهج: جائراً بالجيم في أوله ونصبه على الحال، والجائر: هو العادل عن السمت، وكذلك قوله هنا: سائر، في شرح النهج: سائراً بالنصب.

(628/2)

(إن دعي(1) إلى حرث الدنيا): بالتجارات وأنواع التسلطات على جمع(2) الأموال وادّخارها(3).

(عمل): أجاب إلى ذلك وأحبه وواظب على فعله.

(وإن دعي إلى حرث الآخرة): بالأعمال الصالحة وفعل المعروف واصطناعه.

(كسل): عن ذلك وتأخر عنه، فهو في صنعه هذا.

(كأنَّ ما عمل له): من أعمال الدنيا لكثرة اجتهاده في تحصيلها.

(واجب عليه): يستحق الذم إذا تركه.

(وكأن ما ونى فيه): من أعمال الآخرة لتساهله فيه.

(ساقط عنه): لا يستحق الذم بالإخلال به.

(وذلك زمان): إشارة إلى ماذكره من الإعراض عن الآخرة والإقبال على الدنيا.

(لا ينجو فيه): من الأخطار والتبعات.

(إلا كل مؤمن نومة): خامل الذكر.

(إن شهد لم يعرف): مكانه فيكون أهلاً للإنصاف ومستحقاً له.

(وإن غاب لم يفقد(4)): موضعه، فيقال: أين هو؟

(أولئك): الذين وصفنا حالهم.

(مصابيح الهدى): بمنزلة المصابيح لظلام الجهل.
(وأعلام السُّرى): السرى مصدر كا لهدى، وهذان الوزنان يقلان في المصادر؛ لأنهما من أوزان الجموع، ولهذا نوَّنهما بنو أسد كأنهم يتوهمون أنهما جمع هدية وسرية.
(ليسوا بالمساييح): جمع مسياح وهو: الذي يمشي بين الخلق بالفساد والنمائم، واشتقاقه من ساح الماء إذا فشا.
(ولا بالمذاييع): جمع مذياع وهو: الذي إذاسمع لغيره بفاحشة(5) أذاعها ونوَّه بها(6)

---

(1) في (ب) والنهج: دعي، كما أثبته، وفي (أ): يدعى.
(2) في (أ): جميع.
(3) في (أ): وادحاها، وهو غلط، وما أثبته من (ب).
(4) في النهج: لم يفتقد.
(5) في (ب) وفي نسخة خرى: بفاحشة، كما أثبته، وفي (أ): فاحشة.
(6) أقول: ومن جيد ما قيل في هذا المعنى من الشعر، قول صالح بن عبد القدوس:
من يخبِّرك بشتم عن أخٍ .... فهو الشاتم لا من شتمك
ذاك شيء لم يواجهك به .... إنما اللوم على من أعلمك
كيف لم ينصرك إن كان أخاً .... ذا حفاظ عند من قد ظلمك_ ... _ وقول طريح بن إسماعيل الثقفي:
إن يعلموا الخير يخفوه وإن علموا .... شراً أذاعوا وإن لم يعلموا كذبوا_ ... _ (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 113/7).

(629/2)

(البُذُر): بالذال بنقطة من أعلاها جمع بَذُوْرٍ، وهو: الذي يكثر سفهه ويلغو منطقه.
(أولئك): إشارة إلى من(1) ذكره من المؤمنين.
(يفتح الله لهم أبواب رحمته): إما ألطافه الخفية، وإما أبواب جنته جزاء على أعمالهم.
(ويكشف عنهم ضراء نقمته): إما بلاوي الدنيا وشدائدها، وإما عقوبات الآخرة وأهوالها.
(أيها الناس): خطاب عام.
(سيأتي عليكم زمان): يشير(2) إلى خلافة بني أمية وبني العباس.
(يكفأ فيه الإسلام): تقلب فيه أحكامه وتغير [فيه] (3) رسومه.
(كما يكفأ الإناء[بما فيه] (4)): يقلب على رأسه.

(أيها الناس، إن الله قد أعاذكم من أن يجور عليكم): لما دل عليه برهان العقل من أنه لا يفعل ظلماً ولا جوراً، ولقوله تعالى: {وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ}[غافر:31].

(ولم يعذكم من أن يبتليكم): يمتحنكم بضروب الامتحانات وأنواع البلاوي، ليكون ذلك زيادة في الآخرة ورفعاً في الدرجات.

(فقال تعالى(5): {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ}[المؤمنون:30]): ممتحنين لمن(6) خلقنا؛ لأن المحن ألطاف ومصالح وهي جائزة من جهة الله تعالى، والجور ظلم وفساد(7) والله يتعالى عنه.

(98) [ومن خطبة له عليه السلام](8)

(بعث الله محمداً(9)): بالكرامة واصطفاه بالرسالة من بين سائر الخلق.

---

(1) في (أ): ما.

(2) في (ب): يشر.

(3) سقط من (ب).

(4) زيادة في (ب) وشرح النهج.

(5) في النهج: وقد قال جل من قائل ...إلخ.

(6) في (ب): لما.

(7) في (ب): الجور والظلم فساد.

(8) ما بين المعقوفين زيادة في النهج بشرح الشيخ محمد عبده، وفي شرح النهج لابن أبي الحديد.

(9) في النهج: أما بعد؛ فإن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وآله.

(630/2)

(وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً، ولا يدعي نبوة): لانقطاع الأنبياء وبعد عهدهم بالكتب وأخبارالسماء.

(ولا وحياً): لأن الوحي إنما يكون على(1) ألسنة الرسل لاغير، وأراد أن مبعثه عليه السلام كان على حين فترة وانقطاع من الأنبياء فبعثه الله رحمة للخلق.

(فقاتل بمن أطاعه من عصاه): فمن أطاعه واتبعه وكان موافقاً له على أمره استعان به على من خالفه وعصاه بمقاتلته ومحاربته.

(يسوقهم إلى منجاتهم): المنجاة هي: النجاة كالمسعاة للسعي، وهي مصدر.

(ويبادر بهم(2) الساعة أن تنزل بهم): ويعاجل بهم قيام الساعة أن تحصل بهم وهم كفار ضلال

عن الحق، شفقة بهم وتعطفاً ورقة.

(يحسرالحسير): حسرالبعير إذا أعيا وقعد عن السير، وأحسر غيره يحسره(3) إذا قعد له وتأنى بحاله.

(ويقف الكسير): الكسير هو: المكسور، والوقوف هو: الإرواد وترك العجلة.

(فيقيم عليه الحجة حتى يبلغ(4) غايته): وأراد أن من كان في حيرة من أمره والتباس من حاله فإنه يرفق به ويوضح له الأدلة حتى ينقطع عذره، ويكون بعد ذلك إما شاكراً منيباً وإما كافراً خارجاً عن الدين.

(إلا هالكاً لا خير فيه): استثناء موجب من قوله: يسوقهم إلى منجاتهم إلا من أعرض عن ذلك لهلاكه وانقطاع خيره فساقهم على هذه الكيفية.

(حتى أراهم منجاتهم): مسالك النجاة إدراكاً بأعيانهم.

(وبوَّأهم مَحَلَّتَهم): تبوأ بالمكان إذا اتخذه مبآءة ومستقراً، والمحلة: مكان الحلول.

(فاستدارت رحاهم): بعد وقوفها بما أراهم من البصائر.

---

(1) في (ب): عن.

(2) قوله: بهم، زيادة في شرح النهج.

(3) في (أ): يحسر.

(4) في النهج: يلحقه.

(631/2)

(واستقامت قناتهم): عن الاعوجاج، والقناة: الرمح، وأراد بما ذكره تمكنهم(1) من الأدلة وإبلاغ الحجة عليهم في ذلك.

(وايم الله): قسم قد مر تفسيره في غير موضع من(2) كلامه.

(لقد كنت بين(3) ساقتها): ساقة الجيش: مؤخره، وأراد أنه كان مجتهداً في ذلك كلفاً بقوة الإسلام وامتداده وعلوه بسيفه وسنانه وقلمه ولسانه.

(حتى تولت بحذافيرها): جمع حذفار وهو: طرف الشيء وناحيته، يقال: أعطاه الدنيا بحذافيرها أي بأسرها، والضمير للقناة أوالرحى.

(فاستوسقت في قيادها): استوسق الشيء إذا اجتمع وتكاملت أحواله، والقياد: زمام الناقة.

(ما ضعفت): عن الجهاد.

(ولا جبنت): عن منازلة الشجعان ومبارز ة الأقران.

(ولا وهنت(4)): عن القيام بأمر الله والذب عن دينه.

(وايم الله): قسم.

(لأبقرنَّ الباطل): بقره إذا شقه.

(حتى أخرج الحق من خاصرته): الخاصرة: من مقطع(5) الفخذ إلى أسفل الأضلاع.

(99) ومن خطبة له عليه السلام

(بعث محمداً صلى الله عليه وآله شهيداً): على الخلق بإبلاغ الحجة وقطع المعذرة، كما قال تعالى: {وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا}[النساء:41].

(وبشيراً): لأهل الأعمال الصالحة بالثواب والدرجات العالية، كما قال تعالى: {وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (6)}[البقرة:97].

(ونذيراً): منذراً للعقاب، كما قال تعالى: {إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ}[الحجر:89].

(خير البرية طفلاً): أفضلها وأشرفها، وانتصاب طفلاً على التمييز.

(وأنجبها كهلاً): النجابة: هي الكرم.

---

(1) في (ب): تمكينهم.

(2) في (ب): في.

(3) في (ب) وشرح النهج: من.

(4) في شرح النهج: ولا خنت ولا وهنت.

(5) في (أ): منقطع، وما أثبته من(ب) ومن نسخة أخرى.

(6) في (ب): وبشر المؤمنين.

(632/2)

(أطهر(1) المطهرين شيمة): طبيعة وسجية، أي أكرم أهل الطهارة طبيعة وخليقة.

(وأجود المستمطرين دِيمة): الدِّيمة: المطر الدائم، والمستمطرين يصلح أن يكون فاعلاً أي وأجود الماطرين، وأهل الكرم والإعطاء، ويصلح أن يكون مفعولاً أي وأكرم المأمولين المرجوين.

(فما احلولت لكم الدنيا في لذتها): احلولى الشيء مبالغة في حلاوته.

(ولا تمكنتم من رضاع أخلافها): الخلف وجمعه أخلاف: ضروع الناقة.

(إلا بعده): بعد موته وفراقكم له، وفي الحديث: ((متى لا تزال هذه الشدة؟ فقال: ما دمت فيكم))وأراد بذلك ذكر ما شرفه الله تعالى به من إعراضه عنها وعيفته لها لنفادها وانقطاع لذتها كما قال تعالى:

{وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى}[الضحى:4].

(صادفتموها): المصادفة: الملاقاة.

(جائلاً خطامها): جال الخطام إذا كان سلساً غيرمشدود.

(قلقاً وضينها): الوضين للهودج بمنزلة البطان للقتب وهو ما يكون في صدر البعير، وجعل ذلك كناية عن سهولة أخذها، وسموحة تناولهم لها، من غير تعب ولا مقاساة الشدائد، يشير بذلك إلى ما يسر الله لهم من الفتوحات وأنالهم منها بعده عليه السلام.

(قد صار حرامها عند أقوام): لقلة ورعهم وتهالكهم في جمعها وأخذها.

(بمنزلة السدرة المخضودة(2)): السدر: شجر النبق، والمخضود: المأكول بشدة، وخضده إذا أكله بسرعة وشدة في الأكل.

(وحلالها بعيداً غير موجود): لقلته وندوره وتعذر تحصيله.

(وصادفتموها والله ظلاً ممدوداً): نعيماً دائماً، لاكدورة(3) فيه، ممهداً لأهله.

---

(1) في النهج: وأطهر.

(2) في (ب) وشرح النهج: بمنزلة السدر المخضود.

(3) في (أ): لاكدرة.

(633/2)

(إلى أجل معدود): مضبوط محصور، لا يمكن مجاوزته(1) ولا تعديه، وهو ما يكون بالموت والإفناء.

(فالأرض لكم شاغرة): أي خالية عن المعارض، من قولهم: شغر البلد عن الناس إذا خلا عنهم.

(وأيديكم فيها مبسوطة): تتناولون ما شئتم من نفائسها ومنافعها لا تُمْنَعُوْنَ عن ذلك.

(وأيدي القادة عنكم مكفوفة): القادة جمع قائد، كالفسقة في(2) جمع فاسق وهم: الرؤ ساء الذين يملكون الناس برئاستهم عليهم، والكف: المنع.

(وسيوفكم عليها(3) مسلطة): الضمير للقادة، أي أنكم قاهرون لهم لا يستطيعون دفعكم.

(وسيوفهم عنكم مقبوضة): لا تنالكم بسوء، وغرضه من هذا هو أن المقدار مساعد لكم في ذلك فشركم عليهم واقع وشرهم مدفوع عنكم.

(ألا إن لكل دم ثائراً): طالباً يطلب به ويواثب على تحصيله.

(ولكل حق طالباً): ومن كان له حق فإنه لا محالة يطلبه ولا يسهّل في تركه.

(وإن الثائر في دمائنا): الطالب لها والمنتصف من أجلها.

(كالحاكم في حق نفسه): لأن الله تعالى هو المتولي لتحريم سفكها، والموجب للا متناع من ذلك، وهو في الحقيقة حق له يطالب به ويحكم فيه بنفسه.
سؤال؛ أليس المعصية لها جهتان: أحدهما: ما يتعلق بالله تعالى وهو كونها(4) معصية.
وثانيها(5): كونها إساءة وهو أمر يختص العبد، فالقتل ها هنا قد اشتمل(6) على كونه معصية، وهو حق الله تعالى وعلى كونها إساءة إلى المقتول فكيف قال: كالحاكم في حق نفسه وفيه تعلق بالعبد كما ذكرناه؟

---

(1) في (ب): تجاوزه.
(2) قوله: في، زيادة في (ب).
(3) في النهج: عليهم.
(4) في (ب): كونه.
(5) في (ب): وثانيهما كونه.
(6) في (ب): استعمل.

(634/2)

وجوابه؛ هو أن الأمر وإن كان كما قاله السائل، لكنه إنما ذكر الوجه الذي يكون في مقابله العقاب، وهو كون الفعل معصية، فأما كون الفعل إساءة فإنما يستحق في مقابلته(1) الذم، والذم لا أثر له في الصرف عن المعصية، فلهذا قال: كالحاكم في حق نفسه لما كان يؤول إليه كما حققناه.
(وهو الله تعالى): من الوجه الذي لخصناه؛ وهو مبالغة في عدم الناصر، ومن يلحق بالثأر ويواثب عليه.
(الذي لا يعجزه من طلب): يفوته، ويمتنع عن الا نتقام منه.
(ولا يفوته من هرب): بالامتناع منه.
(فأقسم بالله(2) يا بني أمية عما قليل): في المدة القريبة، والأيام القليلة.
(لتعرفنها): الضمير للدولة، والخلافة حاصلة متقررة.
(في أيدي غيركم): وهم بنو العباس، فإنهم أخذوها منهم قهراً، وقتلوهم عليها صبراً، فهي حاصلة لامحالة.
(وفي دار عدوكم): بالا ستيلاء والغلبة، والقهر لكم والطرد عنها، ولقد كان الأمركما قاله عليه السلام، فإن بني أمية أصبحوا كأنهم ما كانوا، وأصبح بنو العباس في دورهم ملوكاً.
(ألا وإن أبصر الأبصار): أنفذها في الإبصار، وأعظمها في الإدراك.

(ما نفذ في الخير طرفه!): الطرف: العين، ولا يجمع لأنه في الحقيقة مصدر، كما قال تعالى: {لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ}[إبراهيم:43] وأراد أن خير العقول ما كان نافذاً في إحراز الأعمال الصالحة، والاستكثار فيها.

(ألا وإن أسمع الأسماع ما وعى التذكير قلبه!): القلب هو: الواعي، وأراد أن أفضل الأسماع ما كان واعياً إذا ذكر وحفظ(3) القلب منه.

(أيها الناس): خطاب لمن كان حاضراً في وقته، ولمن اتعظ بكلامه من الخلق.

---

(1) في (ب): مقابلة.

(2) قوله: بالله سقط من (أ).

(3) في (ب): وفي نسخة أخرى: وحفظه.

(635/2)

(استصبحوا من شعلة مصباح): خذوا الهدى من مهتدٍ(1)، واستعار النور فيما ذكره من الشعلة والمصباح بذلك كما قال تعالى في القرآن: {نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ}[الأنعام:91].

(واعظ): مذكر بهذه المواعظ الحسنة.

(متعظ): عامل بما يقوله.

(وامتاحوا(2)): المايح: هو الذي ينزل البئر يملئ الدلاء بالياء بنقطتين من أسفلها، والماتح بالتاء هو: المستقي.

(من صفو عين): من خلاصة نهر.

(قد روَّقت من الكدر): روَّق الشراب إذا حسَّنه، وهيَّأه للشرب، من قوله: راقني الشيء إذا أعجبك.

(عباد الله، لا تركنوا إلى جهالتكم): عام في كل ما يفعله الإنسان، من غير بصيرة، ويقدم على فعله من غير نظر.

(ولا تنقادوا لأهوائكم): لأن اتباع الهوى يجر إلى كل فساد في الدين والدنيا، حسبك باتباع الهوى فساداً في الدين؛ أن الله تعالى ما حكم بالضلال علماً وقطعاً باستحقاقه، إلا فيمن اتبع هواه، كما قال تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ}[الجاثية:23].

(فإن النازل بهذا المنزل): أراد اتباع الهوى، والركون إلى الجهالة.

---

(1) في (ب): مهتدي.

(2) في (أ): ومائحاً، وما أثبته من(ب) ومن نسخة أخرى ومن شرح النهج.

(نازل بشفا جرف هار): الشفا: البقية من الشيء، يقال: ما بقي منه إلا شفا، أي قليل، والجرف: جرف الوادي وجانبه التي جرفته السيول، والهار هو: المتصدع الذي قرب سقوطه وانهدامه، ووزنه محتمل أن يكون فاعلاً، فيقال فيه: هاير، ثم أخرت عينه بعد لامه، على مثل شاكي في شائك، ولابي في لائب ، ويحتمل أن يكون وزنه فَعِلَ(1) على مثل شَكِسَ وشَرِسَ(2)، وهو تمثيل بالغ في ما كان مبنياً على غير قاعدة محققة في الدين؛ فإنها سريعة الانهدام والتغير كالشفا الجرف في سرعة انهدامه.

(ينقل الردى على ظهره من موضع إلى موضع): تمثيل بحال من لا خبرة له بإيراد الأمور وإصدارها، وكنى(3) به عن ذلك، كما كنى بقوله: فلان يقدِّم رجلاً، ويؤِّخر أخرى عن المتحير في أمره، لايدري كيف يصنع.

(لرأي يحدثه بعد رأي): أي من أجل رأيه، أراد أن اضطرابه وفشله بما كان من جهة رأيه واختلافها، وأنه على غير ثبات منها وقطع.

(يريد أن يلصق ما لا يلتصق): من الأماني الكاذبة، والخيالات الباطلة.

(ويتقارب ما لايقارب(4)): من الأمور البعيدة، والآراء المنقطعة.

(فالله الله): تكرير من أجل التحذير، كقولهم: أخاك أخاك، والصبي الصبي، أي احذروا الله تعالى عن ترك أوامره، والوقوع في مناهيه، وأحذركم أيضاً.

(أن تشكوا إلى من لايُشْكي شجوكم): أشكيته إذا أزلت شكواه، والشجا هو: الحزن، وأراد التحذير عن ذلك فإن ذلك يكون زيادة في المصيبة، وإثارة للأحزان، وجرحاً للصدور.

---

(1) في (أ): فعلا، وما أثبته من (ب).

(2) في (ب): وسدس.

(3) في (ب): وكناية.

(4) في (ب): يقارب ما لا يتقارب، و في شرح النهج: ويقرِّب ما لا يتقارب، وفي نسخة أخرى: ويقارن ما لايتقارن.

(ولا ينقض برأيه ما أبرم لكم): أي(1) من أجلكم، وغرضه أنه لا يحدث رأياً من نفسه يكون فيه فرج عما أنتم بصدده، وراحة عن همكم.

(إنه ليس على الإمام): الذي أعطيتموه أكفكم، وقام فيكم بأمر الله.

(إلا ما قد حمَّل من أمر ربه): أخذه(2) الله عليه، وأوجبه وفرضه.

(الإبلاغ في المواعظ(3)): الوعظ لكم، والتذكيربما يجب من حقوق الله تعالى.

(والاجتهاد في النصيحة): وبذل الجهد والوسع، في بيان ما يكون فيه نجاة لكم، ونفع في الدين.

(والإحياء للسنة): بالإظهار لأحكامها، والإبانة لمعالمها.

(وإقامة الحدود [على مستحقيها(4)]): على من ارتكبها من أهل الفسق والكفر، وفي كلامه هذا دلالة على أن إقامة الحدود موكولة إلى رأي الأئمة دون غيرهم، كما يقوله أصحابنا والأكثر من الفقهاء.

(وإصدارالسُّهمان على أهلها): من المقاتلة الذين حضروا الوقعة.

(فبادروا العلم): أي خذوه وأسرعوا في طلبه، من قولهم: ابتدرت كذا أي أسرعت في أخذه.

(من قبل تصويح نبته(5)): صوح النبت إذا يبس، وصوح العود إذا جفت رطوبته، وأراد انقطاع حامليه(6) عن الدنيا بالموت.

(ومن قبل أن تشغلوا بأنفسكم): إما بعوارض الدنيا، وإما بالموت وأشغاله.

(عن مستثارالعلم من عند أهله): المستثار هو: الا ستثارة، وهو إخراجه بعد أن كان كامناً.

(وانهوا عن المنكر): امنعوا فاعله عنه، وألحقوه أحكام ما فعله من ذلك.

(وتناهوا عنه): أي لينه بعضكم بعضاً، ولا تواطئوا على فعله فتهلكوا.

---

(1) قوله: أي سقط من (ب)

(2) في (أ): أجره.

(3) في (ب) و في شرح النهج: الموعظة.

(4) زيادة في (ب) وفي شرح النهج.

(5) في (ب): نيته.

(6) في (ب): حاملته.

(638/2)

(فإنما أمرتم بالنهي بعد التناهي): أراد أن نهيكم لغيركم عن المنكر إنما يكون فرعاً على تناهيكم عنه، ويصدق ذلك قوله تعالى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ}[البقرة:44].

(100) ومن خطبة له عليه السلام

(الحمد لله الذي شرع الإسلام): أي سنه(1)، ومنه قوله تعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا}[الشورى:13] أو أظهره من قولهم: حيتان(2) شارعات، أي ظاهرات من قعر الماء.

(فسهّل شرائعه): جمع شريعة وهي: مشرعة الماء أي مورده.

(لمن ورده): أي سهل موارده [لمن أراد أن يرده] (3)، وهو مجاز في حقه.

(وأعز أركانه على من غالبه): أي جعله عزيزاً يقهر من أراد مخالفته.

(فجعله أمناً لمن علقه): أي تعلق به، من قولهم: علق فلان بالأمر أي تعلق به.

(وسلماً لمن دخله): السلم بفتح السين وكسرها، وهو: الصلح، كما قال تعالى: {ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً}[البقرة:208]، وإنما سماه سلماً؛ لما فيه من السلامة في الدارين(4).

(وبرهاناً لمن تكلم به): دليلاً واضحاً ينطق بالحق فيما يقوله.

(وشاهداً لمن خاصم به): يحجُّ(5) من شهد عليه، ويفحمه فيمايريده من مخالفته.

(ونوراً لمن استضاء به): من ظلمات الجهل، ومهامه الجهالات الكفرية، وطرق الإلحاد العميّة(6).

(وفهماً لمن عقل): وتفهم من عقل عنه ما يرشده، ويقوده إليه من السلامة.

(ولباً لمن تدبر): أحواله وما فيه من المصالح الدينية الدالة على كل خير .

(وآية لمن توسم): وعلامة دالة على إرادة الخير لمن أراده.

---

(1) في (ب): أسنه.

(2) في (ب): جمان.

(3) سقط من (ب).

(4) في (ب): في الدين.

(5) أي يخصمه.

(6) في (ب): القمية.

(639/2)

(وتبصرة لمن عزم): هداية لمن عزم على اتباع المصالح، وانتحاء المراشد.

(وعبرة لمن اتَّعظ): وفيه اعتبار لمن كان منزجراً بالمواعظ، معولاًعليها.

(ونجاة لمن صدَّق): نفسه وأرشدها، كما قال تعالى: {فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ}[محمد:21]، {وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا}[النساء:66].

(وثقة لمن توكل): ووثوق واطمئنان وانشراح(1) صدر لمن اتكل عليه، وجعله عمدة له في

أحواله(2).

(وراحة لمن فوض): الأمر إليه؛ لأن تفويض الأمر إلى الله تعالى هو الانقياد لأمره والاحتكام لقضائه، وفي هذا راحة للقلوب والخواطر عن إتعابها بالتفكر في العواقب.

(وجنة لمن صبر): على مشقته، ومراعاة أحواله؛ فإنه يكون له جنة واقية عن جميع العوارض والآفات.

(فهو أبلج المناهج): واضح(3) المسالك، ومنه قولهم: الحق أبلج والباطل لجلج(4).

---

(1) في (ب): في انشراح صدر من اتكل عليه.

(2) في (أ): وجعل عمدة في أحواله، وما أثبته من (ب).

(3) في (أ): وأ وضح، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(4) في (ب): يتلجلج.

(640/2)

(واضح الولائج): الولائج: جمع وليجة، وأراد إما أن بواطنه وخواصه ظاهرة منكشفة لمن أرادها، استعارة من قولهم: وليجة الرجل أي(1) بطانته وخاصته، وإما أن يكون مراده أن مداخله وطرقه ومسالكه متضحة، أخذاً من قولهم: ولجت الدار أي دخلت فيها، ومنه قوله تعالى: {وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً}[التوبة:16] أي دخيلة تخالف الدين وتضاده، وإما أن يريد أن أحكامه ولوازمه وتوابعه يدخل فيها ويتلبس بها من فعلها، أخذاً لها من الوليجة وهو ستر أو كهف(2)، وهذه المعاني كلها متقاربة محتملة كما ترى.

(مشرق المنار): أشرقت الشمس وشرقت، إذا ظهر نورها وفشا، وأراد أن(3) أعلامه المنصوبة ظاهرة لمن أمَّها وقصدها.

(مشرف الجواد): عالي المركب، ومنه قولهم: جبل(4) مشرف أي عال، قال ابن دريد(5) يصف فرساً له:

ومُشْرِفُ الأَقْطَارِ خَاضَ بِحضنِهِ .... حاني القُصَيْرَى جُرْشُعٌ عَرْدُ النَّسا(6)

---

(1) قوله: أي سقط من (ب).

(2) في (ب): وهو ستراً و كهفاً.

(3) قوله: إن سقط من (ب).

(4) في النسخ: جمل، وهو تحريف، والصواب كما أثبته.

(5) ابن دريد هو محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، أبو بكر [223-321هـ] من أئمة اللغة والأدب، وهو صاحب المقصورة الدريدية، ولد في البصرة، وله مؤلفات منها: الاشتقاق في الأنساب، والمقصور، والممدود وشرحه، والجمهرة في اللغة وغيرها، (وانظر الأعلام 80/6).

(6) القصيرى: مقصورة، أسفل الأضلاع أو آخر ضلع في الجنب وأصل العنق، والجرشع: العظيم في الإبل والخيل، والعرد: الصلب الشديد المنتصب والنسا: عرق من الورك إلى الكعب. (انظر القاموس المحيط).

(641/2)

أراد أنه عالٍ منتصب(1).

(مضيء المصابيح): أراد أن نجومه لا تخبو(2)، واستعار ذلك لو ضوح الأحكام والمسالك.

(كريم المضمار): إما أنه يكرم من تلبس به، أخذاً له من مضمار الفرس، وهو إكرامه في مدة المضمار، وهو أربعون يوماً، وإما أن مكانه ومستقره كريم، أخذاً له من مكان الإضمار، وهو موضع السباق للفرسان.

(رفيع الغاية): عال(3) في الرفعة، وهو مجاز كما قال عليه السلام: ((الإسلام(4) يعلو ولا يعلى))(5).

(جامع الحلبة): الحلبة: أفراس تجمع للسباق، ولا تكون خارجة في مكان واحد، بل تجمع من جهات شتى للمسابقة، وأراد أنه أصلها وقاعدتها أي أنه جامع لجميع خصال الخير مؤلف بين أشتاتها.

(متنافس السُّبقة): السُّبقة بضم السين هو: الخطر في المسابقة، وأراد أن سُبقته نفيسة عالية، ليست حقيرة دانية، وهي الجنة لأنهاحضراً عليه.

(شريف الفرسان): مكان من تعلق به رفيع وجانبه عزيز، كما قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}[المنافقون:8].

(التصديق منهاجه): الا عتراف بالله ورسوله وجميع أحكام الدين، طريقه الواضحة التي لا يمكن سلوكها إلا به.

---

(1) في (ب): أراد أنه عالي المنصب.

(2) أي لا تنطفئ.

(3) في (ب): عالي.

(4) قوله: الإسلام، سقط من (أ).

(5) رواه في مسند شمس الأخبار 20/2 في الباب الخامس والمائة وعزاه إلى أصول الأحكام للإمام

أحمد بن سليمان عليه السلام، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى 205/6، والدارقطني في سننه 252/3، والروياني في مسنده 37/2، والحديث في موسوعة أطراف الحديث النبوي 210/4 وعزاه إلى البخاري 117/2، ونصب الراية للزيلعي 213/3، وكنز العمال برقم (246) وكشف الخفاء 140/1 وعزاه إلى غيرها من المصادر.

(642/2)

(والصالحات): أعمال الخير، وأنواع الطاعة.
(مناره): أعلامه التي يهتدى بها إليه؛ كالمنار للطريق.
(والموت غايته): منقطعه، وغاية انقضائه.
(والدنيا مضماره): والمضمار: عبارة إما عن زمان السباق، وإما عن مكانه، والدنيا صالحة لهما جميعاً، فإنهما زمان فعل الخير ومكانه الذي يستقر لفعله عليها.
(والقيامة حلبته): لأنها هي المكان المجتمع فيه(1) للجزاء على الأعمال، كما أن الحلبة موضع السباق للخيل.
(والجنة سُبْقَتهُ): الجزاء الذي يكون على فعله.
ثم ذكر حال الرسول صلى الله عليه وآله بقوله:
(حتى أورى قبس القابس(2)): وري الزند إذا خرجت ناره، والقبس: عود في رأسه نار، وأراد أنه أكمل به المقصد، ونيل به الغرض الأعلى.
(وأنار علماً لحابس(3)): أي وأظهر أعلام الطرق لمن كان محتبساً لضلاله عنها، وانحرافه عن مسالكها، فهو كناية عمَّا أوضح من أعمال الهدى، وأظهر من الحجج النيرة في الدين، وقد تقدم مختار هذه الخطبة فأغنانا عن تكريره.
(اللَّهُمَّ، اقسم له مقسماً من عدلك): من رضاك، وهو أعظم المقاسم وأعلاها قدراً، كما قال: {وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ}[التوبة:72] أخذاً من قولهم: رجل عدل إذا كان مرضياً في شهادته.
(واجزه مضاعفات الخير من فضلك): واجعل جزاءه مضاعفاً من الخير الذي مننت به عليه، وكرمته(4) به.

---

(1) في (ب): إليه.
(2) في النهج: قبساً لقابس.
(3) بعده في النهج: (فهو أمينك المأمون، وشهيدك يوم الدين، وبعيثك نعمة، ورسولك بالحق رحمة.
(4) في (أ): وقربته، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(643/2)

(اللَّهُمَّ، أعلِ على بناء البانين بناءه): إما على الداعين إلى توحيدك، والا قرار بربوبيتك من سائر الرسل والأنبياء؛ فإنهم العامرون لأرضك، فاجعل بناءه من أرفع أبنيتهم وأقواها قاعدة، وإما على العاملين بالصالحات من جميع الأولياء والصالحين، فإنه أوفاهم عملاً، وأشكرهم سعياً، فارفع منزلته(1) عليهم، وكله محتمل في حقه.

(وأكرم لديك نزله): النزل: ما يعدُّ للضيف عند نزوله، كما قال تعالى: {نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ}[فصلت:32] وأراد اجعل(2) نزله كريماً عندك.

(وشرف عندك منزلته): بما أعطيته إياه من القرب والزلفة لديك في المقام المحمود الذي وعدته.

(وآته الوسيلة): الدرجة العالية، كما ورد في الحديث: ((الوسيلة درجة في الجنة، لا ينالها إلا نبي، فاسألوا الله لي الوسيلة))(3).

(وأعطه السناء والفضيلة): الرفعة والفضل، الذي ليس لغيره من الأنبياء.

(واحشرنا في زمرته): الزمرة: الجماعة، وأراد في جماعته.

---

(1) في (ب): وأرفع منزلة عليهم.

(2) في (ب): واجعل.

(3) روى مثله الإمام القاسم بن محمد في الاعتصام 132/2 من حديث بلفظ: ((قال رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: أكثروا من الصلاة عليَّ يوم الجمعة، فإنه يوم تضاعف فيه الأعمال، وأسألوا الله لي الدرجة الوسيلة من الجنة))، قيل: يا رسول الله، وما الدرجة الوسيلة من الجنة؟ قال: ((هي أعلا درجة في الجنة لا ينالها إلا نبي، وأرجو أن أكون أنا هو)) صلى الله عليه وآله وسلم، وعزاه إلى مجموع الإمام زيد بن علي عليهما السلام، عن أبيه عن جده، عن علي عليه السلام، وانظر مجموع الإمام زيد (ع) ص 114 برقم (148)، والحديث بلفظ ((الوسيلة أعلى درجة في الجنة)) في موسوعة أطراف الحديث 487/10، وعزاه إلى الشفاء للقاضي عياض 435/1.

(644/2)

(غير خزايا): الخزي: الذل والهوان، والخزايا جمع خزيان، نحو عطشان وعطاشى(1) وسكران وسكارى.

(ولا نادمين): على فعل، أو ترك مما ليس له(2) فيه رضى.

(ولا ناكبين): تتكب عن الطريق إذا عدل عنها، وغرضه ولا عادلين عن الحق.

(ولا ناكثين): لعهد أخذته علينا، في الإقرار بربوبيتك، والتصديق بوحدانيتك.

(ولا ضالين):عن الطريق المستقيمة.

(ولا مضلين): لأحد من الخلق.

(ولا مفتونين!): ضالين عن الحق.

ثم خاطب أصحابه بقوله:

(قد(3) بلغتم من كرامة الله لكم منزلة): أراد بما أعطاكم من الدين، وبما أعزَّكم به من الإسلام، ومكَّنكم فيه أن أحلَّكم مكاناً، ورفعكم منزلة عظيمة، بلغ من حالها أنه:

(تُكَرمُ بها إماؤكم): تنالون بها(4) الكرامة، بأن يقال: عبد فلان وخادمه فيلحقه بذلك كرامة لأجل ملكه له، فإذا كان هذا حال الأخدام والأرقاء فكيف حال السادة والملاَّك، فشرفهم لامحالة أكبر(5) وحظهم أكثر(6) وأوفر.

(وَتُوْصَلُ بها جِيرانُكم): من الصلة وهي(7): العطية، أو من الإكرام والإعظام، بأن يقال: هذا جار فلان.

(ويعظمِّكم من لا فضل لكم عليه): بالإحسان والعطية، التي هي سبب التعظيم من جهة الغير.

(ولا يد لكم عنده): ولا نعمة عليه من جهتكم.

(ويهابكم): لأجل الدين.

(من لا يخاف لكم سطوة): فتكون سبباً للخوف.

(ولا لكم عليه إمرة): سلطنة ودولة، فهذه الأمور كلها حاصلة بما أكرمكم الله به بالدين والإسلام؛ فإنهما هما(8) الأصل في هذه الأشياء كلها وحصولها.

---

(1) في (أ): وعطشا.

(2) في (ب): لك.

(3) في (ب): ولقد.

(4) قوله: بها سقط من (ب).

(5) في (ب): أكثر.

(6) في (ب): أكبر.

(7) في (ب): وهو.

(8) قوله: هما زيادة في (ب) وفي نسخة أخرى.

(وقد ترون عهود الله): وهو: ما أخذ على الأنبياء إبلاغه إلى الخلق ، وأخذ على الخلق العمل به، والوقوف عنده من جميع الأوامر والنواهي.

(منقوضة): محلولة عراها بالإهمال لها، والترك لحقوقها.

(فلا تغضبون): أي لا تأنفون من ذلك، وقوله: وقد ترون جملة ابتدائية، أي وأنتم ترون، وهي في موضع نصب على الحال من الضمير في بلغتم، أي بلغتم في حال رؤيتكم.

(وأنتم لنقض(1) ذمم آبائكم تأنفون): أي أنكم تستنكفون عن أن تكون ذمم آبائكم منقوضة، فكيف لا تستنكفون عن نقض ذمم الله وحل عقوده.

(وكانت أموراللّه عليكم ترد، وعنكم تصدر، وإليكم ترجع): أحكامه في خلقه، ومصالحه في أرضه بالفتاوى ترد عليكم من جهة الخلق، والأجوبة والأقضية تصدر من جهتكم، والحل والعقد، وأحكام السياسة، وأمور الإيالة راجع إليكم.

سؤال؛ ما وجه تعلق هذا الكلام بما قبله، وكيف الملاءمة بينهما؟

وجوابه؛ هو أنه عليه السلام لما ذكر نعمة الله في الدنيا، بإكرام العبيد والجيران، وشرفهم لأجل شرف من يضافون إليه، أردفه بذكر نعمة الله في الدين عليهم، بما مكن من الحل والعقد في الفتاوى والأقضية، وإصدارالأحكام، والإلزامات التي لاترد تعريفاً لمواقع النعمة وإعظاماً لحالها، وتقريراًلما يريد من الإنكار على مصافاة الظلمة ، والسكون لهم على ظلمهم.

(فمكنتم الظلمة من منزلتكم): وهي الإمرة التي جعلها الله لأهل الدين والعلم منكم، وتخاذلتم حتى اختصوا بها وملكوها عليكم قهراً.

(وألقيتم إليهم أزمتكم):بأن صاروا ملوكاًعليكم فقادوكم بالاستيلاء والقهر، كما يقاد الجمل بزمامه ويجذب بخطا مه.

(وأسلمتم أمور الله): أحكامه في الخلق الدينية والدنيوية.

---

(1) في (ب): لبعض.

(646/2)

(في أيديهم): يتصرفون فيها كيف شاءوا وليسوا أهلاً لإيراد شيءمنها ولا إصداره لبطلان الولاية وعدم الأهلية.

(يعملون بالشبهات): يتوصلون إلى قضاء مآربهم الدنيوية بالشبه الباطلة، والتأويلات الفاسدة،

الخارجة عن مراد الله ومقصوده.

(ويسيرون في الشهوات): جميع تصرفاتهم وسائر مضطرباتهم، ما هو إلا من أجل قضاء الشهوة وتنفيذ اللذة، لا يخطر لأحد منهم أمر الدين وحال الآخرة ببال، في وقت من الأوقات، وهذا الكلام إنمايشير به إلى بني أمية وسكوت من كان في عصرهم عن الإنكار عليهم، وتذكر حالهم في الظلم وقهرهم للخلق.

(وايم الله لو فرقوكم تحت كل كوكب): قتلاً في البلاد المتباعدة، والأمكنة المتفاوتة، وتشريداً في الأقاليم.

(لجمعكم الله لشر يوم لهم!): وهو يوم القيامة، وإنما كان أشر الأيام لما يلقون فيه من العقوبة الأبدية، والجزاء الأكبر، وفي الحديث: ((يوم المظلوم على الظالم أشر(1) من يوم الظالم على المظلوم)) لأن غم المظلوم منقطع، وغم الظالم غير منقطع، وليس يخفى على ذي فطنة ما تضمنه هذا الكلام من الحث على البعد عن الظلمة، والركون إليهم، والتقرب إلى الله بإيحار صدورهم غضباً لله ومراعاة لحق الدين في ذلك.

(101) [ومن كلام له عليه السلام في بعض أيام صفين](2)

(وقد رأيتم(3) جولتكم): تجاول الفرسان في الحرب إذا(4) جال بعضهم على بعض بالكرِّ والفرِّ، قال الشاعر:

---

(1) كتب في (ب) فوق الراء دالاً، ومراده: أشد.

(2) ما بين المعقوفين زيادة في شرح النهج.

(3) في شرح النهج: رأيت.

(4) قوله: إذا زيادة في (ب).

(647/2)

وأنا الذي ورد الكلاب مسوّماً .... بالخيل تحت عَجَاجَهَا الْمِنْجَال(1)

(وانحيازكم عن صفوفكم): تأخركم عنها هرباً وتولية للأدبار.

(تحوزكم): تؤخركم عن مقاماتكم في الحرب.

(الجفاة): الذين لا تمييز لهم ولاعلم عندهم.

(الطغام): أوباش الناس وأوغادهم، وأنشد المبرد(2):

إذا كان اللبيب كذا جهولاً .... فما فضل اللبيب على الطَّغَامِ(3)

(وأعراب أهل الشام): أهل الغلظة والجفا.

(وأنتم لهاميم العرب): أهل الرئاسة والجودة.

(ويآفيخ(4) الشرف): جمع يافوخ(5) وهو: وسط الهامة.

(والأنف المقدّم): أنف كل شيء: أوله وأعلاه.

(والسنام الأعظم): سنام الجمل: أعلا ظهره، وسنام الأرض: نجدها، وأراد في هذا كله أنهم رؤساء الناس، وأعلاهم مرتبة وأقدمهم شرفاً.

(ولقد شفى وحاوح صدري): الغصص منه، والوحوحة: صوت معه بحح، يقال: وحوح الرجل إذا نفخ في يده من شدة البرد.

(أن رأيتكم بأخرةٍ): بآخر الأمر، وأن في موضع رفع فاعل لشفا.

(تحوزونهم): حازه إذا ألجأه إلى مكان ضيق.

(كما حازوكم): من قبل.

(وتزيلونهم عن مواقفهم): طرداً لهم عنها وهرباً منهم.

(كما أزالوكم): فإن الحرب سجال مرة عليكم ومرة لكم.

---

(1) البيت في لسان العرب 536/1 ونسبه للفرزدق، وقوله هنا: (وأنا)، في اللسان: (وأبي).

(2) هو: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس المعروف بالمبرد [286.210هـ]إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار، مولده بالبصرة ووفاته ببغداد، وله تصانيف منها: الكامل، والمذكر والمؤنث، والمقتضب وغيرها (الأعلام 144/7).

(3) لسان العرب 596/2.

(4) في (ب) وشرح النهج: ويآفيخ كما أثبته، وفي (أ): ونآ افيخ.

(5) في (أ): جمع نافوخ.

(648/2)

(حساً بالنصال): الحس بالسين المهملة، هو: القطع والاستئصال، قال الله تعالى: {إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ}[آل عمران:152] والحش بالشين المعجمة، هو: وقيد النار يقال: حشيت النار أحشيها حشياً، إذا أوقدتها، وكله محتمل ها هنا، والسماع بالشين المعجمة.

(وشَجْراً بالرماح): طعناً بها، وشجره بالرمح أي طعنه.

(تركب أولاهم أخراهم): هرباً وهزيمة منكم.

(كا لإبل الهيم(1) المطرودة): الشاردة.

(ترمى عن حياضها): تزال بالعنف والشدة.

(وتذاد عن مواردها!): وهي: أماكن الشرب لها، مثَّل حالهم في الهزيمة بحال الإبل، لما يلحقهم في ذلك من الفشل في حال الهزيمة، وشدة الحال.

(102) ومن خطبة له عليه السلام من خطب الملاحم

(الحمدلله المتجلي لخلقه بخلقه): الظاهرلهم(2) بالأدلة والبراهين، من إبداع المخلوقات، وإحكام هذه المكونات.

(الظاهر لقلوبهم بحجته(3)): فلا يحتك في صدورهم(4) خلاف ذلك، من نفيه، ويختلج في أفئدتهم الشك فيه.

(خلق الخلق): اخترع هذه المخلوقات.

(من غير روية): تفكر ونظر في إبداعهم وإحكامهم.

(إذ كانت الرويات): الأفكار والأنظار.

(لا تليق إلا بذوي الضمائر): بأهل القلوب؛ لأن النظر إنما يكون بحكِّها(5)، وترتيب علومها.

(وليس بذي ضمير في نفسه): لأن ذلك إنما يختص من كان جسماً، وهو تعالى منزه عن الجسمية.

---

(1) الهيم، زيادة في النهج.

(2) قوله: لهم سقط من (ب).

(3) في (ب): بحجبه.

(4) في (ب): فلا يحيك في صدروهم بقلوبهم خلاف ذلك.

(5) حكَّ في صدري، وأحكَّ واحتكَّ بمعنى عمل، وفي (ب): بحكمها.

(649/2)

(خرق علمه باطن(1) غيب السترات): نفذ علمه بما كان مستوراً، وشبهه بالخرق؛ لأن كل مخروق بالإنسان يبصر ما(2) ورآه.

(وأحاط بغموض عقائد السريرات): واستولى على غامض ما كان حاصلاً في الصدور، من العقائد الصحيحة والفاسدة.

(واختار محمداً صلى الله عليه وآله من شجرة الأنبياء): وهي: ذرية إبراهيم وإسماعيل.

(ومشكاة الضياء): المشكاة هي: الكوّة، وهي فارسية معربة.

(وذؤابة العلياء): الذؤابة واحد الذوائب، وهي: الخصلة من الشَّعَر.

(وسرة البطحاء): أراد بطحاء مكة، وأراد أنه(3) من خلاصتهم، ويقال: قريش البطاح، وهو لمن كان في مكة نفسها، وقريش الضواح لمن كان خارجاً عنها(4).

(ومصابيح الظلمة): لأن الظلمة مهما كانت مشتدة فضياء المصباح أشد وأكثر.

(وينابيع الحكمة): الينبوع: واحد الينابيع، وهو النهرالجاري، وهذه الأوصاف حاصلة في حقه صلى الله عليه وآله.

(طبيب دوَّار بطبه): بعرضه على كل أحد ممن كان به علة.

(قد أحكم مراهمه): أحكمها وأصلحها، وجعل لكل علة منها مرهماً يخصه.

(وأحمى مواسمه(5)): التي يضعها على الجراحة يحسمها(6) بالنار.

---

(1) قوله: باطن، زيادة في (ب) وفي نسخة أخرى وفي شرح النهج.

(2) في نسخة أخرى: مما.

(3) قوله: إنه زيادة، في (ب).

(4) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج 182/7: وبنو كعب بن لؤي يفخرون على بني عامر بن لؤي بأنهم سكنوا البطاح، وسكنت عامر بالجبال المحيطة بمكة، وسكن معها بنو فهر بن مالك رهط أبي عبيدة بن الجراح وغيره، قال الشاعر:

فحللت منها بالبطا

ح وحل غيرك بالظواهر

(5) مواسمه جمع ميسم بالكسر وهو المكواة.

(6) أي يكويها.

(650/2)

(يضع ذلك حيث الحاجة إليه): أراد بذلك مثالاً في حق الرسولعليه السلام، فإن الطبيب الحاذق الماهر في علم الطب، لا يقصرعن علاج واحد ، واستعمال دواء مخصوص بل يعالج كل مريض بعلاج يليق به، ويستعمل في كل داء مايختص به من الأدوية؛ لأنه عليه السلام كان يكلم الناس على قدرعقولهم، وبحسب أمزجتهم(1)، فيضع الحكمة مواضعها حيث يحتاج إليها.

(من قلوب عمي): عن بصائرها فيوضح لها أمرها.

(وآذان صُمٍّ): عمَّا ينجيها من سماع الكلمة، فيقرها في آذانهم.

(وألسنة بُكْمٌ): عن النطق لايكون نافعاً لها فينطقها بذلك.

(فيتتبع بدوائه مواضع الغفلة): أي يضع الحكمة بالاتعاظ والتنبيه حيث تكون القلوب الغافلة عمَّا ينجيها.

(ومواطن الحيرة): وحيث تكون الحيرة في أمر دينهم، فيفرج الأمر عنهم بحكمته.

(لم يستضيئوا بأنوار الحكمة): قبل ذلك، بل كانوا في جهالة الكفر وضلالة البدعة.

(ولم يقدحوا بزناد(2) العلوم الثاقبة): فهم من أجل ذلك في ظلمة(3) العمى، وحنادس الحيرة.

(فهم في ذلك): أراد جميع ما قدمه من الحيرة والغفلة.

(كالأنعام السائمة): التي لا راعي لها، فهي تتفرق من جانب إلى جانب.

(والصخور القاسية): بجفاء الطبائع وغلظها بالبدعة والكفر، كما قال تعالى: {فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً}[البقرة:74].

(قد انجابت السرائر): أي انكشفت.

(لأهل البصائر): لأهل العقول المبصرة.

(ووضحت محجة الحق لخابطها): وظهرت طريق الحق لمن كان سالكاً غيرها، والخابط هو: الذي يأتي على غير طريق.

(وأسفرت الساعة عن وجهها): [بظهور علاماتها].

---

(1) في (أ): أمرضهم، و في (ب): أمرهم، وما أثبته من نسخة أخرى.

(2) في (ب): بزنادة.

(3) في (ب): ظلم، وفي نسخة أخرى: ظلم العنا.

(651/2)

(وظهرت العلامة): [في الحق والباطل] (1).

(لمتوسمها): لطالبها، وغرضه من هذاالكلام أحد أمرين:

إما ما كان من الرسول عليه السلام فإنه قد أظهر(2) الحق، وكشف عن الضلالة، وأرى الحكمة بما جاء به عليه السلام، وإما أن يريد بذلك مشيراً إلى نفسه، فإنه قد أبان(3) الحق فيما هو بصدده، وكشفه وأبان الطرق(4) الواضحة في حال هذه الفتن وغيرها.

(ما لي أراكم أشباحاً بلا أرواح): كأنكم جمادات، أو كأنكم أموات لا حراك بكم.

(أو أرواحاً(5) بلا أشباح): أو كأنكم أرواح مجردة عن الأبدان، ولا تُقْبِلُون على ما فيه صلاح لكم، من العبادة والجهاد في الله لعدوكم، والروح والشبح لا انفصال لأحدهما عن الآخر، ولا يقومنَّ

أحدهما ولا ينفع إلا مع صاحبه.

(ونُسَّاكاً بلا صلاح): النسك هو: العبادة، والصلاح هو: إصلاح(6) الحال في مجانبة الكبائر، فالعبادة من دونها محال لا تنفع.

(وتجاراً بلا أرباح): والتجارة هي: التصرف، وكونه تصرفاً من غير ربح عناء وشقاء لامنفعة فيه.

(وأيقاظاً): تتصرفون تصرفات أهل ا ليقظة.

(نوماً): جمع نائم، لقعودكم عن الجهاد، فأنتم في حكم النائم.

(وشهوداً): مشاهدون بالأعين الناظرة.

(غيَّباً): بمنزلة الغائب في دفع النفع.

(وناظرة): أي وأنتم جماعة ناظرة بأعينها.

(عمياً(7)): عمَّا يراد بكم من أمر الجهاد، وأعمال الآخرة.

(وسامعة): للنطق وأجراس(8) الكلام.

---

(1) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(2) في (أ): ظهر، وما أثبته من (ب).

(3) في (أ): بان.

(4) في (ب): الطريق.

(5) في (أ): وأرواحاً.

(6) في (ب): صلاح.

(7) في شرح النهج: عمياء.

(8) في (ب): وأخراس، فلعله تصحيف.

(652/2)

(صماً(1)): لإعراضهم عن المواعظ، وتركهم العمل بها بمنزلة الصم الذين لا يسمعون.

(وناطقةً): بالكلام في كل مايضرها، ولايكون نافعاً لها.

(بكماً(2)): عن الخطاب النافع في الأمر بمعروف(3)، أو نهي عن منكر، وهذا الأسلوب من علم البديع، وهو الملقب بالطباق، وهو ذكر الضدين جميعاً، قد أورده على هذا النمط العجيب واستاقه(4) فصار بالغاً كل مبلغ في الحسن والرشاقة.

(راية ضلال قد قامت على قطبها): أراد بذلك ما يكون في آخر الزمان من فتنة الدجال، وغيرها من الفتن، وشبهها بالرحى في كمالها واستيساقها(5)، فإن الرحى إنما تكون مهيأة للطحن بذلك.

(وتفرقت شعبها(6)): صارت من جهات مختلفة، وأنحية متفاوتة.
(تكيلكم بصاعها): استعارة في الاستيلاء و الإحاطة.
(وتخبطكم بباعها): استعارة في القهر والغلبة، والباع: قدر مدِّ اليدين عرضاً.

---

(1) في شرح النهج: صماء.
(2) في شرح النهج: بكماء.
(3) في (أ): لمعروف.
(4) أي نظمه.
(5) أي وانتظامها.
(6) في النهج: شعبها.

(653/2)

(قائدها خارج عن(1) الملة): بكفره لادّعائه أنه ربٌّ، وفي الحديث: ((إنَّ الدَّجّال أعور كأن عينه عنبة طافية، وإنَّ ربَّكم ليس بأعور))(2).
(قائم على الضَّلَّة): ثابت مستقيم على الضلال والزلل، والضِّلة بكسر الضاد: الحالة من الضلال، كا لرِّكبة، وبفتحها: الواحدة من الضلال، وبضمها: الباطل، ويقال له أيضاً: ضل بتضلال.
(فلا يبقى منكم يومئذ إلا ثُفالة كثُفالة القدر): الثفالة: ما رسب من كل شيء، وهو: عبارة عن الرديء، وأراد في زمان الدجال.
(ونُفاضة كنُفاضة العِكم): وهو ما يبقى في أسفل العِدْل(3) من كل ما وضع فيه.
(يعرككم عرك الأديم): عند الدبغ له؛ لأنه لا يبقى منه جانب إلا نالته يد الدابغ.
(ويدوسكم دوس الحصيد): أي المحصود من الزرع، ودوسه: دقُّهُ حتى لا يبقى منه شيء قائم على ساقه، وجعل ذلك كله استعارة في عظمها، وشدة أمرها.
(ويستخلص المؤمن من بينكم): بالموت، أو بأمر يجعل الله له فيه فرجاً.

---

(1) في النهج: من.
(2) الحديث بلفظ: ((إن الدجال أعور، وإن ربكم ليس بأعور)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي 95/3 وعزاه إلى مسند أحمد بن حنبل 250/3، وأخرج طرفاً منه ابن الأثير في النهاية 130/3 فقال ما لفظه: في صفة الدجال: ((كأن عينه عنبة طافية)) قال في شرح قوله: عنبة طافية: هي الحبة التي قد خرجت عن حد نبتة أخواتها فظهرت من بينها وارتفعت. وقيل: أراد به الحبة الطافية

على وجه الماء شبه عينه بها، والله أعلم. انتهى، والحديث في البخاري رقم (1598)، وسنن الترمذي 514/4 ومصنف ابن أبي شيبة 488/7.

(3) العِدل: الغرارة.

(654/2)

(كما يستخلص الطير الحبة البطينة من بين هزيل الحب): الهزيل من الأشياء: أضعفها وأردأها، وأراد بالبطينة: المملوءة النافعة الجيدة.

(أين تذهب بكم المذاهب): عمَّا أخاطبكم به، وأزجركم بسماعه.

(وتتيه بكم الغياهب): الظُّلَم بالسير في الشبهات، والإقامة عليها.

(وتخدعكم الكواذب؟): خدعه إذا أراه شيئاً، وغرضه خلافه، والكواذب: جمع كاذبة، وهي إما بمعنى الكذب، وإما صفة بمعنى الخصلة الكاذبة، وهو(1): الأماني والتسويفات.

(ومن أين تؤتون): في النكوص والتأخرعمّا أريده بكم وأتوسمه فيكم من قتال عدوكم.

(وأنى تؤفكون!): من(2) أي طريق تصرفون، عمَّا أقول لكم من الحق، تقول: أَفَكَه يَأْفِكُه إذا صرفه عن مراده.

({لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ})[الرعد:38]: فالآجال مكتوبة عند الله مقدرة، لا يزاد عليها ولا ينقص منها، فلأي شيء يكون التأخر عن الجهاد، وما أحسن ورود هذه الآية في هذا المكان؛ لما فيها من المطابقة له والملاءمة لمعناه.

(ولكل غَيْبَة إياب): أي لا غيبة إلا ويرجى له(3) رجوع وَأَوْبَةٌ، فإلى متى تكون هذه الغفلة منكم، وأي حين ترجعون عنها.؟!

(فاستمعوا من ربَّانيِّكم): الربانيُّ هو: العالم بالله، المنقطع إليه في العبادة، كما قال تعالى(4): {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}[آل عمران:79].

ولما مات ابن عباس، قال بعضهم(5)

---

(1) في (ب): وهي.

(2) في (ب): عن.

(3) في (ب): لها.

(4) قوله: تعالى سقط من (ب).

(5) القائل هو محمد بن الإمام علي بن أبي طالب " المعروف بابن الحنفية، ذكره وذكر الرواية السيد العلامة المجتهد مجد الدين المؤيدي رضي الله عنه في لوامع الأنوار116/3، وقال: أخرجه

أبو عمر، والبغوي.

_ ... _قلت: وانظر الرواية في النهاية لابن الأثير 181/2، ولسان العرب 1100/1.

(655/2)

: مات رباني هذه الأمة.

(وأحضروه(1) قلوبكم): في الاستماع، وترك الغفلة.

(واستيقظوا إن هتف بكم): وانتبهوا إن دعاكم لأمر الجهاد.

(وليصدق رائد أهله): الرائد: الذي يبعثه القوم ليطلب لهم الكلأ، وهو من الأمثلة الجارية على ألسنة العرب، يقال فيه: الرائد لا يكذب أهله، وغرضه من هذا هو أني إنما أعظكم بهذه المواعظ، طلباً لنجاتكم، وسعياً في إصلاحكم(2).

(وليجمع شمله): فلا يشغله شيء عن ذلك.

(وليحضر ذهنه): حتى لايكون غافلاً عمَّا يقال له.

(فلقد فلق لكم الأمر): إما أراكم بصائركم في الدين، وإما فرَّق لكم بين الحق والباطل.

(فَلْقَ الخرزة): أراد أن الخرز إذا نظمت في العقد، فإن كل خرزة منه منفلقة عما يليها فلقاً لا يلتئم أبداً.

(وَقَرفَهُ قَرْفَ الصَّمْغة): القرف هو: القشر، وقرف الصمغة إذا أخذها مع شيء من العود، وفي المثل: تركته على مثل مقرف الصمغة(3)، يعني إذا أخذت جميع ما عنده، والضمير في فلق وقرف هو للربانيّ في أول الكلام.

(فعند ذلك): الإشارة إلى ما تقدم ذكره من هذه الفتنة.

(أخذ الباطل مآخذه): استقر، وثبتت قواعده، فقصد من كل جهة.

(وركب الجهل مراكبه): من كل شبهة وباطل.

(وعظمت الطاغية): إما الطغيان، وإما الضلالة الطاغية، وأراد اشتد أمرها، وجاوز حدها في العصيان والمخالفة كل حد ونهاية.

(وقلت الداعية): إما الدعاء إلى الخير، وإما الفرقة الداعية إلى الخير.

(وصال الدهر صِيَال السبع العقور): استطال على أهله، والمصاولة: المطاولة(4) بالفساد والفجور، وشبهه بالسبع العقور لما يصيب أهله من ألمه.

---

(1) في (ب): واحضروا.

(2) في (ب): صلاحكم.

(3) لسان العرب 67/3، أعلام نهج البلاغة -خ-.
(4) قوله: المطاولة، سقط من (أ).

(وهدر فنيق الباطل): الفنيق: الفحل المكرم عند أهله، وهديره: ترديده لصوته في حنجرته بطراً وأشراً.
(بعد كظوم): كظم البعير إذا أمسك عن الجرة، وأراد أنه كان مكظوماً من قبل بظهورالحق واستيلائه.
(وتواخى الناس على الفجور(1)): صاروا كالإخوة في التصافي والتداهن على المعاصي، من غير إنكار ولا منع كما يفعل الإخوة.
(وتحابُّوا على الكذب): إما أنه(2) لا وجه للمحبة إلا أنه يكذب، وإما لأنه يمنِّيه الأماني الباطلة، ويَعِدُه بالمواعد المزخرفة، فيحبه من أجل ذلك، وكله محابة على الكذب.
(وتباغضوا على الصدق): إما لأنه لاوجه لبغضه إياه إلا لأنه صادق في مقالته، وإما لأنه يعظه ويخوِّفه بالله ويقرِّر عنده ما يؤول إليه أمره في الآخرة، ويصدقه هذه الأحاديث فيبغضه من أجل ذلك، فهذا هو مراده بقوله.
(فإذا كان ذلك): الإشارة إلى ماذكره من هذه الأهوال، وهي أمارة لوجود الساعة وقيامها.
(كان الولد غيظاً(3)): أي أن الولد إذا انعقد(4) بطل بعد ذلك، وتلاشى أمره، كما قال تعالى: {وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ}[الرعد:8].
(والمطر قيظاً(5)): أي يأتي في غير وقته في أيام القيظ(6) فلا ينتفع به.
(وكان أهل ذلك الزمان ذئاباً): في الضراوة والاستلاب.
(وسلاطينه سباعاً): في العداوة وشدة الافتراس لما صادفوه.

---

(1) بعده في النهج: وتهاجروا على الدين.
(2) قوله: أنه زيادة في (ب).
(3) قال ابن أبي الحديد في شرح قوله: (كان الولد غيظاً): أي لكثرة عقوق الأبناء للآباء. انتهى.
(4) في (أ): انعقل، هكذا، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.
(5) في (أ) و(ب): قيضاً، وهو تصحيف، وبعده في النهج: وتفيض اللئام فيضاً، وتغيض الكرام غيضاً.
(6) في (أ) و(ب): القيض، وهو تصحيف.

(وأوساطه أكالاً): أراد أدناهم منزلة يشبه الذئب في افتراسه، وأعلاهم يشبه السبع في شدة عداوته، وأوساطهم منزلة أكالاً بالتخفيف، وهو جمع أُكُل وهو ما يؤكل، كما قال تعالى: {أُكُلُهَا دَائِمٌ}[الرعد:35] وأكَّالاً بالتشديد جمع آكل مثل جاهل وجهَّال.

(وفقراؤه أمواتاً): من شد ة الفاقة لاحراك بهم.

(وغار الصدق): أي ذهب، من قولهم: غارت عينه غوراً أي ذهبت، قال الله تعالى: {إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا}[الملك:30] أي ذاهباً.

(وفاض الكذب): ظهر وانتشر.

(واستعملت المودة باللسان): أي أن المودة صارت نفاقاً، يظهر له من لسانه المودة(1) وهو مبغض له بقلبه.

(وتشاجر الناس بالقلوب): أراد أن العداوة صارت في القلوب، نقيض الأمر وعكسه فإنها محل المصادقة والمحبة والمودة.

(وصار الفسوق نَسَباً): إما يتوارثونه قرناً بعد قرن، وإما ملازم لهم متصل بهم كا تصال الأنساب بعضها ببعض واشتباكها.

(والعفاف عجباً): لقلته فصار بمنزلة الطرفة والأعجوبة، يعجب منه كل أحد لقلته وندرته(2).

(ولبس الإسلام لبس الفرو مقلوباً): بأن صارت أحكامه على عكس ما كانت عليه، فصار بمنزلة من لبس فروة على خلاف عادته، فقد أشارعليه السلام في هذه الخطبة إلى هذه العلوم الغيبية، وهي مأخوذة من جهة الرسول، وإعلامه له بمايكون من ذلك.

(103) ومن خطبة له عليه السلام

(كل شيء خاضع(3) له): أي ذليل لأجل سلطانه وتكبره.

(وكل شيء قائم به): أي لولاه لما حصل، ولما كان موجوداً به(4).

(غنى كل فقير): أي هو الذي يغنيه.

(وعز كل ذليل): بالانتصارله، والأخذبحقه.

(وقوة كل ضعيف): بالانتصاف له ممن ظلمه.

---

(1) قوله: المودة سقط من (ب).

(2) في (ب): وندوره.

(3) في النهج: خاشع له.

(4) قوله: به، سقط من (ب).

(ومفزع كل ملهوف): الملهوف: المظلوم، واللهف هو: التحسر والحزن، أي أنه تعالى يُفْزَعُ(1) إليه عند الظلم فيأخذ على يد الظالم وينصف منه.

(من تكلم سمع نطقه): لإدراكه لكل مدرك.

(ومن سكت علم سره): ما حواه صدره، وأكنته جوانحه(2) لعلمه بكل المعلومات.

(ومن عاش فعليه رزقه): لأنه إذا كان مريداً لتبقية الحيوانات فلا بد من رزقها لدوام حياتها: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا}[هود:6].

(ومن مات فإليه منقلبه): فيجازيه على أعماله خيرها وشرها: {إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا}[يونس:4].

(لم ترك العيون): بأحداقها كما ترى سائرالمرئيات.

(فتخبر عنك): بالمشاهدة، كما تخبر عن سائر المشاهدات الجسمية والعرضية.

(بل كنت قبل الواصفين من خلقك): لكونك أزلياً سابقاً(3) على وجود كل موجود من المخلوقات.

سؤال؛ ما وجه تعلق قوله: بل كنت قبل الواصفين بقوله:(4) لم ترك العيون حتى أورده على أثره؟

---

(1) في (أ): لايفزع.

(2) في (ب): واكتسبته جوارحه.

(3) في (أ): سابق على وجودك.

(4) في (أ): بقولك، وفي (ب): بقوله، كما أثبته.

وجوابه؛ هو: أن المعنى لم ترك العيون، ولو رأتك لكانت واصفة لك؛ لأن كل من رأى شيئاً وصفه لا محالة، وأنت قبل الواصفين وجوداً فلا جرم وجب الحكم باستحالة كونك مرئياً، وقوله: (لم ترك العيون) مع ما قبله من أنواع البديع يسمى الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، وله قدم راسخة في علم البيان، فمن الغيبة إلى الخطاب، كقوله تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ [وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ](1)}[الفاتحة:4-5] ومن الخطاب إلى الغيبة، كقوله تعالى: {حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ}[يونس:22] ومن الغيبة إلىالتكلم، كقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشْرًا(2)}[الأعراف:57] ثم قال: {سُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ}[فاطر:9] وهو من أساليب الافتنان في الكلام؛ لأنه إذا نقله من أسلوب إلى أسلوب آخر كان ذلك أنشط للسامع، وأوفر في الإصغاء من جريه على أسلوب واحد.

(لم تخلق الخلق لوحشة): فيكون وجودهم للأنس بهم لك.

(ولا استعملتهم لمنفعة(3)): لك فيكون فقدهم إزالة لتلك المضرة، وإعداماً لها.

(ولا يسبقك من طلبت): بالهرب، فيكون ناجياً منك، وممتنعاًعليك.

(ولا يفلتك من أخذت): يذهب عنك من انتقمت منه بالعقوبة وأخذته بها، كما قال تعالى: {فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ}[غافر:5].

(ولا ينقص سلطانك من عصاك): لأن إمهاله كان بغرض آخر غيرالعجز، فلهذا لم يكن تركه عجزاً ونقصاً.

(ولا يزيد في ملكك من أطاعك): لأن الزيادة إنما تعقل في حق من يتكثَّر بالزيادة، أو يلحقه بها نفع، والله تعالى منزَّه عن ذلك كله.

---

(1) سقط من (ب).

(2) هكذا في النسختين {نشراً} بالنون وهي قراءة نافع.

(3) في (ب): بمنفعة.

(660/2)

(ولا يرد أمرك من سخط قضاءك): أراد أن أمره نافذ في كل ما سبق به علمه، لا يرد ذلك عن مجراه سواء سخطه من وقع به أو رضي به، وكراهته(1) لذلك لا يكون مانعاً من إنفاذه في حقه.

(ولا يستغني عنك من تولى عن أمرك): أراد أنه مع توليه(2) عن الأمر وإدباره عنه، فإنه مفتقر إما إلى مغفرة الله تعالى بالتوبة والإنابة، وإما إلى رزقه وعافيته فلا يعقل استغناؤه بحال.

(كل سر عندك): بالإضافة إليك.

(علانية): في الظهور والإحاطة.

(وكل غيب عندك شهادة): في الكشف والإبانة.

(أنت الأبد): أي الدائم، والأبد: الدهر، وإنما سمي أبداً لدوامه.

(فلا أمد لك): أي لاغاية لدوامك، ولا انتهاء له.

وفي بعض النسخ: (أنت الأمد) بالميم، والأمد هو: الغاية، وأراد أنت الغاية لكل شيء فلا غاية ولاحد لأمدك.

(وأنت المنتهى): يرجع إليك كل شيء ويؤول.

(فلا محيص عنك): لا مهرب عنك ولا عدول، من قولهم: حاص عنه إذا عدل، ومنه قوله تعالى: {هَلْ مِنْ مَحِيصٍ}[ق:36].

(وأنت الموعد): يصلح للزمان، و المكان، والمصدر جميعاً، وأراد أنت صاحب هذه الأمور، ومالكها زمان الوعد ومكانه، ونفس الوعد.

(لا(3) منجى منك): لا مفر منك.

(إلا إليك، بيدك ناصية كل دابة): استعارة في الإحاطة، والملك والاستيلاء، كما قال تعالى: {هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا}[هود:56].

(وإليك مصير كل نسمة): مرجعها ومآلها بالموت والنشر.

(سبحانك): ننزهك عمَّا لا يليق بك، وسبحان اسم للتسبيح علم له وليس مصدراً على الحقيقة، ومثله الكلام فإنه اسم، والمصدرمنه التكليم.

(ما أعظم ما نرى من خلقك!): تعجب من باهر الخلق وجلال القدرة.

---

(1) في (ب): وكراهيته.

(2) في (ب): توليته.

(3) في النهج: فلا منجى.

(661/2)

(وما أصغر عظيمه في جنب قدرتك!): تعجب آخر من صغره بالإضافة إلى ما هو أكبر منه وأبهر وهو القدرة؛ لأن من فكَّر في القدرة هان عليه وصغر ما يرى من المخلوقات على عظمها بالإضافة إليها.

(وما أهول مانرى من ملكوتك!): الملكوت من الملك، كما أن الرغبوت من الرغبة، والجبروت من الجبر، وهو مبالغة في تلك المعاني.

(وما أحقر ذلك فيما غاب عنا من سلطانك): السلطان هو: الجلال والعظمة، وأراد أنما ندرك(1) بالأعين حقير هين، بالإضافة إلى جلال الله وعظيم سلطانه، الغائب عن الأفهام التي لا يمكنها إدراكه ولا تطلع(2) عليه.

(وما أسبغ نعمك في الدنيا!): أجلها وأعظمها، كما قال تعالى: {وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً}[لقمان:20].

---

(1) في (أ): يدرك.

(2) في (أ): ولا يقطع.

(وما أصغرها في نعم الآخرة): كما قال تعالى: {وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ}[الزخرف:71] وقال عليه السلام: ((في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر))(1) لنسبة نعم الدنيا مع جلالتها إلى ما ذكرناه من نعيم الآخرتكنسبة القرارة إلى المثعنجر(2).

ثم ذكرحال الملائكة بقوله:

(من ملائكة(3) أسكنتهم سماواتك): لعبادتك، واخترت لهم أشرف البقاع، لما تريد ه من كرامتهم.

(ورفعتهم عن أرضك): تكريماً لهم عن المواضع التي وقعت فيها المعصية من غيرهم.

(هم أعلم خلقك بك): لما عرفوه من ملكوتك، فازداد علمهم بك.

---

(1) أخرجه الإمام الموفق بالله الحسين بن إسماعيل الجرجاني (ع) في الاعتبار وسلوة العارفين ص491 من حديث عن سهل بن سعد قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصف الجنة حتى انتهى، ثم قال: ((فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ثم قرأ هذه الآية: {تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وممارزقناهم ينفقون، فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون}))[السجدة:16،17] قال محقق الاعتبار في تخريج الحديث ما لفظه: أخرجه الحاكم في المستدرك بلفظه 413/2 (ط1) ورقم (3549) (ط2) عن أبي صخر، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد إلى أن قال: وأخرجه أحمد 334/5 (ط1) رقم (22319) عن سهل بن سعد، وعزاه في موسوعة الأطراف إلى الطبراني، 190،247/6، ومصنف ابن أبي شيبة (130) والترغيب والترهيب 558/4، وتفسير الدر المنثور 178/5، والقرطبي 77/1. انتهى.

(2) القرارة: الغدير الصغير، والمثعنجر: هو أكثر موضع في البحر ماء (وانظر لسان العرب 357/1).

(3) قوله: من ملائكة، زيادة في النهج.

(وأخوفهم لك): ليقين علمهم بحالك، ولهذا ورد في الحديث: ((خوف الله على قدر معرفته، فمن عظم علمه بالله عظم خوفه منه))(1) ولهذا قال تعالى: {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ}[النحل:50].

(وأقربهم منك): ليس الغرض قرب الجهة، وإنما المقصود هو القرب من الرحمة وقرب المكانة، ورفع

المنزلة، ولهذا يقال: الوزير قريب من الملك، وإن كان منه على مراحل وبرد.

(لَمْ يَسْكُنُوا الأَصْلابَ): أي لم يكونوا نطفاً، ويخلقوا من الأمواه، فيكونون(2) في أصلاب الرجال كسائر الأولاد.

(ولم يضمنوا الأرحام): لأن النطفة من الرجال، لابد من قرارها في أرحام النساء، كما قال تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ}[المؤمنون:13].

(ولم يخلقوا من ما ء مهين): من مني خبيث الرائحة، غليظ الجوهرية، وقد تميزوا عن سائر المخلوقات بأن خلقوا من الأنوار الجوهرية ،وآدم خلق من الطين اللازب(3)، والجان خلق من المارج الناري.

(ولم يشعبهم(4) ريب المنون): منَّ الشيء إذا قطعه، والمنون: المنية، وسميت منوناً؛ لأنها تقطع المدد وتنقص العدد، وشعبه إذا فرقه، والريب: كلما رابك(5) من أمر تكرهه، وأراد أن الملائكة طولت الأعمار في حقهم، فلا يموتون كما يموت بنو آدم، وإنما يموتون(6) دفعة واحدة عند انقضاء الدنيا وزوالها.

(وإنهم على مكانهم منك): في الرفعة، والعلو ، والكرامة، والسمو .

---

(1) له شاهد رواه العلامة الزمخشري رحمه الله في الكشاف 619/3 بلفظ: ((أعلمكم بالله أشدكم له خشية)).

(2) في (أ): فيكون.

(3) الطين اللازب هو: اللاصق والمتماسك والثابت.

(4) في (ب): ولم تشعبهم، وفي شرح النهج: ولم يتشعبهم.

(5) في (ب): أرابك من الأمر.

(6) في (ب): تموت.

(664/2)

(ومنزلتهم عندك): في القرب، والدنو .

(واستجماع هوائهم(1) فيك): حتى أنه لاغرض لهم في غيرك، ولا حاجة لهم في سواك.

(وكثرة طاعتهم لك): في العبادة، وانقيادهم للأوامر كلها.

(وقلة غفلتهم عن أمرك): أي وأنهم يحافظون على الأمر بحيث لا يغفلون عنه ساعة واحدة، فإنهم مع اختصاصهم بهذه الأوصاف كلها.

(لو عاينوا كنه ماخفي عليهم): لو(2) تحققوا غاية ماستر عنهم، من جلال الكبرياء وعظم الإلهية.

(لحقروا أعمالهم): لما يرون من ذلك ما يبهر عقولهم، وتحير فيه أفهامهم، ويرون أعمالهم حقيرة بالإضافة إلى الجلال الباهر.

(ولَزَرَوْا على نفوسهم(3)): أي صغروها بالإضافة إلى ذلك.

(ولعرفوا): عند معرفتهم لذلك.

(أنهم لم يعبدوك حق عبادتك): العبادة الواجبة لك على قدر عظمتك، وعلى قدر جلالك، وعظم نعمتك على الخلائق كلها.

(ولم يطيعوك حق طاعتك): الطاعة التي توجبها العقول لك على قدر حالك.

(سبحانك): تنزيهاً لك عمَّا لايليق بك، وعن التقصير في حقك.

(خالقاً): مخترعاً وموجداً، وانتصابه على التمييز.

(ومعبوداً): متقرباً إليه بكل طاعة.

(بحسن بلائك عند خلقك): بعجيب اختبارك، وامتحانك للخلق ودقيق حكمتك فيهم.

(خلقت داراً): يعني الجنة، وفي هذا دلالة على أنها مخلوقة، وهو قول النظام من المتكلمين، خلافاً لأصحاب أبي هاشم فإنهم زعموا أنها غيرمخلوقة، وما قاله أمير المؤمنين ها هنا هو الذي اخترناه في الكتب العقلية.

(وجعلت فيها مَأدَبَة): أدب القوم يأدبهم إذا دعاهم إلى طعامه، والمأدَبة هي: خلاف الوليمة، وهو ما كان من غير سبب.

---

(1) في النهج: أهوائهم.

(2) قوله: لو، سقط من (أ).

(3) في النهج: أنفسهم.

(665/2)

(مشرباً): كما قال تعالى: فيها أنهار من اللبن والعسل والخمر(1).

(ومطعماً): من الفواكه، وسائر المأكولات.

(وأزواجاً): من الحورالعين، كما قال تعالى(2): {وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ}[البقرة:25].

(وخدماً): كما قال تعالى: {يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ، بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ}[الواقعة:17-18].

(وقصوراً): كما قال تعالى: {وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ}[التوبة:72].

(وأنهاراً): كما قال تعالى: {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ}[البقرة:25].

(وزروعاً(3)): كما قال تعالى: {فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ}[الرحمن:52].

(وثماراً): كما قال تعالى: {وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ}[الرحمن:54] وغير ذلك مما لا يمكن وصفه.
(ثم أرسلت داعياً يدعو إليها): وهم الرسل، وسائر الأنبياء فإنهم بالغوا في الدعاء إلى توحيد الله، والإعلام بما أعد لأوليائه من النعيم الدائم، وبما أعد لأعدائه من العذاب المقيم.
(فلا الداعي أجابوا): فيرغبوا في الأعمال الصالحة، ليفوزوا بالجنة، ويتركوا الأعمال السيئة ليسلموا عن النار.
(ولا فيما رغَّبت رغبوا): من هذه اللذات الدائمة، والنعيم المقيم.

---

(1) يشير المؤلف بذلك إلى الآية القرآنية الكريمة في سورة محمد {مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم... } إلى آخر الآية.
(2) قوله: تعالى، زيادة في (ب).
(3) في (ب): وزرعاً.

(666/2)

(ولا إلى ما شوَّقت إليه(1) اشتاقوا): الشوق: منازعة النفس إلى الشيء، وأراد ولا نزعت(2) نفوسهم إلى شيء مما وعدت به، من هذه الملاذ العظيمة.
(أقبلوا): بصرف نفوسهم وهممهم(3).
(على جيفة(4)): الجيفة هي: جثة الميت، وإنما شبهها بها لما فيها من النضارة والحسن في أول الأمر، ثم تكون عاقبتها فساداً وتغيراً كابن آدم.
(قد افتضحوا بأكلها): فضحه إذا ذكرمساوئه ومعايبه، وأراد أن مساوئهم ظهرت بأكلهم لها، من الأطماع الرديئة، والمكاسب السيئة.
(واصطلحوا على حبها): توافقوا وصالح بعضهم بعضاً على محبتها، وإرادتها من كل وجه.
(ومن عشق شيئاً أعشى بصره): العشق: إفراط المحبة، والعشا هو: سوء البصر، وأراد أن عشقهم(5) أخرج بصرهم عن حد الا ستقامة والإدراك المستقيم؛ لما في ذلك من الإعراض عن الآخرة، التي عليها التعويل، والإقبال على ما لا تعويل عليه(6) من اللذة المنقطعة.
(وأمرض قلبه): أخرجه عن حد الصحة بأن صار مقبلاً على الدنيا، وأعرض عن الآخرة.
(فهو ينظر بعين غير صحيحة): لأنه ينظر في غير سمت الآخرة وطريقها، فهي بمنزلة عين الأحول، الذي ينظر على غير الاستقامة(7) والصواب.

---

(1) إليه، زيادة في النهج.

(2) في (ب): ولا ترغب.

(3) في (ب): وهممهم.

(4) في (ب): على الجيفة.

(5) في (ب): وأراد أن كل عشقهم.

(6) قوله: عليه سقط من (ب).

(7) في (أ): على غير استقامة، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(667/2)

(ويسمع بأذن غير سميعة): لإعراضه عن المواعظ، فهو بمنزلة من لا أذن له، نزل حال من لا يكون منتفعاً بهذه الآلات، من السمع والبصر في أمور الآخرة وأحوالها منزلة من عدمها، وكان فاقداً لها، وقد جاء على هذا النمط قوله تعالى: {لَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا}[الأعراف:179] مبالغة للتنزيل، وحذواً على مثاله، واقتفاءً لآثاره ونسيجاً على منواله.

(قد خرقت الشهوات عقله): أفسدته بلذاتها، فصار بمنزلة الثوب المخروق، كما قال تعالى: {وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ}[إبراهيم:43] لا لب فيها ولا عقل لها.

(وأماتت الدنيا قلبه): غمرته فصار من ذلك بمنزلة من لا حراك به ميتاً عن ذكر الآخرة.

(وولهت عليها نفسه): الوله: ذهاب العقل، وأراد أن عقله ذاهب(1) لشدة وجده عليها، وأسفاً على فراقها.

(فهو عبد لها): لانقطاعه في طلب شهواتها، وطلبه للتنعم فيها كانقطاع العبد في خدمة سيده، وعن(2) هذا قال بعضهم: الشهوة أذلُّ من عبد الرقِّ.

(ولمن في يده(3) شيءٌ منها): يؤمِّل معروفه ويراقب أحواله، ويتعرض لمنافعه.

(حيثما زالت زال إليها): أي جهة مالت الدنيا إليها، فهو مائل معها لا يفارقها طرفة عين.

(وحيثما أقبلت أقبل عليها): ومن إي جهة طلع نعيمها فهو مقبل عليه بوجهه، لا يعرض عنه، فهو مستغرق في جميع أحوالها بالشغل بها.

(لا ينزجر من الله بزاجر): لا تنفعه زواجر الله، وقوارع وعيده فلا يقلع عمَّا هو فيه.

(ولا يتعظ منه بواعظ): ولا يجدي في حقه تذكير الله له بقصص الماضين، وقرعها بسمعه(4).

---

(1) في (أ): ذهب.

(2) في نسخة: وعلى (هامش في (ب)).

(3) في (ب): يديه.

(4) في (ب): سمعه.

(668/2)

(وهو يرى المأخوذين على الغرّة): المبهوتين بأخذ الموت على غفلة، وهذه الكلمة قد وردت بعينها في حديث الرسول عليه السلام، حيث قال: ((أما رأيتم المأخوذين على الغرّة، المزعجين بعد الطمأنينة))(1).

(حيث لا إقالة ولا رجعة): لا تقال لهم عثرة، ولا يرجعون إلى ما كانوا فيستدركون(2) التوبة، ويعاجلون(3) في الإنابة.

(كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون): حاله ولا يخطر لأحد منهم على قلب كُنْهِ تصوره، وهو الموت.

(وجاءهم من فراق الدنيا): انقطاعها عن أيديهم، وزوالها عنهم.

(ما كانوا يأمنون): في أمان منه واطمئنان من وقوعه.

سؤال؛ كل أحد من الخلق يخاف وقوع الموت وهجومه على أي وجه كان، فكيف قال: ما كانوا يأمنون؟

وجوابه؛ هو أنه نزَّل إعراضهم عن الآخرة، وانهماكهم في حب الدنيا، وطلب لذاتها، وشغلهم بها بمنزلة من لا يخطر له الموت على بال، فهو آمن منه في دعة عن هجومه.

(وقدموا من الآخرة على ما كانوا يوعدون): من أهوالها، وعظيم ما أُعدَّ لهم من العذاب فيها.

(فغير موصوف ما نزل بهم): فلعظم ما نزل بهم، وحل بفنائهم يستحيل في العقول وصفه، ولا يمكنها ضبطه، ولنذكر طرفاً من ذلك تعريفاً بحالهم:

(اجتمعت عليهم سكرة الموت): شدته وعظمه، كما قال تعالى: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ}[ق:19].

---

(1) أخرجه الشريف السيلقي في الأربعين السيلقية ص25 من الحديث (13) عن أنس بن مالك.

(2) في (أ): فيستدركوا.

(3) في (أ): ويعاجلوا.

(669/2)

(وحسرة الفوت(1)): أراد أنه اجتمع عليهم مصيبات سكرات الموت، وهوله وانقطاع الأفئدة تحسراً عما كان منهم من التفريط، وإنفاق الأعمار في غير فائدة يعود عليهم نفعها في الآخرة.

(ففترت لها أطرافهم): فلا يستطيعون حركة، ولا ذهاباً بيد ولا رجل.

(وتغيَّرت لها ألوانهم): ألماً، وخوفاً، وجزعاً.

(ثم ازداد الموت فيهم ولوجاً): خالطهم مخالطة عظيمة مستولية.

(فحيل بين أحدهم وبين منطقه): فصار لا ينطق مع كمال عقله، وصحة حواسه، بأن ختم على لسانه.

(وإنه لبين أهله ينظر ببصره ويسمع بأذنه): وهو لا يستطيع النطق لشدة ما نزل به.

(على صحة من عقله وكمال(2) من لبه): أراد أن هذه الأشياء أعني العقل واللب، وسائر الحواس صحيحة، لا آفة بها، خلا أن لسانه قد اعتقل فهو لا يستطيع كلاماً، ولا يقدر عليه.

---

(1) في (أ): المنون، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى، ومن شرح النهج.

(2) في النهج: وبقاء.

(670/2)

(يفكر فيمَ أفنى عمره! وفيمَ أذهب دهره!): يعني أنه عند نزول الموت به يفكر فيما ذكره، وفي الحديث: ((لا تزول(1) قدم امرئٍ حتى يسأل عن ثلاث: عن عمره فيمَ أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيمَ أنفقه؟ وعن علمه فيمَ استعمله))(2)؟

(ويتذكر أموالاً جمعها): لفها(3) من جهات متفرقة.

(أغمض في مطالبها): تساهل في ذلك، يقال: أغمض عينه عن فلان فيم باعه منه، إذا تساهل في ثمنه، قال الله تعالى: {وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ}[البقرة:267].

(وأخذها من مصرَّحاتها): مِمَّا هي صريحة في التحريم لا شك فيها.

(ومشتبهاتها): مما يكون فيه شبهة في كونه حراماً، وليس تصريحاً فهي غير منفكة من هاتين الحالتين.

---

(1) في (ب): لاتزل.

(2) الحديث بلفظ: ((لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عمره فيما أفناه؟ وماله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ وعن عمله ما عمل فيه؟)) عن معاذ أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 69/1، وله فيه طريق آخر ص55 بلفظ: ((لا تزول قدما ابن آدم من عند ربه حتى يسأل

عن خمس...)) الحديث، وزاد ((وشبابه فيما أبلاه)) واللفظ في آخره: ((وماذا عمل فيما علم)) عن ابن مسعود، وأخرج الحديث الإمام أبو طالب في الأمالي ص119 بسنده عن علي عليه السلام بلفظ: ((لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتى يسأله الله عزوجل عن أربع: عن عمره فيما أفناه؟ وعن جسده فيما أبلاه؟ وعن ماله مما اكتسبه، وفيما أنفقه؟ وعن حبنا أهل البيت؟)). وانظر موسوعة أطراف الحديث 115/7، والانتصار على علماء الأمصار للمؤلف 188/1.

(3) في (ب) ونسخة أخرى: لففها.

(671/2)

(قد لزمته تبعات جمعها): مطالبها، من قولهم: تبعت الشيء إذا طلبته، وعن بعض الصالحين: تابعنا الأعمال فلم نجد شيئاً أبلغ في طلب الآخرة من الزهد في الدنيا، أي طلبنا ما هو أشد نفعاً عنها(1).

(وأشرف على فراقها): بدنو أجله، وقرب ارتحاله.

(تبقى لمن وراءه): من الأولاد، وسائر الورثة.

(يتنعمون فيها): بالخضم والقضم لها، وسائر اللذات.

(ويتمنَّعون بها(2)): إما يعتزون بها عمَّن يريد نقصهم، وإنزالهم عن مراتبهم من قولهم: امتنعت من الأسد إذا تحرزت منه، وإما من المنع وهو المروءة، أي يعطونها مروءة منهم وإحساناً على غيرهم من جهتهم، وأصله من المنعة وهي: العز.

(فتكون المهنأة لغيره): المهنأة مصدر هنأه الطعام يهنأه كالمسعاة من سعى مسعاة، وأكلة تهنأه نقيض لما يغص به من الطعام، ولا يجري في حلقه.

(والعبء على ظهره): أي الثقل، وهو: الوزر يحمله على ظهره، كما قال تعالى: {وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ}[الأنعام:31].

(والمرء قد غلقت رهونه): غلق الرهن؛ إذا لم يكن يقدر صاحبه أن يفتكه لوقته المشروط، وهو يستعار لمن وقع في أمرٍ لا يرجو منه خلاصاً.

(دونها): تقصير للغاية، أي هلك من أجلها وبسببها.

(فهو(3) يعض يده ندامة): عضَّ اليد جعل كناية عمَّن انقطعت نفسه حسرة على الشيء، وندامة على فواته من يده، قال تعالى: {وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ [مِنَ الغَيْظِ] (4)}[آل عمران:119].

---

(1) في (ب): منها. وانظر الأثر في تصفية القلوب للمؤلف ص 332.

(2) في النهج: ينعمون فيها ويتمتعون بها.

(3) قوله: فهو، زيادة في النهج.
(4) سقط من (أ).

(672/2)

(على ما أصحر له عند الموت من أمره): ظهر وانكشف، من الإصحار (1) والانكشاف، ومنه الصحراء لظهورها من الندامة والحسرة.
(ويزهد فيما كان يرغب فيه أيام عمره): زهد في الشيء وزهد عنه إذا رغب عنه، ولم يرده يعني أنه بعد(2) الموت يود أنه ما ملك شيئاً من الدنيا، لما يرى من شدة انقطاعه عن ذلك، ووباله(3) عليه.
(ويتمنى أن الذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه): الغبطة: أن تتمنى مثل ما لصاحبك من النعمة، ولا تريد زوالها منه، والحسد: أن تريد زوالها منه إليك، وأراد أنه لفرط ندامته وتحسره، يود أن حاسده وغابطه استوليا عليها، ولم ينل منها شيئاً.
(فلم يزل الموت يبالغ في جسده): بإذهاب الحياة منه، والاستيلاء على بطلانها قليلاً قليلاً.
(حتى خالط سمعه(4)): اتصل به فأبطله.
(فصار بين أهله): حفدته، وأقاربه ملقى بينهم.
(لا ينطق بلسانه): لأنه قد ختم عليه.
(ولا يسمع بسمعه): لأنه قد بطل بالموت.
(ويردد طرفه في(5) وجوههم): يقلب عينيه ذهاباً في كل جهة من القلق والحيرة، كما قال تعالى: {تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ}[الأحزاب:19].
(يرى حركات ألسنتهم): بعينيه التفاتهما.
(ولا يسمع رجع كلامهم): لذهاب سمعه، ورجع الكلام: جوابه.
(ثم ازداد الموت التياطاً به): التصاقاً بحواسه وجميع بدنه.
(فَقُبِضَ بَصَرُهُ كما قُبِضَ سَمْعُهُ): وإنما أخرّ قبض البصر؛ لأنه لابد من مشاهدة الملائكة، وهوآخر أوقات الدنيا.

---

(1) ظنن فوقها في (ب) بقوله: ظ: هو، والمراد: وهو الانكشاف.
(2) في (ب): فوقها ط: عند.
(3) في (ب): وثماله.
(4) في النهج: حتى خالط لسانه سمعه.
(5) في (أ): من، والعبارة في النهج: ويردد طرفه بالنظر في وجوههم.

(وخرجت الروح من جسده): للمتكلمين من علماء الدين خبط عظيم في بيان ماهية الروح ومحله، وكيفيته، وللفلاسفة أيضاً، وليس يتعلق به غرض ديني.

(فصار جيفة بين أهله): يُعَافُ قُرْبُهُ، وتُسْتَقْذَرُ مخالطتهُ.

(قد أوحشوا من جانبه): من الجانب الذي يليه، وهي: المخالطة والمباشرة.

(وتباعدوا من قربه): فرقاً(1) منه ووحشة.

(لا يسعد باكياً): بأن يقول له: سعديك.

(ولا يجيب داعياً): بأن يقول له: لبيك؛ لأنه يندبه بأحسن أوصافه، ويناديه بأرحم أسمائه، وأحقها بالإجابة.

(ثم حملوه): أقلّوه على ظهورهم من غير حركة ولا نطق.

(إلى محطٍّ(2) في الأرض): إلى(3) موضع الحطِّ، والا ستقرار من بعض الأرض، وهي: البراري والأمكنة الخالية.

(وأسلموه فيه إلى عمله): خلوا بينه وبينه مستسلماً منقاداً، لا حائل في ذلك.

(وانقطعوا عن رؤيته(4)): لتغييبهم له بين أطباق التراب، فلا يمكن إدراكه.

(حتى إذا بلغ الكتاب أجله): الحد الذي قدره الله للدنيا، وأذن بانقطاعها وزوالها.

(والأمد مقاديره): مقدارالساعة ووقتها، وزمان القيامة وأوانها.

(وألحق آخر الخلق بأوله): في الموت والإفناء، أو في الابتداء والإنشاء.

(وجاء من أمر(5) الله ما يريد(6)): مما نفذ في علمه، وسبق به قضاءه وحكمه.

(من تجديد خلقه): خلقهم مرة ثانية وإعادتهم.

(أماد السماء): ماد الشيء إذا تحرك واضطرب.

(وفطرها): شقها بنصفين، وأزال نظامها والتئامها، كما قال تعالى: {إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ}[الإنفطار:1].

(وأرجَّ الأرض): حركها بعنف وشدة.

---

(1) أي خوفاً منه.

(2) في النهج: مخط.

(3) قوله: إلى سقط من (ب).

(4) في النهج: زورته.

(5) قوله: أمر، سقط من (أ).

(6) في النهج: ما يريده.

(وأرجفها): الرجفة هي: الزلزلة، ورجف إذا تحرك واضطرب، وسمي(1) البحر رجافاً لكثرة اضطراب أمواجه.

(وقلع جبالها): عن أصولها ومنابتها، وأضاف الجبال إليها لما لها من الاختصاص بها؛ لأنها خلقت تسكيناً لاضطراب الأرض كما سبق تقريره في كلامه.

(ونسفها): نسف البعير الكلأ إذا قلعه.

(ودكَّ بعضها بعضاً): أي جعلها مستوية من غير أنشاز(2)، كما قال تعالى: {فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا}[طه:106] وأراد إما دكَّ الله بعضها ببعض، فيكون الله هو الفاعل، وأما دكَّ بعضها بعضاً فيكون البعض هو الفاعل، وكله(3) محتمل، وكل ذلك بفعل الله وأوامره.

(من هيبة جلاله): من أجل جلاله الذي يهابه كل مخلوق.

(ومَخُوف سطوته): التي لاقدرة لأحد بها، ولا يستطيع دفعها.

(وأخرج من فيها): من جميع المخلوقات كلها، من أنواع الحيوانات وغيرها.

(فجددهم بعد إخلاقهم): فسوَّى صورهم كما كانت، بعد أن كانوا تراباً.

(وجمعهم بعد تفريقهم(4)): ولاءم بين أجزائهم بعد ذهابها في الأرض وتفتيتها(5).

(ثم ميزهم): جعلهم متميزين، لا يلتبس شيء من أحوالهم عليه، ولا يخفى من أمورهم شيء.

(لما يريد من مسألتهم عن(6) الأعمال): حسنها، وقبيحها، وإخلاصها، ومشوبها، وخيرها، وشرها.

---

(1) في (ب): ويسمى.

(2) أنشاز: جمع نَشْز، وهو المكان المرتفع من الأرض. (انظر مختار الصحاح ص660).

(3) في (ب): وكلامه.

(4) في (ب) وشرح النهج: تفرقهم.

(5) في (ب): وتفتتها.

(6) في (ب): على.

(وخفايا الأفعال(1)): والأعمال المخفاة التي أخفاها أهلها، وظنوا أنه لايعلمها، كما قال تعالى: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ} [الزخرف:80]، أو التي أضمروها في قلوبهم عن غيرهم.

(وجعلهم فريقين): أولياء من المؤمنين، وأعداء من الفاسقين والكافرين.

(أنعم على هؤلاء): بالثواب العظيم، والدرجات العالية.

(وانتقم من أولاء(2)): بالعقاب الطويل، والنكال.

(فأما أهل الطاعة(3)): من أهل الإيمان، والأعمال الصالحة.

(فأثابهم بجواره): جعل ثوابهم إسكانهم بالقرب من رحمته.

(وخلدهم في داره): وجعل وقوفهم فيها لا انقطاع له ولا آخر لحصوله.

(حيث لا يظعن النزُّال): جمع نازل، أي حيث لا يُنْقَلُ من نزل فيه.

(ولا يتغير(4) بهم الحال): الحال يذكر ويؤنث، وأراد أنه لايزول ماهم فيه من النعيم المقيم.

(ولا تنوبهم الأفزاع): تصيبهم المصائب التي يفزع منها ويخاف.

(ولا تنالهم الأسقام): لبعدهم عن الآلام بالصحة فلا تصلهم بحال.

(ولا تعرض لهم الأخطار): الخطر: هوالإشراف على الهلاك.

(ولا تشخصهم(5) الأسفار): شخص من مكانه إذا فارقه(6)، وأراد أنهم لا يسافرون لغرض من الأغراض، فهم باقون(7) في أماكنهم مستقرون فيها، فهذه حال أهل الطاعة من المؤمنين.

(وأما أهل المعصية): الذين فعلوها، وتلبَّسوا بها.

(فأنزلهم شر(8) دار): لما أعدَّ لهم فيها من الويل، فلا شرَّ إلا هو فيها، فلهذا كانت شر دار.

---

(1) في النهج: عن خفايا الأعمال، وخبايا الأفعال.

(2) في النهج: هؤلاء.

(3) في النهج: طاعته.

(4) في النهج: ولا تتغير.

(5) في (ب): ولا يشخصهم.

(6) في (أ): فارة، وهو خطأ، والصواب: ما أثبته.

(7) في (ب): فإنهم باقون.

(8) في (أ): أشر.

(وغل الأيدي إلى الأعناق): بأن جعلها مشدودة إليها، فلا يستطيعون تصرفاً بها، كما قال تعالى: {إِذِ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاَسِلُ}[غافر:71].

(وقرن النواصي بالأقدام): كبَّهم فيها بأن ضمَّ النواصي إلى الأقدام وشدَّها، كما قال تعالى: {يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ}[الرحمن:41].

(وألبسهم سرابيل القطران): وهو شيء يستخرج من أشجار كثيرة، وأعظمها شجر العرعر، كما أن النار تستخرج من كل عود، وأعظمها في ذلك المرخ(1) والعفار، قال:

في كل عُودٍ قَبَسٌ ونارٌ

وَاسْتَمْجَدَ الْمَرْخُ وَالْعَفَارُ (2)

يطلى به الإبل فيحرق الجرب بحرِّه وشدة لذعه، وهو أسود اللون منتن الرائحة، من شأنه إسراع النار فيه، وربما يستصبح به، فيطلى به جلود أهل النار ووجوههم، حتى يكون طلاؤه في حقهم كالسرابيل، وهي: القمص(3) لتجتمع عليهم من ذلك مصائب وآلام كثيرة: لذع القطران وحرقته، وإسراع النار فيه، واللون الوحش، والرائحة الخبيثة، مع أن ما بين القطرانين من التفاوت والبعد، شيء لا يمكن إدراكه، ولا يعقل وصفه.

(ومقطعات النيران): أراد أنهم قطعت لهم ثياب من النيران، كما قال تعالى: {قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ}[الحج:19].

---

(1) المرخ: شجر من العضاه من الفصيلة العشارية، ينفرش ويطول في السماء، ليس له ورق ولا شوك، سريع الوَرْي يقتدح به، والعفار: شجيرة من الفصيلة الأريكية، لها ثمر لبِّيّ أحمر، ويتخذ منها الزناد فيسرع الوري، وفي المثل: (في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار) (انظر المعجم الوسيط ص 610، 681).

(2) لسان العرب 463/3 وهو فيه مثل وليس شعراً.

(3) في (ب): القميص.

(677/2)

(في عذاب قد اشتد حره): أي هذه حالهم، وصفتهم مقيمون في عذاب شديد الحر، لاغاية لوصفه.

(ونار(1) قد أطبق على أهله): الغرض بالنار ها هنا هو العذاب، ولهذا ذكَّر ضميرها، ولو أراد ها لقال: أطبقت، وأراد بإطباقها إغلاقها على أهلها، كما قال تعالى: {إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُوصَدَةٌ}[الهمزة:8] أي

مغلقة.

(في نار لها كَلَبٌ ولَجَبٌ): الكلب: التكلب والشدة، واللَّجَب بالتحريك هي: الأصوات العظيمة.

(وَلَهَبٌ ساطعٌ): عالي لشدة حركته وتلهبه.

(وقصفٌ هائل): القصف: الكسر، وقصف العود إذاكسره؛ لأنها تقصف كل شيء أي تكسره، وأراد أن قصفها للأشياء يهول من أبصره، أي يفزعه لشدته.

(لا يظعن مقيمها): عمَّا هو فيه من عذابها، والظعون هو: الانتقال.

(ولا يفادى أسيرها): يستخلص بفداء وإن عظم خطره.

(ولا تفصم كبولها): الكبول: القيود، وأراد أنها لا تزال عن أرجلهم بالقطع.

(لا مدة للدار): لانهاية لعذابها، ولاغاية لانقطاعهم عنها.

(فيفنى(2)): فيكون له انقضاء وغاية وانتهاء.

(ولا أجل لهم(3)): وقت مؤجل من أعمارهم.

(فيقضى): عليهم بالموت، فهذه معرفة حال أهل الدارين.

اللَّهُمَّ، بكرمك الواسع ورحمتك العظيمة، نسألك الفوز برضوانك، والإجارة من عذابك يا أكرم الأكرمين.

(104) ومن خطبة له عليه السلام

(إن أفضل ما توسل(4) به المتوسلون إلى الله تعالى): التوسل هو: التقرب، وأراد أن أقرب ما تقرب به المتقربون إلى الله تعالى.

---

(1) في النهج: وباب.

(2) في (أ): فتفنى.

(3) في النهج: للقوم.

(4) في (ب): ما يتوسل.

(678/2)

(الإيمان به وبرسوله): فإن ذلك أول الإسلام وجوداً، وأعلاه(1) حالة وأكثره(2) ثمرة؛ لأن العلم بالله تعالى والتصديق به والعلم بحال رسوله؛ هما الأصل والقاعدة في المعارف الدينية، والوظائف الشرعية، فلايعقل إيمان من دون ذلك؛ لأن سائر العلوم الإلهية من الصفات والأفعال والسلوب، والإضافات التي يجب إضافتها إلى الله تعالى ونفيها عن ذاته، متفرع على معرفة ذاته، وهكذا

الأعمال الشرعية وجميع الأمور الأخروية، متفرعة على صدق الرسول، فلهذا كان العلم بالله تعالى والتصديق به وبرسوله؛ هما الأصلان من أصول الديانة.

(والجهاد في سبيله): وهما جهادان: جهاد بالحجة، وهو إحياء العلوم بالتدريس، واستنهاض الحجج على المخالفين للدين، وجهاد بالسيف وهو قتل أهل الكفر، وسائر المنكرين للتوحيد وجميع الملل الكفرية.

(فإنه ذروة الإسلام): ذروة كل شيء أعلاه وأفضله.

---

(1) في (ب): وأعلاها.

(2) في (ب): وأكثرها.

(679/2)

(وكلمة الإخلاص): وهي لا إله إلا الله، وإنما سماها كلمة الإخلاص(1)؛ لأن من قالها عن علم ودراية، وشرح بها صدره، فإنها دالة على كونه مخلصاً لله بالتوحيد والإلهية، لأنه نفى(2) كل إلهية وأثبتها لله تعالى خالصة، ولها أسماء كثيرة، وهي: الكلمة الطيبة(3)، كقوله تعالى: {مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً}[إبراهيم:24]، وهي: العروة الوثقى(4)، كقوله تعالى: {فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}[البقرة:256]) وهي: كلمة التوحيد، إلى غير ذلك من الأسماء(5)

---

(1) مما ورد في ذلك ما رواه المرشد بالله في الأمالي الخميسية 14/1 بإسناده عن حنظلة، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: كلمة الإخلاص لا إله إلا الله.

(2) في (أ): يقال، وهو خطأ.

(3) مما ورد في تفسير الآية الكريمة {مثلاً كلمة طيبة} ما أخرجه المرشد بالله في الأمالي الخميسية 23/1 بسنده قال: حدثنا حصين، قال: حدثنا فضيل بن الزبير، عن أبي حمزة، عن علي بن حسين: ((كلمة طيبة)) قال: لا إله إلا الله، ومن طريق آخر عن ابن عباس.

(4) وفي تفسير قوله تعالى: {فقد استمسك بالعروة الوثقى} ما أخرجه أيضاً المرشد بالله في الأمالي الخميسية 14/1بإسناده يبلغ به إلى الأصبغ عن علي عليه السلام: {فقد استمسك بالعروة الوثقى} قال: لا إله إلا الله، ومن طريق آخر عن أبي جعفر وزيد بن علي عليهما السلام: {فقد استمسك بالعروة الوثقى} قال: كلمة التوحيد لا إله إلا الله، ومن طريق آخر 23/1 عن ابن عباس قال: العروة الوثقى لا إله إلا الله (انظر الأمالي الخميسية).

(5) منها ((كلمة التقوى)) ومن ذلك ما رواه المرشد بالله في الأمالي الخميسية 11/1، بسنده يبلغ به

إلى عبابة بن ربعي: {وألزمهم كلمة التقوى} قال: لا إله إلا الله، ومن طريق آخر عن أبي جعفر وزيد بن علي ": {كلمة التقوى} قال: التوحيد، ومن طريق آخر عن ابن عباس: {وألزمهم كلمة التقوى} قال: كلمة الإخلاص.

.

(فإنها الفطرة): إشارة إلى قوله تعالى: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}[الروم:30] فإنه خلقها، أعني العقول(1) قاضية له بالوحدانية، وشاهدة له بالربوبية .

(وإقام الصلاة): الإتيان بها وتأديتها على التمام لأركانها، والخشوع فيها.

(فإنها الملة): أي الدين، وأراد أن كل(2) ما أتى بها فهو باق على الدين مستمر عليه، كما قال عليه السلام: ((الصلاة عماد الدين، فمن هدمها فقد هدم الدين))(3)، وقال: ((بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة))(4).

(وإيتاء الزكاة): وتأديتها على الحقوق المفروضة، في الزروع والأموال والمواشي.

(فإنها فريضة واجبة): على كل مسلم ممن كان حائزاً لما تجب فيه من الأموال.

(وصوم شهر رمضان): والإمساك عما يكون مفطِّراً من المأكولات والوقاع.

---

(1) في (ب): أعني العقول أعني قاضية.

(2) كذا في (أ)، وفي (ب): وأراد أنما كلما أتى بها... إلخ.

(3) أخرجه العجلوني في كشف الخفاء 40/2، وقوله هنا: ((عماد))، فيه: ((عمود))، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 387/5-388.

(4) رواه في مسند شمس الأخبار 274/1 الباب (44) وعزاه إلى مسند الشهاب، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه 167/6، وابن ماجة في سننه 342/1، والترمذي في سننه 13/5، وأورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 298/4 وعزاه إلى مسند أحمد بن حنبل 370/3، والتمهيد لابن عبد البر 229/4، وشرح السنة للبغوي 33/11 وغيرها._ ... _والحديث بلفظ: ((إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة)) رواه الإمام القاسم بن محمدعليه السلام في الاعتصام 135/2 عن جابر رضي الله عنه، وعزاه إلى تحفة المحتاج.

(فإنه جنة من العقاب): حجاب عنه لما فيه من رضاء الله وإسخاط الشيطان، ولهذا قال عليه السلام: ((الصوم لي وأنا أجزي به))(1)، وفي حديث آخر: ((من صام شهر رمضان صابراً محتسباً لله تعالى دخل الجنة))(2).

(وحج البيت واعتماره): والإتيان بهذه المناسك في الحج والعمرة على ما هي مشروعة فيهما جميعاً.

(فإنهما ينفيان الفقر): عمن أتى بهما على وجوههما.

---

(1) أخرجه من حديث قدسي الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 262/1-263 بسنده عن أبي هريرة، وهو بلفظ: ((الصيام لي وأنا أجزي به))، في موسوعة أطراف الحديث 392/5 وعزاه إلى السنن الكبرى للبيهقي 304/4، وإتحاف السادة المتقين 190/4، ومسند الربيع بن حبيب 95/1، والترغيب والترهيب للمنذري 80/2. قلت: وأخرجه البخاري في صحيحه رقم (2723)، ومسلم في صحيحه 807/2، والهيثمي في مجمع الزوائد 180/3.

(2) أخرج قريباً منه الإمام أبو طالب في أماليه صـ 383 برقم (459) بسنده عن أبي سلمة بن أبي عبد الرحمن، عن أبيه، والمرشد بالله في الأمالي الخميسية 288/1 بلفظ: ((من صام رمضان إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)) وللحديث شواهد كثيرة انظرها ومصادرها في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 342/8،340.

(682/2)

(ويرحضان الذنب): يزيلانه من رحض الدرن، إذا أزاله عن يده، فهذه جملة شرائع الإسلام قد أشار إليها عليه السلام، كما أشار إليها الرسول بقوله: ((بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج إلى بيت الله الحرام، وصوم شهر رمضان))(1).

(وصلة الرحم): وصلة من كان بينه وبينه قرابة، بالزيارة والمواساة وما يمكن من أنواع الصلة، كقوله عليه السلام: ((بُلُّوا أرحامكم ولو بالسلام))(2)

---

(1) الحديث شهير، وأخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 33/1بسنده عن ابن عمر، وقوله: ((والحج إلى بيت الله الحرام))، في أمالي المرشد: ((وحج البيت))، وقريباً منه أخرجه الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني في أماليه صـ 237 بسنده عن ابن عمر أيضاً بلفظ: ((بني الإسلام على خمس: توحيد الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، فقال: رجل: الحج وصيام رمضان، قال: لا، صيام شهر رمضان والحج. هكذا سمعته من رسول اللهصلى الله عليه

وآله وسلم)) وللحديث مصادر كثيرة انظر موسوعة أطراف الحديث النبوي 293/4.
(2) الحديث بلفظ: ((بلُّوا أرحامكم بالسلام ولو في السنة مرة واحدة)) أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 127/2بسنده عن جابر، والحديث باللفظ الذي أورده المؤلف هنا هو في نهاية ابن الأثير 153/1، وقال في شرحه: أي ندّوها بصلتها وهم يطلقون النداوة على الصلة كما يطلقون اليبس على القطيعة؛ لأنهم لما رأوا بعض الأشياء يتصل ويختلط بالنداوة، ويحصل بينهما التجافي والتفرق باليبس، استعاروا البلل لمعنى الوصل، واليبس لمعنى القطيعة.

وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان 226،227/6، وابن حجر في فتح الباري 423/10، وهو في مسند الشهاب 379/1، والزهد لهناد 492/2.

(683/2)

، فهو أدنى ما يوصل به الرحم، وقال عليه السلام: ((يقول الله تبارك وتعالى: الرحم اشتققت اسمها من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته))(1).
(فإنها مثراة في المال): المثراة: مفعلة من ثرى المال إذا كثر وفشا، قال علقمة(2):
يُرِدن ثراء المال حيث عَلِمْنَهُ

وَشَرْخُ الشبابِ عِندهنَّ عجيبُ(3)

(منسأة في الأجل): المنسأة: مفعلة من النسيان وهو خلاف الذكر، كما قال الله تعالى: {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ}[التوبة:67].
سؤال؛ كيف قال في صلة الرحم: إنها مثراة ومنسأة، والأرزاق والآجال مقدرة لا يزاد فيها ولا ينقص، وكلامه يدل [على] (4) خلاف ذلك؟
وجوابه؛ من وجهين:

---

(1) الحديث بلفظ: ((قال الله عزوجل: أنا الرحمن خلقت الرحم، واشتققت لها من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بتته)) أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 130/2 بسنده عن عبد الرحمن بن عوف، ورواه في مسند شمس الأخبار 174/2 في الباب (142) عن عبد الرحمن بن عوف، وعزاه إلى أمالي المرشد بالله، وقال في تخريجه: أخرجه أحمد، والبخاري في الأدب، وأبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم في المستدرك عن عبد الرحمن بن

عوف، والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة. انتهى. وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي 627/5-628.

(2) هو علقمة بن عَبَدة بن ناشرة بن قيس، المعروف بعلقمة الفحل، المتوفى نحو سنة 20ق هـ من بني تميم، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، كان معاصراً لامرئ القيس وله معه مساجلات. ولعلقمة ديوان شعر مطبوع (الأعلام 247/4).

(3) لسان العرب 355/1، وشرخ الشباب: أوله.

(4) سقط من (أ).

(684/2)

أما أولاً: فيحتمل أن الله لا يرزقه هذا الرزق، ولا يؤخره إلى هذا الأجل إلا بشرط صلته(1) الرحم، ولا يستحقه إلا بذلك.

وأما ثانياً: فيحتمل أن يقال: إن الآجال والأرزاق لا نقص فيها ولا زيادة، ولكنه إذا وصل رحمه جعل الله له(2) من الألطاف الخفية في أعمال صالحة وتقربات متقبلة مالولم يصلها لكان لا تحصل له تلك الأفعال إلا في(3) أعمار طويلة فتكون منسأة الأجل متأولة على ماقلناه، وهكذا فإن الله تبارك وتعالى يبارك له فيما رزقه من الأرزاق وأعطاه منها إذا وصل رحمه، ما لو لم يصلها لكان لا يحصل ما حصل إلا بأموال كثيرة، فتكون المنسأة في الآجال، والمثراة في الأموال متأولتين على ما قلناه.

(وصدقة السر فإنها تكفِّرالخطيئة): أي تمحوها وتبطلها.

(وصدقة العلانية فإنها تدفع ميتة السوء): وكان الرسول عليه السلام يعوذ بالله من ميتة السوء.

(وصنائع المعروف فإنها تقي مصارع الهوان): انقلاب الحال وتغيره، ((وكان عليه السلام يعوذ بالله من الحور بعد الكور))(4)، وهو النقصان بعد الزيادة.

(أفيضوا في ذكر الله): أكثروا منه، من قولهم: فاض الحوض إذا كثر ماؤه.

(فإنه أحسن الذكر): كما قال تعالى: {وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ}[العنكبوت:45].

---

(1) في (ب): صلة.

(2) قوله: له، زيادة في (ب).

(3) قوله: في، سقط من (أ).

(4) أورد الحديث ابن الأثير في النهاية 458/1 وقال في شرحه: أي من النقصان بعد الزيادة، وقيل: من فساد أمورنا بعد صلاحها، وقيل: من الرجوع عن الجماعة بعد أن كنَّا منهم._ ...

_وأخرج الحديث ابن خزيمة في صحيحه 138/4، والترمذي في سننه 497/5، والبيهقي في السنن الكبرى 250/5.

(685/2)

(وارغبوا فيما وعد المتقين): في قوله تعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ...}إلى آخر الآية[محمد:15]، وقوله تعالى: {وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}[آل عمران:133] وهم الذين اتقوا الله تعالى، وراقبوه في جميع أحوالهم في السر والعلانية.
(فإن وعده(1) أصدق الوعد): من حيث كان حكيماً، لا يجوز عليه الكذب في وعده.
(واقتدوا بهدي نبيكم): سنته، وطريقه التي قررها لكم.
(فإنه أفضل الهدي): لأنه عليه السلام أفضل الأنبياء قدراً، وأوسعهم صدراً وأسهلهم شرعاً، وأوضحهم طريقة، كما قال: ((بعثت بالحنيفية السمحة))(2).
(واستنوا بسنته): اسلكوا على طريقته، أخذاً لها من سنن الطريق.
(فإنها أهدى السنن): أعظمها بياناً، وأكثرها دلالة(3) على الخير.

---

(1) في (ب): فإن وعد الله.
(2) أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 265/4 وعزاه إلى مسند أحمد بن حنبل 266/5، وتفسير القرطبي 39/19، والدر المنثور 249/1،140، وكنز العمال برقم(900) و(32095)، وغيرها.
(3) قوله: دلالة سقط من (ب).

(686/2)

(وتعلموا القرآن(1)): اقرأوه، وفي الحديث: ((مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها))(2).
(فإنه ربيع القلوب): تحيا به القلوب كما تحيا الأرض بالربيع، أو أنها تظهر أنوارها به كما تظهر أنوار الأرض عند الربيع، وهي استعارة بديعة رائقة.
(واستشفوا بنوره): اطلبواالشفاء منه، لما نزل بكم من الأدواء في الدين والعاهات.
(فإنه شفاء الصدور): عن الشك والريب، والوسوسة.

(وأحسنوا تلاوته): بتقويم الأحرف، وإخراجها عن(3) مخارجها وتحسين الأصوات، وسلامته عن اللحن.

(فإنه أنفع القصص): أدخلها في النفع والاعتبار، لما فيها من الاتعاظ بالقرون الماضية، والقصص فيه روايتان: بكسر القاف جمع قصة أي أنه أنفع الروايات المقصوصة، وبفتح القاف إما مصدر بمعنى الاقتصاص، وإما اسم عن مصدركأنه قال: أنفع الأخبار وأعلاها حالاً.

(وإن العالم): بالدين وأحكام الشريعة، وغير ذلك من العلوم.

(العامل بغير علمه): المخالف لما يعلمه من ذلك ولما أمر(4) الله به.

(كالجاهل): لأن علمه غير نافع له كما أن الجاهل حاله ذلك.

---

(1) في النهج: وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب.

(2) أخرجه من حديث الإمام أبو طالب في أماليه ص 563-564، بسنده عن أنس، والمرشد بالله في الأمالي الخميسية 83/1، بسنده عن أنس أيضاً، وهو في موسوعة أطراف الحديث 367/9 وعزاه إلى مصادر كثيرة انظرها في الموسوعة، وأخرجه ابن حبان في صحيحه 48/3،47، والدارمي في سننه 535/2، وابن ماجة في سننه 77/1، والنسائي في سننه (المجتبى) 124/8.

(3) في (ب): من.

(4) في (ب): أمره.

(687/2)

(الحائر): المتحير في طريقه لايهتدي لسلوكها.

(الذي لا يستفيق من جهله): أي(1) لاينهض من عثارجهله، من قولهم: فاق واستفاق من مرضه وسكره.

(بل): إضراب عمَّا ذكره(2) من وصف العالم الذي لا يعمل بعلمه، ودخول في نوع آخر من صفاته مبالغة في ذلك، ونعتاً لفعله وتسجيلاً على صنيعه.

(الحجة عليه أعظم): لمخالفته لما يعلم من ذلك؛ لأن الجاهل ربما عذر، فأما العالم فلاعذر له في ذلك، فلهذا كان محجوجاً عند الله تعالى.

(والحسرة له ألزم): التلهف على ما فاته من العمل بعلمه أكثر لزوماً له.

(وهو عند الله ألوم): أكثر لوماً، وألام الرجل إذا فعل فعلاً يلومه الناس عليه ويمقتونه.

ثم أطال في ذكر حال الرسول وبيان أوصافه بقوله:

(قد حقَّر الدنيا وصغَّرها): التحقير من الحقارة، والتصغير من الصغار، وهو مبالغة في كثر(3) ذلك

وزيادته، وأراد أنه استرذلها في كل أحوالها وأحواله.
(وأهون بها وهوَّنها): أهون بها، أي صار ذاهون بها وتحقير لحالها، وهوَّنها: أي جعلها هينة عنده.
سؤال؛ أراه ها هنا عدى أحد الفعلين بنفسه، والآخر عداه بحرف الجر، وكلاهما فيه حرف التعدية، فما وجه ذلك؟
وجوابه؛ هو أن الهمزة في أهون بها ليست حرف تعدية، وإنما هي للدلالة على صيرورة الشيء ذا كذا كما قالوا: أحرب الرجل إذا صار ذا حرب في ماله، وألام وأرأب إذا صار ذا لوم وريب، فلهذا وجب تعديته بحرف الجر، كما قال تعالى: {وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ[وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ](4)}[يوسف:100].

---

(1) في (ب): الذي.
(2) في (ب): عمَّا تقدم ذكره.
(3) في (ب): كثرة ذلك وزيادة.
(4) سقط من (أ).

(688/2)

(وعلم(1) أن الله تعالى قد زواها): طواها وقبضها.
(عنه اختباراً): إما من الاختبار وهو الا متحان، وإما من الاختيار وهو الاصطفاء، وكلاهما حاصل في حقه صلى الله عليه وآله، فإن الله تعالى ما طواها في حقه إلا كرامة له بالامتحان، ليعظم الأجر وترتفع المنزلة له عند الله، وإما من أجل اصطفاء الله له وتشريفاً له عن(2) التضمخ بها والتعلق بهدَّابها(3).
(وبسطها لغيره): تمكن من لذاتها والتنعم فيها غيره من سائر المخلوقين.
(احتقاراً): إما لأن خطرها حقير، و((لو كانت الدنيا تسوى عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة))، وإما لمن أعطيت إياه فيشتغل بها، ويلهو عن الطاعة فَيَسْتَحْقَرَ حاله عند الله، من أجل تعلقه(4) بها وانهماكه في حبها.
(فأعرض عن الدنيا بقلبه): لهوانها(5) عليه، وانقطاع نعيمها.
(وأمات ذكرها عن نفسه): فهو لا يذكرها بلسانه، ولا يخطرها على قلبه.
(وأحب أن تغيّب زينتها عن عينه): إما بأن يغيبها الله فيكون الفعل مبنياً لما لم يسم فاعله، وإما أن يغيبها هو عن عينه فيكون مبنياً لما سمي فاعله(6).
(لكيلا يتخذ منها رياشاً): الرياش هو: اللباس الفاخر.

(و(7)يرجو فيها مقاماً): أي إقامة أو لبثاً في موضع الإقامة، وعلى هذا يكون المقام موضع الإقامة.
(بلغ(8) عن ربه): ما أرسله به(9) من الشرائع، والأحكام، ووصف أمر(10) الآخرة.

---

(1) في (ب): ونسخة أخرى وشرح النهج: وعلم، كما أثبته، وفي (أ): واعلم..
(2) في (ب): من.
(3) في (ب): بأهدابها، وقوله: هدابها، وأهدابها أي أغصانها.
(4) في (ب): تغلغله.
(5) في (ب): لهونها.
(6) في (ب): فاعل.
(7) في النهج: أو.
(8) في (ب): وبلغ.
(9) قوله: به سقط من (أ).
(10) في (أ): من.

(689/2)

(معذراً): بالغاً في الإعذار كل غاية.
(ونصح لأمته): بالغ في النصيحة من كل جهة.
(منذراً): عن العقوبات العظيمة، والنكالات الشديدة.
(ودعا إلى الجنة مبشراً(1)): إلى(2) ما يكون موصلاً إلى الجنة، من الأعمال الصالحة بتعريفها، والحث على الإتيان بها.
(نحن شجرة(3) النبوة): وهذا من الاستطرادات العجيبة، وقد نبهنا عليها في مواضع كثيرة من كلامه، فبيناه يتكلم في وصف الرسول في ذم الدنيا وإهمالها، إذ(4) خرج إلى ذكر نفسه وأولاده، ومعنى شجرة النبوة إما عاماً وأراد به شجرة إبراهيم وإسماعيل، وإما أراد نبوة الرسول وهو عبد المطلب، والشجرة هي: أصل ذلك الشيء، والأقرب أن مراده شجرة الرسول عليه السلام، وأراد أنه هو(5) والرسول من شجرة واحدة أُخِذَا.
(ومحطُّ الرسالة): المحط: مكان الحط والوضع، أي حيث تكون الرسالة موضوعة.
(ومختلف الملائكة): أي حيث [كان](6) مكان اختلاف الملائكة، وهذا ظاهر فإن جبريل وغيره من الملائكة، كانوا يختلفون في حجرات الرسول وبيوته كلها.
(ومعادن العلم): التي يؤخذ منها، كمعادن الذهب والفضة.

(وينابيع الحكمة(7)): ينبوع الماء هو: تفجره.

(ناصرنا(8)): بقلبه ولسانه ويده.

(ينتظرالرحمة): وهو إرادته لنفعه، وإكرامه له.

(ومبغضنا): من يريد نزول الضرر بنا.

(وعدونا): المجانب لنا، والمظهرللعداوة.

(ينتظرالسطوة): من الله تعالى، وهي: المعاجلة بالعقوبة.

---

(1) قوله: مبشراً، زيادة في النهج.

(2) في (ب): أي.

(3) في (أ): شجر، والصواب كما أثبته من (ب) والنهج.

(4) في (أ): إذا.

(5) قوله: هو سقط من (أ).

(6) سقط من (ب) ومن نسخة أخرى.

(7) في النهج: الحكم.

(8) في شرح النهج: ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة، وعدونا ومبغضنا...إلخ.

---

(105) ومن خطبة له عليه السلام

(أما بعد، فإني أحذركم الدنيا): التحذير: التخويف؛ لأن فجعائها متوقعة، وحوادثها منتظرة، فإذاً هي أخلق الأشياء بأن يحذر منها أي يخاف.

(فإنها حلوة): في فم ذائقها.

(خضرة): في عين من أبصر إليها تعجبه بنضارتها.

(حفت بالشهوات): أي أن الشهوات محيطة بها من جميع جهاتها، والمحفوف المستدارحوله فلا جانب منها إلا وهو مشتهى.

(وتحببت بالعاجلة): أراد أنها محبوبة لما فيها من العاجل، وخلقت النفوس على إيثارالعاجل وترك الآجل.

(وراقت بالقليل): راق الشيء يروق إذا كان معجباً، وأراد أن إعجابها قليل لما يتبعه من الانقطاع عنها، وبطلان لذاتها.

(وتحلَّت بالآمال): وأراد أن حلاوتها إنما ظهرت بالأمور المؤملة منها في المستقبل، فإنها هي التي

حلّتها، فلهذا تهالك الناس في حبها وطلبها.
(وتزينت بالغرور): أي أن زينتها لم تكن إلا بالاغترار في حالها، فلو عقل حالها وانقطاعها ما اغتربها مغتر، ولكنها غرتهم فتزينت بذلك لهم.
(لا تدوم حَبْرَتُهَا): نعيمها، وسرورها.
(ولا تؤمن فجيعتها(1)): أي ليسوا منها على ثقة؛ في أنها تفجعهم في أنفسهم وأموالهم كلها، بالموت في الأنفس والزوال في الأموال.
(غرّارة): بالغة في الغرر كل غاية.
(ضرَّارة): لا تقصِّر عن الضرر في كل أحوالها.
(حائلة): تتقلب بأهلها من حال إلى حال، ولله دَرُّ من قال:

دَعِ الْمَقَادِيْرَ تَجْرِي فِيْ أَعِنَّتِهَا

واصْبِرْ(2) فَلَيْسَ لَها صبرٌ عَلى حَالِ

يوماً تُرِيْكَ خَسِيْسَ الْقَدْرِ تَرْفَعُهُ

فَوْقَ السِّماكِ ويوماً تَخْفِضُ الْعَالِي

---

(1) في النهج: فجعتها.
(2) في (ب): صبر.

(691/2)

(زائلة): بيناك تراها حاصلة لفريق إذا(1) تولت عنهم وأدبرت.
(نافدة): من النفاد، وهو: الهلاك.
(بائدة): وهو التغير؛ لأنها تبيد أهلها أي تزيلهم.
(أكّالة): كثيرة الأكل، وأكلها إذهابها لأهلها، بمنزلة البهيمة الأكولة.
(غوّالة):كثيرة الخدع، والمكر بأهلها.
(لا تعدو إذا تناهت إلى أمنية أهل الرغبة): الأُمْنِيَة: ما يتمناه الإنسان، ويودُّ حصوله.
(والرضاء بها): أي وأهل الرضاء بها، والمعنى في هذا أنها لاتجاوز وإن بلغت كل غاية عند من رضي بها، ورغب فيها وتمنَّاها، وجدَّ واجتهد في التنافس فيها.

(أن تكون كما قال الله تعالى): أي يكون حالها مشبهاً لما وصفه الله تعالى بقوله:
{كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا...}إلى آخر الآية(2)[الكهف:45]): فهي لاتعدو هذا التشبيه، وهذا التشبيه من التشبيهات المركبة فشبَّه الله الدنيا في سرعة انقضائها، وانقراض نعيمها وزواله بعد إقباله وغضارته وحسنه، بحال نبات الأرض عند نزول المطر عليه(3)، واختلاطه بها، فالتفَّ بسببه وتكاثف، واخضرَّ وأورق، ثم صار بعد ذلك هشيماً محطوماً مكسراً، تُفَرِّقُه الريح في كل جانب حتى لايبقى له أثر،كأن لم يكن، وقد أكثر الله تعالى تمثيل الدنيا بالزرع في غيرآية من كتابه، لما يظهر في أول حالها من رونقها، وطلاوتها وحسنها، وسرعة تغيّرها، ونفادها وزوالها.
(لم يكن امرؤ فيها(4) في حَبْرَةٍ): نعيم وسرور.
(إلا أعقبته): على الفور والسرعة .

---

(1) في (ب): إذ.
(2) بقية الآية الكريمة: {تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً}.
(3) العبارة في (ب): بحال نبات الأرض عند المطر وغلبه اختلاطه بها.
(4) في شرح النهج: منها.

(692/2)

(بعدها): بعد الْحَبْرَةِ.
(عَبْرَةَ): إما اعتبار بتغيرحالها واتعاظ، وإما انسكاب دمعة، لما يعتري من أحزانها وآلامها.
(ولم يلق من(1) سرّائها بطناً): أي يلاقي، والسراء هي: المسرة.
(إلا منحته من ضرّائها ظهراً): المنحة: العطية، ومنحه إذا أعطاه.
(ولم تَطلَّه فيها(2) ديمة رخاء): الديمة هي(3): المطر الدائم.
(إلا هتنت عليه مزنة بلاء): المزن: [على وزن فعل] (4) هو السحاب، وهتنت إذا أمطرت، وأراد في هذا كله أنه لا يكون فيها خير إلا وتعقَّبه شر، يكون مثله أو يزيد عليه.
(وحري إذا أصبحت له متنضِّرة): الحري: هو الحقيق بالشيء، والمتنضّر: كثير النضارة والحسن.
(أن تمسي له متنكرة): لما يلحق فيها من التغير في الأحوال، حتى ينكرها من عرفها.
(وإن جانب منها اعذوذب واحلولى): افعوعل لا يرد إلا للمبالغة فيما هو فيه، وجانب مرفوع على إضمار فعل يفسره ما بعده، من حيث كان حرف الشرط لا يليه إلا الأفعال.
(أمرّ منها جانب فأوبى!): أي أمرض من الوباء، وهو: المرض، وأرض وبّية.

(لاينال امرؤ من غضارتها رَغَباً): الغضارة هي: الحسن والإعجاب، والرغب: ما يُرْغَبُ فيه من الأشياء، وهو بمعنى مفعول أي مرغوب، كالنقص بمعنى المنقوص، ويحتمل أن يكون مصدراً بمعنى الرغبة، كقوله تعالى: {رَغَبًا وَرَهَبًا}[الأنبياء:90] أي رغبة ورهبة.

---

(1) في النهج: في.

(2) قوله: فيها، زيادة من شرح النهج.

(3) قوله: هي، زيادة في (ب)، وفي نسخة أخرى.

(4) سقط من (ب)، ومن نسخة أخرى، والعبارة في (أ): المزن على وزن فعيل، ولعل الصواب كما أثبته.

(693/2)

(إلا أرهقته من توآئها(1) تعباً): الإرهاق: الإغشاء، أرهقته كذا إذا أغشيته(2) إياه، والتوى: الهلاك، والتعب: نقيض الراحة وضدها.

(ولا يمسي منها في جناح أمن): ذكر الجناح استعارة، كما قال تعالى: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ}[الإسراء:24].

(إلا وأصبح على قوادم خوف): القوادم: جمع قادمة من الطير، وهي مقاديم ريشه، وهن(3) عشر في كل جناح.

(غرارة): لكل من ركن إليها، واطمأن إلى شهواتها.

(غرور): كثيرة الغرور بأهلها.

(ما فيها): طرفها وعجائبها، أي أنها هي الغارَّة لمن انخدع بها.

(فانية): منقضية زائلة.

(فانٍ من عليها): زائل غير باقٍ، كما قال تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ}[الرحمن:26].

(لا خير في شيء من زادها(4)): لذهابه، وانقطاعه عن صاحبه.

(إلا التقوى): فإنها باقية نافعة لصاحبها.

(من أقلّ منها): من جمع حطامها، وادخار نفائسها، وأنفقها لوجه الله، وابتغاء مرضاته.

(استكثر مما يؤمّنه): من الثواب، ورضوان الله، والسلامة من عقاب الله والأمن منه.

(ومن استكثر منها): بجمع حطامها، وادخارها.

(استكثر مما يوبقه): يهلكه؛ لأن الإكثار منها(5) اشتغال بجمعه، وغفلة عن الآخرة، وهذا هو نهاية الهلاك.

(وزال عمَّا قليل عنه): إما بتفرقه عن يده بالتلف، والاجتياح بضروب الآفات، وإما بالموت عنه والانقطاع.

(كم واثق بها قد فجعته): كثير لا يمكن إحصاؤه ممن اطمأن إليها، قد فجعته: أوجعته بمصائبها وحوادثها.

(وذي طمأنينة إليها): اتكال واستناد.

---

(1) في شرح النهج: نوائبها.

(2) في (ب): غشيته.

(3) في (ب): وهي.

(4) في شرح النهج: أزوادها.

(5) قوله: منها، سقط من (أ).

(694/2)

(قد صرعته): وضعته لجنبه، إما حقيقة بالموت بوضعه في لحده لجنبه، وإما مجازاً بإدبارها عنه وغلبتها عليه في كل أحواله.

(وذي أبَّهة): عظمة وتكبر.

(قد جعلته حقيراً): الحقارة هي: الصغار والقماءة(1).

(وذي نخوة): سلطان ورفعة.

(قد ردته ذليلاً!): بعد عزه وفخره الذي كان فيه من قبل.

(سلطانها): عزها وملكها.

(دول): جمع دَولة بفتح الفاء في الحرب، وبضمها في المال، وجمعها دول، أي تتداول مرة لهذه ومرة لذاك.

(وعيشها): العيشة: الحياة، والعيش: ما يعاش به، والمصدر منه معاشاً ومعيشاً، قال الله تعالى: {فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ}[الحاقة:21].

(رَنِقٌ):كدر.

(وعذبها): وما يستحسن منها، ويعجب منه من لذاتها.

(أجاج): الأجاج: المالح، قال الله تعالى: {وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ}[الفرقان:53].

(وحلوها صَبِرٌ): وما يحلو منها فهو في الحقيقة مر يشبه مرارة الصبر.

(وغذاؤها سِمَام): وما يصلح الجسد منها من الأغذية فهو سم قاتل، وجمعه سُمُوْمُ وَسِمَامُ.

(وأسبابها رِمَام): الرُمة بضم الراء هي: قطعة الحبل، والرمة: العظم البالي، وأراد ما يتعلق منها من سائر التعلقات، فهو واهي منقطع لاقوة له، بمنزلة العظم الذي يتفتت من البلاء لضعفه.

(حَيُّهَا): من(2) كان فيها من أهلها.

(بِعَرَضِ موت): أي يعرض له الموت عن قرب.

(وصحيحها): ومن كان فيها على منهاج الصحة والاستقامة فهو لا محالة.

(بِعَرَضِ سُقْمٍ): تعرض(3) له الأسقام على القرب.

---

(1) القماءة: الصغار والذلة.

(2) قوله: من، سقط من (أ)، ولفظ العبارة في نسخة أخرى: من كان حياً فيها من أهلها.

(3) في (ب): تعترض.

(695/2)

(ملكها مسلوب): من صاحبه يسلب(1) عنه، إما بالموت، وإما بأن يقهره غيره عليه ويأخذه.

(وعزيزها مغلوب): ومن كان عزيزاً فيها من أهلها، فهو عن قريب يُغْلَبُ ويُقْهَرُ.

(وموفورها منكوب): النكب: الميل في الشيء، والنكبة: واحدة من نكبات الدهر، وأرادهاهنا وما يتوفر فيها من أهل أومال، فهو عن قريب إما مائل زائل عن استقامته، وإما بصدد الإصابة له من نكبات الدهر.

(وجارها): ومن كان سا كناً فيها مجاوراً لها.

(محروب): أي مسلوب من جميع ما في يده من خيرها، يقال: حربته ماله إذا سلبته إياه.

(ألستم في مساكن من كان قبلكم): استفهام من جهة من يعلم حقيقة الأمر في ذلك، وأراد فيه التقرير كالاستفهامات الجارية في كتاب الله تعالى،كقوله: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} [الشرح:1]، {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى}[الضحى:6] وغير ذلك، وأراد جميع القرون الماضية، والأمم الخالية.

(كانوا(2) أطول أعماراً): نفس في أعمارهم آماداً متطاولة.

(وأبقى آثاراً): وكانوا في غاية القوة فبقيت آثارهم، وهذا ظا هر في(3) زماننا هذا، فإنَّا نجد أمكنة فيها آثار عظيمة، مثل (بينون)(4) و(براقش) (5) وغيرهما، مما لايقدر على مثله في هذه الأزمنة.

---

(1) في (ب): يستلب، وفي نسخة أخرى: مستلب.

(2) في (ب): وكانوا، والكلمة سقط من شرح النهج.

(3) قوله: في، سقط من (ب).

(4) بينون: ذكر في صفة جزيرة العرب للهمداني أنها من أرض عنس بالحدا.

(5) براقش: من أهم المدن الأثرية في اليمن، وتقع بالجهة الغربية من مدينة معين، ضمن مدن وادي الجوف، وقد اندثرت ولم يبق منها اليوم سوى معالم سورها القديم وبقايا معابدها وبعضاً من النقوش (انظر معجم البلدان والقبائل اليمنية للمقحفي ص 67).

(696/2)

(وأبعد آمالاً): ولولا بُعْدُ آمالهم وتطاولها؛ لما أثرواهذه الآثار ،فإنها تصلح أن تكون آثاراً لمن يُخَلَّدُ(1).

(وأعدَّ عديداً): أي وهم أكثر عديداًمن غيرهم، وأعظم كثرة.

(وأكثف جنوداً): تكاثف السحاب إذاركب بعضه بعضاً، وأراد أن الجنودكثيرة يركب بعضها بعضاً لعظمها.

(تعبدوا للدنيا): خضعوالها، وذلوا لخدمتها.

(أي تعبد): ذلاً لايمكن وصفه، ولايمكن الإحاطة بِكُنْهِهِ، واستفهم عن حاله ليدل على أنه غير معلوم.

(وآثروا الدنيا أي إيثار): آثرته(2) بكذا إذا أوليته إياه، وجعلته أحق به، وأراد أنهم آثروها بالإقبال عليها، والعمارة لها والإخلاد إليها، والطمأنينة فيها.

(ثم ظعنوا عنها): ارتحلوا.

(بغير زاد مبلغ): تشبيهاً لحالهم بمن يقطع مفازة لا أنس فيها، وليس معه زاد يُبَلِّغه فإنه يهلك لامحالة عطشاً وجوعاً، وهؤلاء قد عدموا التقوى وهى الزاد على الحقيقة، فهم هالكون لا شك في ذلك.

(ولا ظهر قاطع): ولارواحل معهم يقطعون بها هذه المفاوز.

(فهل بلغكم): أتاكم في القصص، والأخبار المأ ثورة عنهم، وأحاديث قصص أخبارهم.

(أنَّ الدنيا سخت لهم نفساً): السخاء هو: الجود والبذل، أي أن الدنيا جادت نفساً لهم.

(بفدية): فيفدونها(3) عما أوقعته بهم من الفجائع والتغيرات.

(أو أغاثتهم بمغوثة(4)): فيما نابهم وغيرَّ أحوالهم.

(أو أحسنت لهم صحبة!): فيما بقيوا من أيامها، وتنفَّسوا في مُهْلَتِها.

---

(1) في (أ): تخلد.

(2) في (ب): آثره.

(3) في (ب): فيفتدونها.

(4) كتب فوق العبارة في (أ) كلمة: معاً، والمراد أنه يصح أن تكون العبارة أو أغاثتهم بمغوثة، أو تكون: أو أعانتهم بمعونة، هذا والعبارة في شرح النهج: أو أعانتهم بمعونة.

(697/2)

(بل): إضراب عمَّا ذكره أولاً من صنع الدنيا بأهلها، ودخول في وصف آخرتها بأهلها.

(أرهقتهم بالفوادح): أي أغشتهم، وألحقتهم(1) بالأمورالفادحه، أي المثقلة، من قولهم: فدحه الدين إذا أثقله، وفي الحديث: ((وعلى المسلمين ألا يتركوا مفدوحاً في فداء ولا عقل))(2) وأمر فادح: إذا(3) بهظ وأثقل صاحبه.

(وأوهنتهم(4) بالقوارع): الوهن: الضعف، قال تعالى: {إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي}[مريم:4] أي وأضعفتهم بالمصائب التي تقرعهم، كما قال تعالى: {وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ}[الرعد:31].

---

(1) في (ب): أي غشيتهم بالأمور الفادحة.

(2) روي هذا الحديث في مجموع الإمام المرتضى محمد بن الإمام الهادي إلى الحق عليهما السلام في مجموعه 628/2 في مسائل عبد الله بن الحسن، وقال الإمام المرتضى في شرحه: هذا خبر صحيح عنه عليه وآله السلام لأنه يجب على المسلمين أن يرفدوا المسلم في غرمه وفادح أمره الذي لزمه في غير معصية ولا سرف، وقد يجب أيضاً على الإمام أن يقوم بذلك إذا كان قائماً؛ لأن الله سبحانه قد جعل في أمواله للغارمين سهماً. انتهى، والحديث أورده ابن الأثير في النهاية 419/3، وانظر السنن الكبرى للبيهقي 106/8.

(3) قوله: إذا زيادة في (ب).

(4) في شرح النهج: وأوهقتهم، أي جعلتهم في الوهق بفتح الهاء، وهو حبل طويل يشد به قائمة الدابة.

(698/2)

(وضعضعتهم بالنوائب): ضعضعه إذاهدم بناءه إلى الأرض، وضعضعه الدهر إذا خضع وذل، وفي الحديث: ((ما تضعضع امرؤ لآخر يريد [به](1) عرض الدنيا إلا ذهب ثلثا دينه))(2) قال أبو

ذؤيب:

وتجلّدي للشامتين أُرِيْهُمُ

أنّي لريبِ الدهرِ لا أَتَضَعْضَعُ(3)

والنوائب جمع نائبة، وهو: مايحدث من مصائب الدهر.

(وعفَّر تهم المناخر(4)): عفَّره بالتراب تعفيراً، إذا مرَّغه فيه، وأراد أنها مرَّغتهم في التراب ووضعت مناخرهم فيه(5)، والْمَنخِرْ بفتح الميم: ثقب الأنف، وقد تكسر اتباعاً لكسر(6) الخاء.

(ووطئتهم بالمناسم): المنسم: واحد المناسم، وهومن البعير بمنزلة الحافر من الفرس، والقدم من الإنسان، والظلف من البقر والغنم.

(وأعانت عليهم ريب(7) المنون): المنون: المنية، وريب المنون: حوادث الدهر، أي كانت الدنيا عليهم(8) عوناًلحوادث الدهر في تغيير أحوالهم، وتعفية آثارهم.

(فقد رأيتم): إماعاينتم بأبصاركم، وإما علمتم بقلوبكم، وسماعكم لأخبار الماضين قبلكم.

(تنكرها): تغيرها إلى صورة مجهولة لاتعرف.

---

(1) زيادة من نهاية ابن الأثير، ولسان العرب.

(2) أورده ابن الأثير في النهاية 88/3، وله شاهد أورده البيهقي في السنن الكبرى 213/7 من حديث عن أنس بن مالك، بلفظ: ((ومن تضعضع لغني لينال من دنياه أحبط الله ثلثي عمله)) وله شاهد آخر في الترغيب والترهيب للمنذري 87/4 بلفظ: ((من قعد أو جلس إلى غني فتضعضع له لدنيا تصيبه ذهب ثلثا دينه ودخل النار)) والحديث في لسان العرب 534/2.

(3) لسان العرب 534/2.

(4) في النهج وفي نسخة أخرى: للمناخر.

(5) قوله: فيه سقط من (ب).

(6) في (ب): لكسرة.

(7) في (ب): بريب.

(8) قوله: عليهم، زيادة في (ب).

(لمن دان لها): أطاعها، من قولهم: دان له إذا أطاعه في أمره.

(وآثرها): من قولهم: آثرت فلاناً على نفسي، إذا جعلته أولى منها.

(وأخلد إليها): أخلد إلى فلان إذا ركن إليه في أموره.

(حتى ظعنوا): حتى متعلقة برأيتم، أي قدرأيتموهم في هذا الوقت، وهو وقت الانتقال:

(عنها لفراق الأبد): الذي لايرجى له اجتماع أبداً.

(هل زودتهم إلا السغب): إلا الجوع، كما قال تعالى: {أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ}[البلد:14] والاستثناء ها هنا يحتمل أن يكون متصلاً بما قبله، أي ما زودتهم [شيئاً إلا جوعاً قاطعاً لأفئدتهم، ويحتمل أن يكون منقطعاً، أي ما زودتهم](1) من معايشها إلا الجوع، والمعنى أنها مازودتهم شيئاً(2) يعاش به؛ لأن(3) الجوع كان زادهم، وهو في ظاهره مفرغ(4)، ولهذا كان محتملاً للاتصال والانقطاع، كما أشرنا إليه.

(أو أحلتهم إلا الضنك): الضيق، قال الله تعالى: {مَعِيشَةً ضَنكًا}[طه:124].

(أو نورت لهم إلاالظلمة): في لحودهم.

____

(1) ما بين المعقوفين سقط من (أ) و(ب) وأثبته من نسخة أخرى.

(2) في (ب): سبباً.

(3) في (ب): لكن.

(4) في (ب): وهو ظاهر استثناء مفرغ.

(700/2)

(أو أعقبتهم إلا الندامة): على ما أسلفوا، مما بخلوا به عن حقوقه، أو عمَّا أضاعوه من الواجبات، وفعلوه من الكبار الموبقات، وقوله(1): هل زودتهم إلا السغب إلى آخركلامه هذا، من أنواع البديع يسمى المجاز الإسنادي، ويسمىالتدبيج في الشعركقول الخنساء(2):

تَرْتَعُ مَا غَفَلَتْ حتى إذا ادَّكَرَتْ

فإنَّما هي إقبالٌ وإدبارُ(3)

وقد نبَّهنا عليه في مواضع من كلام أمير المؤمنين، وهو من لطيف أسرار علم البيان وغريبه(4).

(أفهذه): التي وصفنا حالها، وأظهرنا فضايحها.

(تؤثرون؟): من الإيثار، أي تؤثرونها على الآخرة الدائم نعيمها.

(أم إليها تطمئنون؟): تنشرح صدوركم، وتقرُّ نفوسكم.

(أم عليها تحرصون!؟): حرص على هذا الفعل، إذا كان مواظباً عليه.

(فبئست الدار): كلمة ذم، ومبالغة في وصفها بالرداءة.

(لمن لم(5) يتهمها): أي لمن وثق بها، فأما من اتهمها، فلعله يكون على حذر وَوَجَلٍ منها.

(ولم يكن منها(6) على وجل): خوف وإشفاق.

(فاعلموا): أمر لهم بالعلم، وَفَعَلَهُ لأنفسهم ليكونوا عالمين.

---

(1) في (أ): وقولهم، وهو تصحيف، والصواب كما أثبته من (ب).

(2) هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية السلمية، المتوفاة سنة 24هأشهر شواعر العرب وأشعرهنَّ على الإطلاق، عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي، وأدركت الإسلام فأسلمت، أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها صخر ومعاوية، وكانا قد قتلا في الجاهلية، ولها ديوان شعر مطبوع (انظر الأعلام 86/2).

(3) لسان العرب 11/3.

(4) في (ب): وغرائبه.

(5) قوله: لم، سقط من (أ)، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى ومن شرح النهج.

(6) في (ب) و في شرح النهج: فيها.

(701/2)

(وأنتم تعلمون): فيما تستقبلونه من أعماركم، وتخبركم به أحوال الدنيا وحوادثها.

(بأنكم تاركوها): لامحالة ولاشك في هذا.

(وظاعنون عنها): منتقلون(1) إلى دار غيرها، هي دار الإقامة حيث لا ظعون.

(واتعظوا فيها): تذكروا.

(بالذين قالوا {مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً}[فصلت:15]: وهم عاد ظنوا بجهلهم أن غيرهم من القادرين لاتبلغ قدرته قدرتهم، فأكذبهم الله في هذه المقالة بقوله: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً}[فصلت:15] فهؤلاء أعني قوم عاد على كمال قدرتهم هذه وعظيم قوتهم.

(حُملوا إلى قبورهم): على أعناق الرجال.

(فلا يُدْعَون ركباناً): ومع كونهم محمولين فليسوا ركباناً؛ لأن الراكب له حالة غير هذه الحالة في ركوبه، لما يركبه من الراحة والجمال، وليسوا كذلك.

(وأُنزلوا[الأجداث](2)): في قبورهم، ولحودهم.

(فلا يُدْعون ضيفاناً): لأن النزل إنما يجعل للضيف على جهة الإكرام، وليس هذا منه.

(وجُعل لهم من الصفيح): الأحجار العريضة المصفَّحة.

(أجنان): بالجيم وهو: ما يوضع على اللحود منها؛ لأنها تُجِنَّهُمْ أي تُغَطِّيْهم.

(ومن التراب أكفان): يرد عليهم كما يرد الأكفان، من جانب إلى جانب.

(ومن الرفات جيران): الرفات: المتحطم، قال الله تعالى: {أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا}[الإسراء:49] وأراد أنهم جعل لهم العظام المرفوتة جيران.

(فهم جيرة): جمع جار.

(لا يجيبون داعياً): كما يفعل الجيران إذا تداعوا لأمر مكروه أو مسرور.

(ولا يمنعون ضيماً): ظلم من ظلمهم.

---

(1) في (ب): منقلبون.

(2) زيادة في شرح النهج.

(702/2)

(ولا ينالون(1) مندبة): المندبة والمأدبة هو: الطعام المصنوع من غير وليمة، قال الشاعر:

كأنَّ قلوبَ الطيرِ في قَعْرِ عُشِّها

نَوَى الْقَسْبِ مُلْقَى عِنْدَ بَعْضِ الْمَآدِبِ(2)

يصف العقاب، والقسب بالسين المهملة: تمرٌ نواه فيه صلابة كبيرة(3).

(إن جيدوا): أصابهم الجود، وهو المطر الغزير.

(لم يفرحوا): به لأنه لا يلحقهم نفعه.

(وإن قحطوا): أصابهم الجدب.

(لم يقنطوا): لم ييأسوا، ولا يعتريهم غم بذلك.

(جميع): أي هم مجتمعون في المقابر.

(وهم آحاد): أي كل واحد منهم على انفراده في لحده، لا يستأنسون بالاجتماع.

(وجيرة): متقاربون في الأماكن.

(وهم أبعاد): متباعدون، كل واحد منهم في حفرة على انفراده.

(متدانون): قريب بعضهم من بعض.

(لا يتزاورون): لايزور بعضهم بعضاً، لتعذر ذلك في حقهم.

(وقريبون): في الأماكن والجهات.

(لا يتقاربون): بالتواصل والتحابِّ فيما بينهم.

(حلماء): متصفون بصفة الحلم، إذ من شأنه الإغضاء، والتوقر(4) عن كل ما يكره.

(قد ذهبت أضغانهم): فلا تستفزهم عجلة الإضغان، ولا يزعجهم فشلها.

(جهلاء): متصفون بصفة الجهل، ولا ينطقون كما لاينطق الجاهل عياً.

(قد ماتت أحقادهم): فلا تثير الأحقاد ما يفعله الجهال من الأفعال السيئة.

(لا يخشى فجعهم): الفجيعة: الرزية، والفجع: الوجع أيضاً، وأراد أنها لا تخشى منهم فجعة لغيرهم، ولا يخشونها أيضاً في أنفسهم.

(ولا يرجى دفعهم): أي أنهم لا يدفعون ما اعتراهم من الشرور، ولا يدفع بهم شر غيرهم.

---

(1) في النهج: ولا يبالون.

(2) أورد البيت العلامة ابن منظور في لسان العرب 33/1 ونسبه لصخر الغي.

(3) في (ب): كثيرة.

(4) التوقر: الحلم والرزانة.

(703/2)

(استبدلوا بظهر الأرض بطناً): بما كان لهم على وجه الأرض من الجمال، ونشر الذكر والأبهة وغير ذلك، الخمول والتغير، وزوال النضارة في بطنها.

(وبالسعة ضيقاً): وبالقصورالفاخرة، والمجالس الرائقة، والأمكنة النيّرة، لحداً مظلماً، وهدفاً منهدماً، قد لصق به جلده وعظمه، وصار من جملته.

(وبالأهل غربة): تباعداً(1) عنهم، وانقطاعاً(2) عن رؤيتهم، كما يكون الغريب في غير بلده.

(وبالنور ظلمة): وبنور الحياة وإشراقها ظلمة اللحد وقتامه.

(فجاءوها): يعني القبور التي تقدم ذكرها.

(كما فارقوها): الضمير للدنيا، والمعنى أنهم دخلوا قبورهم لا شيء معهم من الدنيا، مما(3) كان في أيديهم من حطامها، ولذاتها ونعيمها، كما فارقوها، ماتوا فيها ولم يكن معهم، ولا اشتحنوا(4) شيئاً منها، ونظير هذا قوله تعالى: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ}[الأنعام:94].

(حفاة): لا نعال في أرجلهم.

(عراة): لا لباس على أجسامهم، إلا الأكفان.

(قد ظعنوا عنها): خرجوا مفارقين لها فراق الأبد.

(بأعمالهم): الباء في موضع الحال أي مستصحبين لأعمالهم.

(إلى الحياة الدائمة): وهي الدار الآخرة.

(والدارالباقية): إما الجنة، وإما النار، فكل واحد ة منهما باقية لأهلها، لا انقضاء لها، ولا غاية لدوامها.

---

(1) في (ب): تباعد.

(2) في (ب): وانقطاع.

(3) في (ب): بما.

(4) في (ب): ولا شحنوا، وفي نسخة أخرى: ولا استصحبوا.

(704/2)

(كما قال تعالى: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا})[الأنبياء:104]: إلى آخر الآية)(1)، فجعل هذه الآية خاتمة لكلامه، دالة على رونقه، وحسن انتظامه، ولقد بلغ في تحقير الدنيا كل مبلغ، ووصل في تعريف حقيقتها وَمَيَدَانَها وقصاراها كل غاية، ولو كان كلام معجز بعد كلام الله تعالى، لكان هذا لاشتماله على البدائع(2) والحكم النواصع.

(106) ومن خطبة له عليه السلام ذكر فيها مَلَكَ الموت وحاله(3)

(هل تحسُّ(4) به إذا دخل منزلاً): يقول انظروا إلى عجيب أمر هذا الملك، من جملة مخلوقات الله، وعجائب مكوناته، مع عظم حاله، وكبر جسمه، هل يمكن إحساسه إذا دخل منزلاً من المنازل الواسعة أو الضيقة.

(أم هل تراه إذا توفى أحداً!): أم هذه هي المنقطعة لتمام الجملة بعدها، كقوله تعالى: {أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا}[الرعد:16]، وأراد ومع كثرته لتوفي هذه الأرواح الموكل بقبضها، فلا يمكن رؤيته لأحد أصلاً.

(بل): إضراب عن امتناع رؤيته وإحساسه، واستئناف تعجب آخر من حاله يقول: وأعجب من هذا كله.

(كيف يتوفى الجنين في بطن أمه): على أي حال يقبضه، وفي أي صورة يكون ذلك.

(أيلج عليه من بعض جوارحها!): ولج منزله، إذا دخل فيه، ومنه قوله تعالى: {حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ [فِي سَمِّ الْخِيَاطِ](5)}[الأعراف:40] أي هل يدخل عليه من بعض أوصالها.

(أم الروح أجابته بإذن ربها): يدعوها بالخروج فيكون ذلك سبباً لخروجها، بأمر الله تعالى وإذنه.

---

(1) تمام الآية الشريفة: {إنا كنَّا فاعلين}.

(2) في (ب): البديع.

(3) في شرح النهج: ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها ملك الموت وتوفيه الأنفس.

(4) في شرح النهج: يُحَسُّ.

(5) سقط من (أ).

(705/2)

(أم هو ساكن معها(1) في أحشائها): الحشا: ما اضطمت(2) عليه الضلوع، وجمعه أحشاء، قال الشاعر:

بأيِّ الْحَشا أمسى الخليطُ المباينُ(3)

فهذه الأمور كلها ممكنة في قدرة الله تعالى، ولكنه حجب علم ذلك عنَّا؛ لِسر ومصلحة لا يطلع عليها إلا هو.

(كيف يصف إلهه من عجز(4) عن صفة مخلوق مثله!): يعني إذا كان مَلَكُ الموت وهو بعض مخلوقات الله، عجزنا عن معرفة حاله في قبض الأرواح، فضلاً عن حاله في علمه، وحاله في خلقه، وتصرفه وعبادته وخوفه، مع أنه مخلوق مثلنا ومدبرومحدث ومملوك ومربوب، فكيف حالة من له الخلق والأمر، والقبض والبسط، والإلهية، واستحقاق الأزلية، فنحن عن بلوغ صفته أقصر، وعلى(5) الاطلاع على كُنْهِ حاله وحقيقة صفاته أذل وأحقر، وكلامه ها هنا عليه السلام(6) يدلُّ على أن حقيقة ذات الله تعالى غير معلومة للبشر، كما هو المفهوم ها هنا، وفي عدة من كلامه في مواضع كثيرة، خلافاً لما يزعمه أكثر المتكلمين من المعتزلة البصرية والبغدادية، فإنهم زعموا أنهم مطلعون على كنه حقيقة ذاته تعالى، بل زعموا أنهم يعلمون من ذاته مثلما يعلم هو من ذاته، وهذا شيء فاسد لا تقبله العقول، فأهون بهذه الأنظار التي لا ثبوت عند التحقيق لها ولاقرار، لقد أسست على شفا جرف هار فانهار.

(107) [ومن خطبة له عليه السلام](7)

---

(1) في النهج: معه.

(2) في (ب): ما اصطلمت.

(3) لسان العرب 647/1 ونسبه للمعطل الهذلي، وروايته فيه:

بأي الحشى أمسى الحبيب المباين

(4) في شرح النهج: يعجز.

(5) في (ب): وعن.

(6) في (ب): وكلامه عليه السلام ها هنا.

(7) ما بين المعقوفين زيادة من شرح النهج.

(706/2)

(وأحذركم الدنيا فإنها منزل قُلْعة): قلعه إذا أزاله عن مكانه، وأراد أنها تزيل أهلها عن القرار عليها، والقطون فيها.

(وليست بدار نُجْعة): النجعة: الانتقال لأمر محمود، ولهذا يقال: انتجعوا في طلب الماء والكلأ، والقلعة تكون من أمر مكروه، ولهذا يقال: قلعهم الجدب والقحط، وأراد أن الزوال إنما هو بالأمور المكروهة بالقتل والموت، وجميع المصائب، فلهذا كانت قلعة لا نجعة.

(قد تزينت بغرورها): لا سبب لها في الزينة سوى الغرور.

(وغرت بزينتها): ولاسبب لها في الغرور سوى التزيين(1)، فمن أجله حصل الاغترار لامحالة(2).

(دار هانت على ربها): كما ورد في الحديث: ((الدنيا عند الله لا تسوى جناح بعوضة))(3) وغير ذلك مما ورد من طريق الشرع من هوانها عند الله، وضعف حالها.

(فخلط حلالها بحرامها): يعني أنه جعل فيها شيئاً حلالاً، وشيئاً حراماً، ولو كانت مرضية عنده ما كان حالها هكذا.

(وخيرها بشرها): أي وجعل فيها الخير والشر.

(وحياتها بموتها): أي لاحي فيها إلاوهو يموت، ولا خير إلا ويعقبه شر.

(وحلوها بِمُرِّها): فما يحلو منها شيء، إلا ويمرُّ بعد ذلك على أهله.

(لم يُصْفِها الله تعالى(4) لأوليائه): أراد لو كان لها خطر عند الله تعالى ونفاسة قدر إذاً لأصفاها وهنَّأها للأولياء من عباده؛ لأنهم كانوا أحق بذلك وأهله.

---

(1) في (ب): التزين.

(2) في (أ): بحاله.

(3) الحديث بلفظ: ((الدنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي

الشريف 43/5 وعزاه إلى كشف الخفاء 490/1.

(4) قوله: الله تعالى، زيادة في النهج.

(707/2)

(ولم يضنَّ بها على أعدائه): لركتها وهوانهاعليه، وفي الحديث: ((لو كانت الدنيا لها قدر وثمن عند الله لما سقى منها(1) كافراً شربة)) وفي حديث آخر: ((إنَّ الله يعطي الدُّنيا من يُحِبُّ ومن لا يُحِبُّ، ولا يعطي الآخرة إلا من يُحِبُّ)) (2) وهذا ظاهرفإن الأكثر ممن تمكن منها آثرالهوى وعصى وكفر وطغى.

(خيرها زهيد): قليل نزر.

(وشرها عتيد): أي قريب، كما قال تعالى:{مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}[ق:18].

(وجمعها ينفد): ما جمع فيها من حطامها إلى نفاد وزوال.

(وملكها يسلب): يؤخذ، ولهذا بينا ترى بعض الملوك في أبهة الدولة، والدنيا ناظرة إليه بالحفدة والعساكر، والأمر والنهي، إذ زال ملكه، إما بالموت، وإما بالقتل، وإما بانتقاله إلى غيره قهراً وبطل ذلك كله، كأن لم يكن، فسبحان من لا ينبغي لملكه زوال، ولا يجوز عليه تغير!.

(وعامرها منخرب(3)): وجميع ما عمر فيها يؤول إلى الخراب، بمضي الليالي والأيام.

(فما خيردار تنقض نقض البناء): أراد أي خير في دار يذهب عمرها يوماً فيوماً، كما ينقض البناء حجراً حجراً، أولبنة لبنة فتزول وتتغير.

(وعمر يفنى فيها(4) فناء الزاد): الزاد: ما يتخذ للسفر؛ لأنه عن قريب وقد انقطع، لكثرة الحاجة إليه.

---

(1) في (ب): لما سُقِيَ منها كافر.

(2) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد 53/1، 228/10، 292، وأحمد بن حنبل في مسنده 387/1، والحديث بلفظ: ((إن الله يعطي الدنيا من يحب ويبغض، ولا يعطي الآخرة إلا من يحب)) أخرجه الشريف السيلقي من حديث عن أبي هريرة الحديث (39) ص 48.

(3) في النهج: يخرب.

(4) فيها، زيادة في النهج.

(708/2)

(ومدة تنقطع انقطاع السير!): لأن من سار طريقاً يوشك أن يصلها، وينقطع سيره، فما هذه حاله من الدور لا خير فيها، لانقطاع نعيمها على القرب، وبطلانه في سرعة.

(اجعلوا ما افترض الله عليكم): من الإتيان بهذه الواجبات من العبادات وغيرها، والانكفاف عن هذه المحرمات، بالأمر في هذه والنهي عن هذه.

(من طَلِبَتِكم(1)): من أعظم المطلوبات، وأجل المقاصد التي تقصدونها، وفي الحديث: ((ما تقرب إليّ المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم))(2) والطلبة: ما يطلب.

(واسألوه من أداء حقه ما سألكم): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد واطلبوا منه الإعانة، على أداء حقه الذي سألكم القيام به، فيكون قوله: ما سألكم في موضع جر عطف بيان، أو بدلاً من قوله: حقه.

وثانيهما: أن يريد واطلبوا منه ما طلب منكم، فاطلبوا منه الإعانة مثلما طلب منكم القيام بحقه، وعلى هذا يكون قوله: ما سألكم في مو ضع نصب بقوله: واسألوه أي واسألوه مثل ما سألكم.

(وأسمعوا دعوة الموت آذانكم): أي اصغوا آذانكم إليها لتسمعوها، ولا تصموا عنها باستماع غيرها، فعن قريب وقد وقعت.

(قبل أن يدعى(3) بكم): وأنتم غيرمتأهبين بسماعها(4).

(إن الزاهدين في الدنيا): المعرضين عنها، والتاركين لها.

(تبكي قلوبهم): خشية لله تعالى، وفَرَقاً من وعيده.

(وإن ضحكوا): في رأي العين، فقلوبهم مشغولة بالبكاء.

(ويشتد حزنهم): غمُّهم على التفريط في حق الله.

---

(1) في النهج: طلبكم.

(2) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد 269/10، والطبراني في المعجم الأوسط 139/9، وأحمد بن حنبل في مسنده 256/6.

(3) في شرح النهج وفي (ب) وفي نسخة أخرى: يدعى، كما أثبته، وفي (أ): يذعن.

(4) في (ب): لسماعها.

(709/2)

(وإن فرحوا): في نظر العين ورؤيتها فأفئدتهم مغمومة من أجل ذلك.

(ويكثر مقتهم لأنفسهم): المقت: البغض، أي وبغضهم في غاية الشدة لأنفسهم، على التهاون في حق الله تعالى، والتساهل في طاعته.

(وإن اغتبطوا): الغبطة: هي حسن الحال، وهي الاسم من الاغتباط، يقال: غبطه غبطاً و[اغتبط] (1) اغتباطاً فهو مغتبط، اسم فاعل أي ذا غبطة، ومغتبط اسم مفعول أي مغبوط، قال:

وبينما المرءُ في الأحياءِ مغتبطٌ

إذ صار في الرَّمَسِ(2) تَعْفُوْهُ الأعاصيرُ (3)

فعلى هذا يكون المعنى يبغضون أنفسهم وإن اغتبطوا على ماسمي فاعله، أي صاروا ذا غبطة من حسن حالهم، (وإن أُغْتُبِطُوْا) على ما لم يسمَّ فاعله فهم يبغضون أنفسهم وإن غبطهم غيرهم.

(بما رزقوا): من خيرالله تعالى ومزيد فضله، فلا تنفك حالتهم عن بغضهم.

(قد غاب عن قلوبكم): امَّحى وزال، كأنه لا يخطر لها(4) على حالة أصلاً.

(ذكرالآجال): تحقق الموت، وانقطاع العمر به، وهو الأجل وجمعه آجال.

(وحضرتكم): صارت حاضرة لكم لاتفارقكم.

(كواذب الآمال): جمع كاذبة، أي الآمال التي لا حقيقة لها ولا تصدق أبداً.

(فصارت الدنيا): أي فمن أجل ذلك سلطتم الدنيا على أنفسكم، حتى كانت.

(أملك بكم من الآخرة): ملك الشيء يملكه إذا تصرف فيه، وأراد أن الدنيا تصرفت في قلوبكم كما يتصرف المالك في ملكه، وصرفتكم عن الآخرة.

(والعاجلة): وهي الدنيا، سميت عاجلة لقربها.

---

(1) سقط من (ب).

(2) الرمس: القبر.

(3) لسان العرب 955/2، ونسبه لحريث بن جبلة العذري قال: وقيل: هو لعش بن لبيد العذري.

(4) في (ب): له.

(أذهب بكم(1) من الآجله): أكثر ميلاً لقلوبكم من الآجلة، وهي الآخرة، وسميت آجلة لتأخرها، والمعنى أن الدنيا والعمل بها(2) مستحكمة عليكم على جهة الاستيلاء فلا التفات لكم إلى عمل الآخرة.

(وإنما(3) أنتم إخوان على دين الله): أراد أن الدين هو الذي يجمعكم مع اختلاف الأنساب، وتباين الوشائج، وتباعد الأرحام، وهو سبب الأخوة، كما قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}[الحجرات:10]

فهذا هو حكم الدين.

(وما(4) فرَّق بينكم): شتتكم حتى صرتم أحزاباً وفرقاً لايجمعكم جامع.

(إلا خبث السرائر): فسادها، ورداءتها.

(وسوء الضمائر): والخواطر المضمرة في القلوب التي تسوء من(5) الظنون الكاذبة، والتوهمات الرديئة فاستحكمت فيكم، حتى أذهبت المودة والإلفة .

(فلا توازرون): تعاضدون، وتتعاونون، والموازرة هي(6): المعاضدة والمعاونة.

(ولا تناصحون): ينصح بعضكم بعضاً، يقال: نصحته ونصحت له ولزومه أفصح، قال الله(7) تعالى: {وَنَصَحْتُ لَكُمْ}[الأعراف:79] قال النابغة:

نصحتُ بني عونٍ فلم يتقبّلوا

رسولي ولم تنجح لديهم وسائلي(8)

والنصيحة: الاسم من النصح، يقال: نصحه نصحاً ونصوحاً إذا لم يغدره.

---

(1) في (ب): وفي نسخة أخرى وفي شرح النهج: أذهب بكم، كما أثبته، وفي (أ): أذهبتكم.

(2) في (أ): به، وفي نسخة أخرى: لها.

(3) قوله: إنما، سقط من (أ).

(4) الواو، سقط من النهج.

(5) في (أ): تؤمن، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(6) قوله: هي، سقط من (ب).

(7) قوله: الله، سقط من (أ). .

(8) لسان العرب 646/3، ونسبه للنابغة الذبياني، وأوله فيه:

نصحت بني عوف.... البيت

(711/2)

(ولا تباذلون): يبذل بعضكم لبعض، إما النصيحة وإما المعروف، فهو عام في كل ما يحسن بذله من ذلك.

(ولا توادون): يودُّ كل واحد منكم أخاه ويحبُّه، والمودة: المحبّة.

(ما بالكم): البال: الحال، أي أن حالتكم هذه يتعجب منها ويضحك.

(تفرحون باليسير من الدنيا تُدْرِكُوْنه): إذا حصل لأحدكم شيء من يسير الدنيا وحطامها، لم يتمالك من حصول المسرة والفرح به والجذل من أجل حصوله وإدراكه له، مع انقطاعه عنه وزواله عن يده، والحساب عليه أيضاً في الآخرة .

(ولا يحزنكم الكثير من الآخرة تُحْرَمُوْنه!): ولا يحزنكم ما يفوتكم من الأعمال الصالحة، ولا يقع ذلك على خواطركم، ولا يصيبكم جزع بفواته وحرمانه.

(ويقلقلكم(1) اليسير من الدنيا يفوتكم): القلقلة: شدة التحرك والاضطراب، وهو مجاز ها هنا، شبه انزعاجهم وفشلهم عند(2) فوت الحقير من الدنيا وأطماعها عن أيديهم بما يشتد حركته من الأجسام ويعظم اضطرابه.

(حتى يتبين ذلك في وجوهكم): يظهرأثره من الندامة والتحسر، واصفرار الأوجه وامتقاعها وتغيرها.

(وقلة صبركم عمَّا زوي عنكم منها): بالتلهف على فواته، وضيق النفس على عدمه، فصارحالكم معجباً يعجب منه كل من علم به، وتحقق حاله في تعويكم(3) عليها، وتحسركم على مفارقتها.

(كأنها دار مقامكم): فتخلدون فيها ولا تنتقلون عنها.

(وكأن متاعها باقٍ عليكم): لايسلب عنكم، ولا تنقطعون بالموت عنه وتفارقونه، فلو كان الأمركذلك من بقاء متاعها وخلودها لكم لما زدتم على حرصكم، وتهالككم على حبها.

---

(1) في (أ) وفي النهج: ويقلقكم.

(2) في (ب): عن فوات.

(3) في (ب): تعويلكم.

(712/2)

(وما يمنع أحدكم أن يستقبل أخاه بما يخاف من عيبه): فلشمول النقص لكم، وعمومه لأحوالكم كلها، لا يمنع أحدكم من النصيحة لأخيه، في ترك ما يعيبه وينقصه.

(إلا مخافة أن يستقبله بمثله): فلهذا يترك النصح من أجل ذلك، وفي هذا دلالة على ركة الحال، ونزول القدر وفساد الأمر، ولهذا ورد في الحديث: ((كلكم طف الصاع))(1)، وفي حديث آخر: ((الناس كإبل مائة لا(2) تجد فيها راحلة))(3)، وفي حديث آخر: ((الناس من عام إلى عام يرذلون))(4).

(قد تصافيتم على رفض الآجل): ترك الآخرة وإهمالها.

(وحب العاجل): إرادة الدنيا ومحبتها حتى أنه لا وقع للآخرة ولا خطر لها.

(وصار دين أحدكم لعقة على لسانه): كنى به عن خفة الأمر في الدين فلا يبالي بأي شيء تركه،

ولا على أي وجه استعمله ولاخطر له عنده، ولا يزن شيئاً على قلبه، فعملكم هذا وصنيعكم في أمور الديانة، واللعقة بالفتح واحدة اللعقات، وبالضم ما يلعق، وسماعنا فيه بالضم، ويؤيده قوله: على لسانه.

---

(1) أورده من حديث ابن الأثير في النهاية 129/3 بلفظ: ((كلكم بنو آدم طف الصاع)).
(2) في (ب): ما.
(3) أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 145/2 بسنده عن ابن عمر، ومسلم في صحيحه 4 (1937)، وابن حبان في صحيحه 46/14، والترمذي في سننه 153/5، والبيهقي في السنن الكبرى 19/9، وابن ماجة في سننه 1321/2.
(4) أورده أيضاً المؤلف عليه السلام في كتاب الانتصار 182/1 بلفظ: ((من عام إلى عام ترذلون)) قال المحققان في تخريجه: أخرج نحوه الترمذي عن أنس مرفوعاً: ((ما من عام إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم)).

(713/2)

(صنيع من قد فرغ من عمله): بالقبول من الله، ورفعه له كما ترفع الأعمال الصالحة، كما قال تعالى: {وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}[فاطر:10] ويجازي عليه بالثواب العظيم، والدرجات العالية.
(وأحرز رضا سيده): فصار طيب الخاطر، منشرح الصدر بذلك ، وارتفاع صنيع على أنه خبر مبتدأ محذوف، قد دل عليه الكلام تقديره: صنيعكم(1) هذا، من الإعراض عن الآخرة والتهالك في حب الدنيا، صنيع من قد فرغ من عمله.
ولقد بالغ في ذكر أحوال الخلق وصفاتهم، حتى كأنه يشاهدهم عياناً، وأظهر مايضمرونه من أنفسهم، ويكنونه في خواطرهم حتى كأنه يناطقهم لساناً.

(108) ومن خطبة له عليه السلام
(الحمد لله الواصل الحمد بالنعم): أراد الذي جعل الحمد متصلاً بالنعم.
(والنعم بالشكر): أي وجعل النعم متصلة بالشكر لا تنفك عنه.
سؤال؛ ما حقيقة هذا الكلام، وما معنى اتصال الحمد بالنعم، والنعم بالشكر، وما فائدة ذلك؟
وجوابه؛ هو أن معنى اتصال الحمد بالنعم أنه لا يمكن الحمد إلا بنعمة متجددة؛ لأن معنى الحمد هو الثناء الحسن، وهذا لايمكن إلا بخلق القدرة، وبقاء(2) آلة الكلام وسائر ما يحتاج إليه من ذلك، فلهذا كان الحمد متصلاً بالنعم لايفارقها، ومعنى اتصال النعم بالشكر هو أنه تعالى جعل الشكر

من(3) ماهية النعمة، وجزءاً من حقيقتها، وملازماً(4) لها غير منفك عنها، حتى كان ماهية الشكر هو الاعتراف بإنعام المنعم، مع ما يلحق من تعظيم المنعم لأجل إنعامه، فهذه معنى تعلق النعم بالشكر كما أشار إليه.

---

(1) في (ب): صنعكم.
(2) في (أ): ويقال، وهو خطأ.
(3) قوله: من، زيادة في (ب).
(4) في (أ): وملازم.

(714/2)

سؤال آخر؛ فأراه جعل الحمد متصلاً بالنعم، وجعل النعم متصلة بالشكر، من الوجه الذي ذكرته، ولم يجعل الشكر متصلاً بالنعم، مثل الحمد فما وجه التفرقة بينهما؟
وجوابه؛ هو أن الحمد مستحق(1) في مقابلة النعمة وغير النعمة، بخلاف الشكر، فإنه لايكون مستحقاً إلا في مقابلة النعمة، فلا جرم جعل الحمد تابعاً للنعمة، متصلاً بها، والنعمة تابعة للشكر متصلة به إشارة إلى هذه التفرقة.
(نحمده على آلائه): نثني عليه بما هو أهله، من الثناء الحسن مكافأة له على نعمه، والآلآء: هي النعم، وواحدها(2) أَلَّى بفتح الهمزة وكسرها.

---

(1) في (ب): يستحق.
(2) في (ب): واحدها.

(715/2)

(كما نحمده على بلائه): البلاء هو: الاختبار، ويكون في الخير والشر، يقال: أبلاه الله بلاءً حسناً أي اختبره اختباراً يكون مؤدياً إلى صلاحه، وفي الحديث: ((لأضربنَّ عبدي بالبلاء حتى أنقيه من الدرن))(1)، وفي حديث آخر: ((لأمتحننَّ عبدي بالبلاء كما يمتحن الذهب بالنار))(2).
قال زهير:
جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم

فأبلاهما خيرَ البلاءِ الذي يبلُو(3)

(ونستعينه على هذه النفوس): ونطلب منه الإعانة عليها، بالألطاف الخفية، والتوفيقات المصلحية.

(البِطاء): المتقاعدة، جمع بطية نحو طريفة وطراف.

(عمَّا أمرت به): من الطاعات.

(السراع): المتعجلة، من قولهم: أسرع في أمره إذا عجل فيه، جمع سريعة أيضاً.

(إلى ما نهيت عنه): من القبائح والمفاسد.

(ونستغفره): ونطلب منه المغفرة.

---

(1) وفي معناه ما أخرجه الإمام الأعظم زيد بن علي عليهما السلام في المجموع الحديثي والفقهي ص276 برقم(671)من حديث طويل بسنده عن علي عليه السلام أوله: ((إذا أراد الله أن يصافي عبداً من عبيده صبَّ عليه البلاء صبّاً، وثجَّ عليه البلاء ثجّاً))، وكما في مجموع الإمام زيد أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه ص 573-574 برقم (807) بسنده عن علي عليه السلام أيضاً.

(2) له شاهد أخرجه الإمام أبو طالب في أماليه صـ 572 برقم (805) بسنده عن أم العلاء، قالت: عادني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا مريضة فقال: ((أبشري يا أم العلاء، فإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياه كما تذهب النار خبث الذهب والفضة)). وله شاهد رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج 82/11 بلفظ: ((إن المرض ليمحص الخطايا كما تمحص النار الذهب)).

(3) لسان العرب 265/1، وقوله هنا: (فأبلاهما) في اللسان: (وأبلاهما).

(716/2)

(مما أحاط به علمه): استغرقه على جهة الاستيلاء عليه، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات [ولا في الأرض] (1)من المعاصي، كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}[آل عمران:110].

(وأحصاه كتابه): حصره بالكتابة، كما قال تعالى: {وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ}[يس:12].

(علم غير قاصر): عن الإحاطة بالمعلومات الكلية والجزئية.

(وكتاب غير مغادر): لصغيرة ولا لكبيرة، إلا وضعت فيه، والمغادرة: الترك، كما قال تعالى: {مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا}[الكهف:49] وقوله(2): (علم غير قاصر، وكتاب

غير مغادر) كالاستحضار لماسبق، من قوله: (ما أحاط به علمه، وأحصاه كتابه) وفيه ردٌّ على من أنكر علم الله بالجزيئات المفصلة،كما هو محكي عن جمهور الفلاسفة، فإنهم أحالوا علم الله تعالى بها، وزعموا أنه إنما يعلم الكليات لا غير، وهذا مذهب نكير(3)، واعتقاد شنيع، وقول إدٍّ(4)، فأخزاهم الله في هذه المقالة، وأبادهم في ارتكاب هذه الجهالة، ثم إذا كان مستند علمه هو ذاته، فليت شعري أي مخصص للكلي عن الجزئي في الإحاطة بذلك، كلا وحاش عن ذلك.

(ونؤمن به): ونصدِّق به تصديقاً يشبه:

(إيمان من عاين الغيوب): فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون مراده عاين الأمور الغيبية، من جلال الله وعظمته، وَكُنْهِ كبريائه المعلوم للأنبياء والملائكة.

---

(1) سقط من (أ).

(2) في (ب): وهو.

(3) في (ب): وهذا هو مذهب نكر واعتقاد شنع.

(4) الإدّ بالكسر والتشديد: الداهية والأمر الفظيع.

(717/2)

وثانيهما: أن يريد بالغيوب أمور الآخرة وأحوالها، وعظيم أمرها وأهوالها، فإن هذين الأمرين يؤكدان لامحالة المعرفة، ويقويان الإيمان تقوية لا يمكن وصفها.

(ووقف على المعهود): ثبت(1) على العهود المؤكدة، من الإقرار بالتوحيد، ومعرفة الإلهية، واستحقاق العبودية، وتأدية سائر التكاليف.

(إيماناً نفى إخلاصه الشك): إيماناً مصدر مؤكد، نحو ضربت ضرباً، وأراد أن ما فيه من الإخلاص والتحقق للمصدَّق به فيه وقاية وحفظ عن دخول الشك عليه، ويمنعه عن(2) ذلك.

(ويقينه الشرك): و(3)يدفع ما فيه من التيقن والقطع اعتقاد أن يشاركه أحد في إلهيته وعبادته.

(ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له): إقرار بالوحدانية، ونفي المشارك له في إلهيته وعبادته.

(وأن محمداً عبده ورسوله): اصطفاه من بين(4) سائر الخلق، وأرسله إلى الجن والإنس من خلقه.

(شهادتان(5)): أي هما شهادتان وأي شهادتين، وإنما نكّرهما مبالغة في عظمتهما، وارتفاع خطرهما، والتعريف لا يعطي هذا المعنى.

(تصعدان القول): كما قال تعالى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ}[فاطر:10].

(وترفعان العمل): يشير به إلى قوله تعالى: {وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}[فاطر:10]

سؤال؛ ما فائدة قوله: تصعدان القول، وترفعان العمل، وما معناه؟

وجوابه من وجهين؛

---

(1) قوله: ثبت، سقط من (ب).

(2) في (ب): من.

(3) الواو سقطت من (أ).

(4) قوله: بين سقط من (ب).

(5) في (ب) وشرح النهج: شهادتين.

(718/2)

أما أولاً: فيحتمل أن يكون مراده من ذلك هو أن كل قول وعمل لا يصاحبانه ولا يكونان معه، فإن الملائكة لا ترفعه إلى الله تعالى، ولا تصعد(1) به الحفظة أبداً، وعلى هذا يكون الرفع والصعود على ظاهرهما.

وأما ثانياً: فيحتمل أن يكون غرضه، هو أن كل قول وعمل يخلوان منهما، فإنه لا يكون له قدرعند الله تعالى، ولايرتفع له خطر، وعلى هذا يكون الرفع والصعود مجازين لما ذكرناه.

(لا يخف ميزان توضعان فيه): وفي الحديث: ((إذا شال الميزان(2) بأعمال صاحبها أتي بقرطاس فيه لاإله إلا الله فرجح)).

(ولا يثقل ميزان ترفعان منه): لأنهما هما(3) الأصل والقاعدة في الإيمان، والإيمان أصل لسائر الطاعات كلها، فلايعقل إيمان من دونهما ولا ثبات له، ولا تعقل طاعة من دون الإيمان بالله، فهو كالقاعدة والأساس لسائر الأعمال الصالحة.

(أوصيكم عباد الله بتقوى الله): باتقائه والخوف منه، ومراقبته في السر والعلانية.

(فإنها(4) الزاد): المبلِّغ إلى الآخرة، كما قال تعالى: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى}[البقرة:197].

(وبها المعاد)(5): الرجوع إلى الآخرة، أي لا رجوع نافع إلى الآخرة إلا بإحرازها.

(زاد مبلغ): أي هي زاد مبلغ لا زاد مثلها.

(ومعاد(6) منجح): سهل متيسر(7)، من قولهم: نجحت حاجة فلان إذا كانت سهلة متيسرة.

---

(1) في (ب): ولايصعد.

(2) شَال الميزان: ارتفعت إحدى كفتيه.

(3) قوله: هما زيادة في (ب).

(4) في شرح النهج: التي هي الزاد.
(5) في شرح النهج: المعاذ، بالذال من عذت بكذا أي لجأت إليه واعتصمت به.
(6) في شرح النهج: ومعاذ.
(7) في (ب): منتشر.

(719/2)

(دعا إليها أسمع داعٍ): أي دعا إليها أحسن الخلق إسماعاً لهم، وأكثرهم نصيحة، وأوفرهم عقلاً، وهم الأنبياء والأولياء والصالحون، فإن هؤلاء لازيادة على حسن إسماعهم للخلق، وتوخي مصالحهم.
(ووعاها خير واعٍ): أراد أن من وعاها(1) بأذنه، فهو أفضل الخلق وأكملهم عقلاً، لمايحصل فيه من الثواب الدائم، والنعيم السروري.
(فأسمع داعيها): أي صار ذا إسماع(2)، كما يقال: أكرم الرجل إذا صار ذا كرم.
(وأجاب واعيها(3)): أي صار ذا إجابة، وهذا الكلام واردٌ مورد المدح والتعجب، كأنه قال: أكرم بسامعها، وأكرم بمن أجابها(4)، فما أعظم حاله وأشرفه.
(عباد الله): خطاب لمن كان بحضرته ولغيرهم.
(إن تقوى الله حمت أوليائه محارمه): حماه عن الطعام، إذا جنَّبه أكله، وأراد أن خوف الله تعالى ووعيده، هما اللذان جنَّباهم الوقوع فيما حرم الله عليهم فعله، كما يحمى المريض الطعام الذي يضره.
(وألزمت قلوبهم مخافته): فلا ينفك عنها(5) ساعة واحدة، فأسكن الخوف في قلوبهم، وحلَّ في جوانحهم، ولابسهم وخالطهم.
(حتى أسهرت لياليهم): فلا(6) يكتحلون بالنوم خوفاً وفشلاً(7)، وإشفاقاً على أنفسهم.
(وأظمأت هواجرهم): الهاجرة: منتصف النهار عند اشتداد الحر، وأراد أنها أسهرتهم في الليالي، وأظمأتهم في الهواجر، ولكنه عدَّى الفعل إليهما على جهة المبالغة، كما أسند الفعل إليهما، في قولهم: فلان قائم ليله، وصائم نهاره، على جهة المبالغة والتأكيد.
(فأخذوا الراحة): طيب العيش في الآخرة.

---

(1) في (أ): أوعاها.
(2) في (ب): سماع.
(3) في (أ): وأجاب داعيها، وفي النهج: وفاز واعيها..
(4) في (أ): جابها وهو تحريف.
(5) في (ب): عنهم.

(6) في (ب): ولا.

(7) الفشل: الجبن والخوف.

(720/2)

(بالنَّصَب): بما أسلفوه من التعب في الدنيا.

(والرِّيَّ): في الآخرة.

(بالظمإ): في الدنيا، وأراد أنهم أخذوا لذات(1) الآخرة ونعيمها، بما لا قوه من مكابدة مشاق الدنيا وشدائدها.

(واستقربوا الأجل): أي جعلوه قريباً في أنفسهم.

(فبادروا العمل): فخف عليهم المبادرة في الأعمال من أجل ذلك؛ لأن الإنسان إذا قربت عليه المسافة في السفر وانقطاعه، هان عليه ما يلا قي من شدة السير وتعبه.

(وكذَّبوا الآمال(2)): أعرضوا عنها، فعل من كذَّبها، فهو غير ملتفت إليها.

(فلاحظوا الأجل): إما جعلوه نصب أعيانهم، وأبصروه بألحاظهم، وإما اعتمدوه وعوَّلوا عليه دون غيره، من قولهم: فلان يلاحظ على هذا الأمر، أي يراقبه ويعتمده.

(ثُمَّ إنَّ الدُّنيا دَارُ فناءٍ وعناءٍ وغِيَرٍ وعِبَرٍ): فهي جامعة لهذه الآفات الأربع، ولقد كانت الواحدة من هذه كافية في ويلها وشؤمها، فكيف حالها إذا كانت مجتمعة.

ثم أخذ في تفصيلها واحدة واحدة بقوله:

(فمن الفناء أن الدهر موتر قوسه): استعارة وتمثيل بمن هذه حاله، وهو مع ذلك:

(لا تخطئ سهامه): من أصابته ومن رمي بها.

(ولا تؤسى جراحه): لا تداوى، من قولهم: أسوت الجرح آسوه(3) إذا داويته.

(ترمي(4) الحي بالموت): بسهام الموت فلا تخطئه.

(والصحيح بالسقم): بمرامي السقم المتلفة.

(والناجي بالعطب): بالهلاك فلا ينجو منه أحد أبداً، فهو في كل أحواله:

(آكل): لجميع الأحياء.

(لا يشبع): فيقلع عن اخترامهم، ويكفُّ عن ذلك.

(وشارب): لدمائهم.

---

(1) في (أ): لدأب، وهو تحريف، والصواب كما أثبته من (ب).

(2) في (ب): الأمل

(3) في (أ): آسو.

(4) في (ب): يرمى.

(لا(1) ينقع): أي لا يروى، فهذه حالة الفناء.

(ومن العناء): الهمُّ، وفي الحديث: ((من حسن إسلام المرء تركه لما لايعنيه))(2) أي يهمُّه.

(أنَّ المرء يجمع ما لا يأكل): من كل مايدخره من أنواع المأكولات، بأن يموت عن ذلك وقد عني بجمعه.

(ويبني ما لا يسكن): من الأبنية الفاخرة، والقصورالمشيدة.

(ثم يخرج إلى الله): بالموت وقبض روحه.

(لا مالاً حمل): من جميع ما جمعه.

(ولا بناء نقل): من كل ما عمَّره وشيَّده، فهذا هو نهاية العناء يفعل ذلك كله.

(ومن غِيَرِها): الغَيرة، بغين منقوطة من أعلاها، وياء بنقطتين من أسفلها، وفتحها هي: الأنفة، من قولهم: فلان يغار على أهله غِيرة وغيراً [وغاراً](3)، كلها مصادر، وجمعها غِيَرٌ، والغِيرة بكسر الغين، وهي(4) اسم من التغير، والجمع غِيَرٌ أيضاً، وهذا هو المراد ها هنا.

(أنك ترى المغبوط مرحوماً، والمرحوم مغبوطاً): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد ومن تغيّرالدنيا وتقلّبها بأهلها، أنك ترى من تغبطه من الناس بكثرة ماله، ونعيمه(5) في الدنيا، مرحوماً في الآخرة، لكثرة تبعاته، وترى من كان مرحوماً بالفقر والمسكنة مغبوطاً في الآخرة، لكثرة ثوابه وحسن مصيره.

---

(1) في (أ): فلا ينقع، وفي (ب): ولا ينقع، وما أثبته من النهج.

(2) أخرجه ابن حبان في صحيحه 466/1، والهيثمي في مجمع الزوائد 18/8، ومالك في الموطأ 903/2، وأحمد بن حنبل في مسنده 201/1، والطبراني في المعجم الكبير 128/3.

(3) سقط من (أ).

(4) في (ب): هي الاسم.

(5) في (ب): ونعمته.

وثانيهما: أن يريد بذلك(1) في الدنيا، فكم يرى(2) فيها من يغبطه الناس بكثرة(3) المال والأولاد، إذ صار فقيراً معدماً، لا ولد له، يرحمه من رآه، وكم يرى من يرحمه الناس لفقره ومسكنته، إذ صار ملياً ذا تمكن ويسار، كما قال تعالى: {وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}[آل عمران:140].

(ليس ذلك إلا نعيماً زلَّ(4) أو(5) بؤساً نزل): يشير إلى ما تقدم ذكره من الغبطة والرحمة، أي بجميع(6) ذلك كله، إنه إما نعيم زلَّ(7) أي أسدى، وفي الحديث: ((من أزلَّت إليه نعمة فليشكرها))(8) فتحصل الغبطة، أو بؤساً نزل وقع به، فتحصل الرحمة له.

(ومن عِبَرِهَا): العِبرة بالعين المهملة وباء بنقطة من أسفلها، هي(9): الاسم من الاعتبار، وجمعها عبر.

(أن المرء يشرف على أمله): يقارب حصول ما رجاه وأمَّله في الدنيا.

(فيقتطعه حضور(10) أجله): أي يخترمه الموت من دون ذلك كله.

(فلا أمل يُدْرك): لانقطاعه بالموت.

(ولا مؤمَّل يُترك): أي ولا عمر باقٍ، فيكون متروكاً عن الموت.

(فسبحان الله!): تنزيهاً له تعالى عن أن يتهم في فعل من الأفعال، وتعجباً من حكمة الله تعالى، ومن هذه الأحوال.

(ما أقرب الحي من الميت!): ما أشدَّ قربه منه.

---

(1) في (أ): ذلك.

(2) في (ب): ترى.

(3) في (ب): لكثرة.

(4) في النسختين: زال، وما أثبته من النهج وهو الصواب، ويؤيده شرح المؤلف للجملة.

(5) في (ب): وبؤسا.

(6) في (ب): مجتمع.

(7) في (ب) وفي نسخة أخرى: زل، كما أثبته، وفي (أ): أزل.

(8) أخرجه في مسند الشهاب 238/1، وفي شعب الإيمان للبيهقي 516/6.

(9) في (ب): وهي.

(10) قوله: حضور، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.

(للحاقه(1) به): أي أن(2) قربه من سرعة لحاقه به على الفور.
(وما أبعد الميت من الحي!): ما(3) أشد بُعْدَه منه.
(لانقطاعه عنه): لبعد مابينهما من الانقطاع والتباين، وإنما قدَّم الحي على الميت في القرب لما يريد من وصفه بسرعة اللحاق، وقدَّم الميت على الحي في الْبُعْدِ، لما يريد من وصفه بكثرة الانقطاع عن الحي.
(فسبحان الله!): تكريراً للتنزيه، والتعجب من ذلك.
(ما أغرَّ سرورها): ماأعظم غروره(4) لمن اغترَّ به.
(وأظمأ رِيَّها): وأكثر عطشها.
(وأضحى فيئها): أي أنه لا ظِلال في فيئها(5).
(لا جاءٍ يُرَدُّ): أي لا يردُّ ما هو واصل من الأقضية والبلاوي والمحن والمصائب.
(ولا ماضٍ يرتدُّ): من نعيمها وسرائها.
(ولا مؤمَّلٍ يريد): فيه وجهان:
أحدهما: أن المؤمِّل اسم فاعل، ويكون مريداً(6) بالراء، ومعناه ولامؤمِّل(7) يريد بلوغ ما أمّله في الدنيا.
وثانيهما: أن يكون المؤمَّل اسم مفعول، ويكون يزيد بالزاي، ومعناه والمأمول من الدنيا لا يزاد عليه، بل هو إلى نقصان وخسارة، فكله محتمل كما ترى.
(إنه ليس شيء أشر(8) من الشر إلا عقابه): أراد أن الشر هو المعصية، وأشر منها عقابها، فعلى هذا أشر الشر العقاب.
(وليس شيء بخير من الخير إلا ثوابه): لأن الخير هو الطاعة، وخيرمنها ثوابها، فعلى هذا خير الخير هو الثواب.
(وكل شيء من الدنيا): من كل ما يتعلق بها، ويحصل فيها من أحوالها.

---

(1) في (أ): لإلحاقه.
(2) قوله: إن سقط من (ب).
(3) في (ب): وما.
(4) في (ب): غرورها.
(5) في (أ): لاظلال فيها.
(6) في (ب): يريد.
(7) في (أ): ومؤمل.
(8) في النهج وشرح النهج: بشر.

(سماعه أعظم من عيانه): تسمع به فيهولك ويعجبك، فإذا رأيته نقص(1) في عينك، وازدريته لهونها(2) وحقارتها.

(وكل شيء من(3) الآخرة): نعيمها وجحيمها.

(عيانه أعظم من سماعه): تسمع به فيهولك ويعجبك، فإذا رأيته وعاينته، كان أعظم هولاً، وأدخل في الإعجاب.

(فليكفكم من العيان السماع): في نزول قَدْرِالدنيا لما كان سماعها أكثر، وارتفاع خطر الآخرة وقدرها لما كان سماعها أحقر.

(ومن الغيب الخبر): وليكف عمَّا غاب من أحوالهما الخبر عنه، فإنه دالٌّ على نفاسة الآخرة، وحقارة الدنيا.

(واعلموا أنما نقص من الدنيا، وزاد في الآخرة): بالفقر والمرض، والامتحان بأنواع البلايا والمصائب، فإنه ثواب في الآخرة، وعلو في مراتبها، كما ورد به الشرع، وأخبره الرسول عليه السلام كقوله تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}[البقرة:155]، وقوله عليه السلام: ((إذا انقطع شسع نعل أحدكم فليسترجع(4) فإنه من المصائب)) فهذه الأمور كلها نقص في الدنيا، وهو زيادة على الحقيقة في الآخرة؛ لما فيها من الثواب بالتمحيص والغمومات، فلهذا كانت زيادة في الآخرة.

---

(1) في (أ): يغض.

(2) في (ب): لهوانها.

(3) في (ب) وفي نسخة أخرى وفي النهج وشرح النهج: من، كما أثبته، وفي (أ): في.

(4) قوله: ((فليسترجع فإنه من المصائب)) أي يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، وفي ذلك ما أخرجه الإمام أبو طالب في أماليه ص 573 برقم (806) بسنده عن أم سلمة قالت: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: ((إذا أصابت أحدكم مصيبة فليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك أحتسب مصيبتي، فأجرني فيها وأبدل لي بها خيراً منها)).

(خير ممَّا نقص من الآخرة، وزاد في الدنيا): وهذا كالملاذ الواصلة إلى الكفار والفساق، بزيادة الأموال والأولاد، فإنها وإن زادت في الدنيا فهي(1) نقصان في الآخرة؛ لانقطاعها وحصول العقاب لهم على ما يستحقونه، فلهذا لاخير فيها لهم.

(فكم من منقوص رابح): إما بأن يكون منقوصاً في الدنيا بالفقر، وثكل الأولاد والأهلين(2)، وهو رابح في الآخرة، بما كان له من الثواب بالاصطبارعلى ذلك، وإما بأن يكون منقوصاً في الدنيا لامال له ولا ولد، رابح فيها براحة النفس عن جميع الكُلف والمشاق كلها.

(ومزيد خاسر!): في الدنيا من الأموال وسائر النفائس، خاسرفي الآخرة للثواب بفسقه وتمرده.

(إن الذي أمرتم به): من العبادات المفروضة، والنوافل المندوبة في سائر أنواع البر وأعماله.

(أوسع من الذي نهيتم عنه): من جهة قيام بعضها مقام البعض(3)، ومن جهة قضاء مافات من الفرائض، ومن جهة رفع الْجُنَاح(4) عن ترك هذه النوافل كلها، وليس كذلك المنهيات؛ لأن فيها تحريجات ومباعدةً عنها ووعيداً على تعدِّيها، ألا ترى أن الذي نُهِيْنَا عنه من مخامرة(5) النجاسات، أمور معدودة محصورة، بخلاف الأمورالظاهرة، فإنها بغير نهاية، ولاحصر لها ولاغاية، فبان بما ذكرناه أن المأمورات أوسع مجالاً من المنهيات لامحالة.

---

(1) في (ب): فهو.

(2) أي فقدهم.

(3) في (ب): بعض.

(4) الجناح بالضم: الإثم.

(5) المخامرة: المخالطة.

(726/2)

(وما أُحلَّ لكم أكثر مما حُرِّم عليكم): أما في المنكوحات فظاهر فإن المحرمات محصورة، والمحللات لا حصر لها ولاعدَّ، وهنَّ ما عدا المحارم، وأما في المأكولات فالذي حرم أكله من اللحوم وغيرها محصور(1) وما عداه باق علىالإباحة، وأما المشروبات فالمحرم منها محصوركالخمر والدم وسائر النجاسات وغير ذلك، وما عداها باق على التحليل، وأما اللباس فالمنهي عنه الحرير وما عدَّة الفقهاء وما عداه حلال، وغير ذلك مما اشتملت عليه الكتب الفقهية، فظاهر(2) بما حققناه أن ما أحل الله تعالى للخلق أكثر لامحالة، وأوسع مما حرمه عليهم، وفي هذا دلالة على لطف الله تعالى بخلقه، وعلى حسن هذه الشريعة، وارتفاع قدرها، كما قالعليه السلام: ((بعثت بالحنيفية السمحة)).

(فذروا ما قلَّ): من هذه المحرمات والمنهيات.

(لما كثر): من المأمورات والمحللات.

(وما ضاق): من المحرمات.

(لما اتسع): منها.

(قد(3) تكفل الله لكم بالرزق): ضمنه،كما قال تعالى: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ، فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ}[الذاريات:22-23] ما قلته.

(وأمرتم بالعمل): عبادة الله، وتأدية سائر واجباته عليكم.

(فلا يكونن المضمون لكم طلبه): بالاجتهاد والنَّصَب في تحصيله وهو: الرزق.

(أولى بكم من المفروض عليكم عمله): من تأدية حق الله، وامتثال أوامره في ذلك.

(مع أنه والله قد(4) اعترض الشك): في قلوبكم.

(ودخل اليقين): صار مدخولاً فيه بالريب.

(حتى كأن الذي ضمن لكم): من الأرزاق.

---

(1) قوله: محصور، سقط من (ب).

(2) في (ب): فظهر.

(3) قوله: قد، سقط من (أ).

(4) قوله: قد، زيادة في (ب) وفي نسخة أخرى، وفي شرح النهج: لقد.

(727/2)

(قد فرض عليكم): طلبه لما يظهر منكم من الجزع، وعظم الطلب وكثرته.

(وكأن الذي فرض عليكم): تأديته من الواجبات.

(قد وضع عنكم): لما يظهر من التساهل فيه، وترك الاجتهاد في تحصيله.

(فبادروا بالعمل(1)): بالتحصيل والفعل.

(وخافوا بغتة الأجل): أن يأخذكم الموت وأنتم على غير أُهْبَة.

(فإنه لا يرجى من رجعة العمر): بالتدارك.

(ما يرجى من رجعة الرزق): فإنهما مختلفان متباينان.

(ما فات اليوم من الرزق): بالعدم والزوال.

(رجي غداً زيادته): من جهة الله تعالى.

(وما فات من العمر أمس): بأن صارمنقضياً زائلاً.

(لم يرج اليوم رجعته(2)): لاستحالة ذلك وبطلانه.

(الرجاء): من جميع الأمور كلها، وسائر الأعمال.

(مع الجائي): الحاصل في المستقبل؛ لأنه ينتظرحصوله ووقوعه.

(واليأس): من جميع الأمور كلها.

(مع الماضي): لاستحالة رد الماضي وعودته.

(فاتقوا الله حق تقاته): على الحد الذي يتوجه من حقه، في القيام بواجباته، والانكفاف عن محارمه كلها.

(ولا تموتنَّ): على حالة من الحالات.

(إلا وأنتم مسلمون): إلا على حالة الإسلام، وهذا الاستثناء مفرغ، وتفريغه إنما هو في الصفات، كقولك: ما جاءني زيد إلا ضاحكاً.

وأقول: إن حكم هذه الآية لمن أصعب الأحكام وأثقلها؛ لما تضمنته من وجوب تقوى الله على حقيقتها وحدِّها، وهو أمر عظيم، ولكن الله تعالى من رحمته الواسعة ولطفه اللطيف، قد تدارك ثقلها بما خفف، من قوله:{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ}[التغابن:16].

اللَّهُمَّ، اجعلنا من الفائزين بإحراز التقوى.

(109) ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء

---

(1) في النهج وشرح النهج: العمل.

(2) في (أ): رجيعه، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى ومن شرح النهج.

(اللَّهُمَّ، قد انصاحت جبالنا): صحت الثوب، بالصاد المهملة فانصاح أي شققته فانشق(1)، قال عبيد(2):

فأصبح الروض والقيعان مُمرعةٌ

من بين مُرْتَتِقٍ منها وَمُنْصَاحِ(3)

أي متشقق، ويقال: تصوَّح الشجر إذا يبس أعلاه وجفَّ، قال الراعي(4):

وحاربت الهَيْف الشِّمال وآذنت

مذانب منها اللَّدْن والمتصوِّح(5)

وأراد تشققت جبالنا، وبيس شجرها من المحول(6).
(واغبرَّت أرضنا): صار لونها أغبر لمايبس شجرها، وانحتَّ لعدم الماء.
(وهامت دوابنا): الهيام: العطش، قال تعالى: {فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ}[الواقعة:55].
(وتحيرت في مرابضها): وقفت في أماكنها، لا تجد مذهباً تذهب إليه، والمرابض للغنم كالأعطان(7) للإبل.

---

(1) في (ب): فاشتق.
(2) هو عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم الأسدي، أبو زياد، شاعر من دهاة الجاهلية وحكمائها، عاصر امرأ القيس، وعمِّر طويلاً حتى قتله النعمان بن المنذر، وله ديوان شعر مطبوع (الأعلام 188/4).
(3) لسان العرب 491/2، وروايته فيه:
فأصبح الروض والقيعان مترعة

ما بين مرتتق منها ومنصاح

.
(4) هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النميري، أبو جندل، المتوفى سنة 90هـ، شاعر من فحول المحدثين، ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل (الأعلام 188/4-189).
(5) لسان العرب 491/2، والهيف: ريح حارة تأتي من نحو اليمن، تيبِّس النبات، وتعطِّش الحيوان، وتنشِّف المياة، والشمال: الريح التي تهبُّ من قبل الحِجْر، أو ما استقبلك عن يمينك وأنت مستقبل. (انظر القاموس المحيط ص1318،1115)، واللدن: اللين.
(6) المحول: الجدب.
(7) أعطان الإبل: مباركها.

(729/2)

(وعجت عجيج الثكالى(1) على أولادها): العجُّ هو: رفع الصوت، والثكلى هي: التي فقدت ولدها، واشتد حزنها عليه، فلا يزال صوتها مرتفعاً بالبكاء عليه.

(وملت التردد في مراتعها): الملالة هي: السآمة من الشيء، والمرتع هو: مكان الرتوع، وهو التنعم والأكل بالاستراحة، يقال: رتعت الماشية إذا تنعمت بالأكل، وإنما ملَّته لما لم تجد فيه قضاء أغراضها من الشبع والري بالماء، فهي مترددة حيارى.

(والحنين إلى مواردها): الحنين هو(2): الشوق وتوقان النفس، والموارد: جمع مورد، وهي أمكنة الماء، وإنما ملَّته لما لم تجد غُلَّتَهَا تنقع(3).

(اللَّهُمَّ(4)، فارحم حيرتها في مذاهبها): تحيّرها في طرقها، فلا تجد مذهباً تذهب إليه.

(وأنينها في موالجها): الأنين هو: الصوت الضعيف، يقال: أنَّ الرجل أنيناً، قال ذو الرمة:

كما أنَّ المريضُ إلى عوّادهِ الوَصِبُ(5)

والموالج(6): المداخل، ومنه تولج الوحش إلى كناسه(7).

(اللَّهُمَّ، خرجنا إليك): شخصنا من بيوتنا، وأنت غايتنا ومقصدنا.

(حين اعتكرت): اعتكر الظلام إذا اختلط بعضه ببعض، وتراكم وركب أعلاه أسفله.

---

(1) في (أ): الثكلى.

(2) في (أ): هي.

(3) الغلة بالضم: حرارة العطش، وتنقع أي تسكن، من قولهم: نقع الماء العطش أي سكنه.

(4) قبله في النهج: اللهم ارحم أنين الآنة، وحنين الحانة.

(5) في النسختين: الوصبا، وأصلحته من لسان العرب 188/1، ورواية البيت كاملاً في اللسان:

يشكو الخشاش ومجرى النسعتين كما

أنَّ المريض إلى عوّاده الوصب

(6) في (ب): في الموالج.

(7) كناسه: أي موضعه في الشجر يكتن فيه ويستتر.

(730/2)

(علينا حدابيرالسنين): جمع حدبار، وهي: الناقة التي يبس لحمها من الهزال الضامرة، أي قهرتنا بالجدب، وصارت مستعلية(1) لنا.

(وأخلفتنا مخايل الجود): أخلف الوعد، إذا لم يصدق في وعده، والمخايل: جمع مخيلة، يقال: سحابة

مخيلة، إذا كانت مرجوة للمطر، ومخيلة السحاب خلافته بالمطر، أي وتخلفت عنا مخايل الجود من كل ما نظن(2) فيه الفرج لنا وكشف حالنا.

(فكنت الرجاء): إما على حذف المضاف، أي ذا الرجاء، وإماعلى المبالغة، كأنه جعله نفس الرجاء، كما قال تعالى:{وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ}[البقرة:177]، قال زهير:

فهمُ رضًا وهم عدل

(للمبتئس): الحزين، قال تعالى: {فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[يوسف:69].

(والبلاغ للملتمس): أي للطالب(3)، من قولهم: تلمست الحاجة إذا طلبتها، أي وأنت بلاغ الطالب للحا جة ونها يته.

(ندعوك حين قنط الأنام): يئس الخلق عن اتصال الخير بهم.

(ومنع الغمام): ماؤه، وامتنع(4) عليه، والمانع هو الله تعالى، وإنما أضاف المنع إلى الغمام تجوزاً ومبالغة، لما كان سببالّه، كما قالوا: (يداك أوكتا، وفوك نفخ)، وفيه من الرشاقة ما لايخفى.

(وهلك السَّوام): السائم والسَّوام بمعنى واحد، وهو الذي يرعى، يقال: سامت الماشية تسوم إذا رعت.

(ألاَّ تؤاخذنا بذنوبنا(5)): من المؤاخذة، وهي: المعاقبة، وأن في موضع نصب على نزع الجار، أي بأن لاتؤاخذنا، فلما حذف الحرف انتصب بالفعل.

---

(1) في (أ): مستغلة، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(2) في (ب): يظن.

(3) في (ب): الطالب.

(4) في (ب): ماؤه منيع عليه.

(5) في النهج: أن لا تؤاخذنا بأعمالنا، ولا تأخذنا بذنوبنا.

(731/2)

(وانشر علينا رحمتك): مجاز ها هنا، وأراد شمولها وكثرتها.

(بالسحاب): أي بإنشاء السحاب الذي يكون سبباً للرحمة.

(المنبعق): المنشقُّ بالمطر، من قولهم: بعق بطنه إذا شقَّه، والبعاق هو: السحاب الذي ينصبُّ بشدة وكثرة.

(والربيع المغدق): وهو زمان الخير والنضارة، وأغدق إذا غَزُرَ فيه المطر، والعرب تجعل السنة ستة أزمنة، فشهران منها هو الربيع الأول، وهو الذي تأتي فيه الأزهار وينبت الكلأ والعشب، وشهران

منها صيف، وشهران منها قيض وهو شدة الحر، وشهران منها(1) هو الربيع الثاني، وهو الذي تدرك فيه(2) الثمار، وشهران منها خريف، وشهران شتاء.

(والنبات المورق): عظيم الورق لكثرة ريِّه.

(سحاً): سححت الماء إذا صببته، قال دريد:

فربّت غارةٍ أسرعت فيها

بسح الهاجريِّ جَرِيْم تمر (3)

والجريم: النوى، وانتصابه إما على المصدرية، وإما على التمييز من المنبعق أو المغدق؛ لأنه في المعنى فاعل لهما كأنه قال: المنبعق سحة.

(وابلاً): الوابل: المطر الشديد، وقد وبل المطر يبل وبولاً، إذا كان شديداً.

(تحيي به ما قد مات): من الأشجار والزروع والكلأ.

(وترد به ما قد فات): بنقصان العطش وانقطاعه به.

(اللَّهُمَّ، سقياً منك): السقيا مصدر سقى، كاليسرى والعسرى من العسر واليسر، أي نطلب منك سقياً:

(محيية): للأرض الميتة.

(مروية): لنا من العطش.

(تامة): لا يشوبها شيء من العاهات.

(عامة): لا تختص بجهة دون جهة.

(طيبة): خالية عن التنغيص من كل عاهة، من البرد والبرق.

---

(1) قوله: منها، زيادة في (ب).

(2) في (ب): فيهما.

(3) البيت في لسان العرب 774/3، وروايته فيه:

وربت غارة أوضعت فيها

كسحِّ الهاجري جريم تمر

وقوله: أوضعت: أي أسرعت.

(732/2)

(مباركة): مشتملة على النماء والزيادة.

(هنيئة مريئة): زاكية، من قولهم: هنأه الطعام ومرأه، إذا ساغ وكان زكياً.

(مريعة): أي خصيبة، وأمرع القوم إذا كانت مواشيهم في خصب، وفي المثل: أمرعت فانزل.

(زاكياً نبتها): كثيراً، من قولهم: زكا الشئ إذا كان كثيراً.

(ثامراً فرعها): ثمر الشيء إذا كثر، ومنه الثمرة لأنها تكثر وتفشو(1).

(ناضراً ورقها): من النضارة، وهي: الحسن.

(تنعش بها(2) الضعيف): ترفعه من كبوته وَشَعَثِه.

(من عبادك): أهل الرحمة والفاقة.

(وتحيي بها الميت من بلادك): الذي هلك بالموت(3)، وقلة الأمطار.

(اللَّهُمَّ، سقياً منك): نستوهب منك سقياً:

(تعشب بها نِجَادَنا): يكثر عشبها، والنِّجاد جمع نَجْد، وهو: ما ارتفع من الأرض وكان منيفاً عالياً.

(وتجري بها وِهادنا): الوِهاد هي: الأمكنة المطمئنة، واحدتها وَهْدة.

(وَيُخْصِبُ بِهَا(4) جَنَابُنَا): الْجَنَابُ بالفتح هو: الفناء، يقال: جَنَابُ فلان خصيب، وأخصب جَنَابُه إذا كان كريماً.

(وَتُقْبِلُ بِهَا ثِمَارُنَا): تكون جيدة، من قولهم: أقبل الزرع إذا كان تاماً.

(وتعيش بها مواشينا): الماشية: اسم يقع على البقر، والغنم، والإبل.

(وتندى بها أقاصينا): الندى هو: الكلأ، أي وتكون الأقاصي من أرضنا معشبة، أو من الندى وهو: البلل فالذي يكون في النهار فهو ندى، والذي يكون بالليل، يقال له: السدى.

(وتستعين(5) به ضواحينا): ضواحي الأرض: ظواهرها، وأراد أنها تكون إعانة على زوال حرها، واخضرار نباتها.

---

(1) في (ب): وتفشوه.

(2) قوله: بها، سقط من (أ).

(3) في (ب) وفي نسخة أخرى: بالجدب.

(4) في (ب): منها.

(5) في (أ): وتستقي، وفي (ب): وتستغني بها، وما أثبته من نسخة أخرى ومن شرح النهج.

(من بركاتك الواسعة): زياداتك التي اتسع خيرها، وفاض نماؤها.

(وعطاياك الجزيلة): العظيمة التي لاغاية لحدها.

(على بريتك المرملة): يقال: أرمل القوم، إذا نفد زادهم، وأراد الضعيفة أحوالهم.

(ووحشك المهملة): إبل همل، إذا كان لا راعي لها ليلاً ولا نهاراً، بخلاف النَّفَش فإنه اسم لإهمالها ليلاً لاغير، أي لاراعي لها سواك.

(وأنزل علينا سماءً): أي مطراً، يقال: ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم، قال معاوية بن مالك(1):

إذا سَقَطَ السَّماءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ

رَعَيْنَاهُ وإنْ كَانُوا غِضَابَا

(مخضلة): أي كثير بللها، يقال: اخضلَّ الشيء اخضلالاً، إذا كثر بلله.

(مدراراً(2)): سماء مدراراً(3) إذا كا نت تدر المطر، وارتفاعه على أنه فاعل بمخضلة ارتفاع السبب بالصفة.

(هاطلة): متتابع قطرها، يقال: مطر هَطِل، وسحاب هاطِل، أي كثير الهطلان.

(يدافع(4) الودق منها الودق): ودق المطر: قطره، وأراد أن قطره متتابعة لغزارته وكثرته.

(ويحفز القطر منها القطر): حفزه إذا دفعه من خلفه، والليل يحفز النهار، أي يدفعه قال:

يحفزها الأوتار والأيدي الشعر

وأراد أن بعضه يدفع بعضاً لما فيه من الجودة والكثرة.

(غير خُلَّبٍ برقها): الْخُلَّبُ: البرق الذي لا مطرفيه.

---

(1) هو معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري، شاعر من أشراف العرب في الجاهلية، لقب بمعوِّد الحكماء لقوله:

أعوِّد مثلها الحكماء بعدي

إذا ما الأمر في الحدثان نابا

وهو من أبيات يقول فيها:

إذا نزل الغمام بأرض قوم

رعيناه وإن كانوا غضابا

(انظر الأعلام 263/7).
(2) هكذا في النسخ بالنصب، وكلام الشارح يدل على أنه مرفوع فتأمل.
(3) في (ب): سماء مدار.
(4) في (أ): يدفع.

(734/2)

(ولا جَهَامٍ عارضها): الجهام: السحاب الذي لا مطر فيه أيضاً.
(ولا قزع ربابها): القزع: قطع السحاب الرقيقة، والرباب هو: السحاب الأبيض، أي أن سحابها ليس متفرقاً وإنما هو متراكم أسود.
(ولا شفَّان ذِهابها): الشَّفَّان: ريح فيها برد وندوة ورطوبة، والذِّهاب بكسر الفاء: جمع ذِهْبَة، وهو المطر، التقدير فيه ولا ذات شفَّان ذهابها فحذف ذات لعلم السامع به.
(حتى يخصب لإمراعها): الخصب: خلاف الجدب، وإمراع السنة: كثرة شجرها وريفِها(1).
(المجدبون): الذين أصابهم الجدب والقحط، وأراد أنه يعظم الرخاء من أجل إمراعها لمن أجدب.
(ويحيا ببركتها): بزيادتها ونموها.
(المسنتون): أسنى القوم إذا دخلوا في سنة جديبة أو خصيبة، وأسنتوا إذا دخلوا في سنة جديبة.
(فإنك تنشر رحمتك): تبسطها لخلقك فينعمون فيها.
(وتنزِّل الغيث): رحمة ولطفاً، وكرماً منك.
(من بعد ما قنطوا): يئسوا، وكثر قنوطهم.
(وأنت الولي): لذلك الأولى به، والأحق بفعله.
(الحميد): المحمود على كل نعمة.

(110) ومن خطبة له عليه السلام
(أرسله(2) داعياً إلى الحق): التوحيد والإلهية، وإبلاغ ما أرسل به(3) من الشرائع ، والحكم المصلحية كما قال تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا}[البقرة:119].
(وشاهداً على الخلق): بإبلاغ الحجة، وانقطاع المعذرة، كما قال تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا}[الأحزاب:45].
(فبلَّغ رسالات ربه): جميع ماأرسل به إلى الخلق، مما يقرِّبهم إلى الجنة ويبعِّدهم عن النار، كما قال تعالى: {إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاَغُ}[الشورى:48].

(1) الرِّيف: أرض فيها زرع وخصب.

(2) في (ب): أرسله الله.

(3) قوله: به، سقط من (ب).

(735/2)

(غير وانٍ): ضعيف، من الونى وهو: الضعف.

(ولا مقصِّر): مهوِّن، من قولهم: قصَّر في أمره إذا كان مهوِّناً فيه.

(وجاهد في الله): أي لا غرض له في المجاهدة بالسيف والسِّنان(1)، والقلم واللسان؛ إلا وجه الله تعالى دون غيره من سائر الأغراض.

(أعداءه): الضمير في أعداءه، إما لله وإما للرسول، ومعنى عداوة الله تعالى، أي أنه يحب إنزال الضرر والعقوبة بهم، وأعداء الرسول: الناصبين(2) له الحرب والمكائد(3).

(غير واهي): وَهَى الحبل إذا ضَعُفَ.

(ولا معذِّر): فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون معناه غير معتذر عن بلوغ الغاية في دين الله ونصرته، لكنها قلبت التاء ذالاً، وأدغمت في مثلها، ونقلت حركتها إلى العين.

وثانيهما: أن يكون معناه غير مقصِّر في إبلاغ الرسالة والنصح للخلق.

(إمام من اتقى): راقب الله تعالى وخافه في كل أحواله.

(وبصر من اهتدى): أي هو بصيرة(4) من كان مهتدياً بهديه، سالكاً لطريقته، أو يكون(5) بمنزلة بصر الإنسان الذي يبصر به المبصرات، لأنهعليه السلام كان سراجاً لظلام الجهل، وقمراً منيراً لسواد الضلالة.

(ولو تعلمون ما أعلم): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد من خوف الله تعالى وعظم جلاله.

وثانيهما: أن يريد أهوال القيامة، وما أعدَّ الله لأعدائه، من النَّكال والويل.

(مما طُوِيَ عنكم علمه(6)): حجب وستر، إذ كان لا مصلحة لكم بالتعريف به، لما يؤدي إلى الإلحاد(7) أو لمفسدة غير ذلك.

---

(1) السِّنان: الرمح.

(2) هكذا في النسخ بالنصب، والتقدير فيه: وجاهد في الله الناصبين له الحرب والمكائد.

(3) في (ب): في المكايد.
(4) في (ب): بصر.
(5) في (ب): ويكون.
(6) في نسخة: علم غيبه [هامش في (ب)].
(7) في (ب): الإلجاء.

(736/2)

(إذاً لخرجتم إلى الصُّعُدات): الصعيد: وجه الأرض، وجمعه صُعُد، ثم يجمع أيضاً على صُعُدات، مثل طريق، وطُرق، وطُرقات، وجمع الجمع في الكثرة قليل نادر.

(تبكون على أعمالكم): لما فيها من التقصير والتهاون بحق الله وما ينبغي من القيام بحقه، أو لأنكم أحبطتموها بارتكاب الكبائر، وأبطلتم ثوابها المستحق عليها.

(وتلتدمون(1) على أنفسكم): اللدم هو: ضرب الوجه، أو الصدر باليد، كما تفعله(2) النسوان عند المصائب في النياحة.

(ولتركتم أموالكم لا حارس لها): رغبة عنها، وزهداً فيها، لما يعتريكم من الأمور الهائلة في ذلك.

(ولا خالف(3) عليها): يقوم بها ويحفظها فشلاً، وجزعاً، ودهشاً عنها(4).

(ولهمَّت كل امرئ نفسه(5)): أي لا يهم سواها، ولا يخطر بباله أمر آخر كما قال الله تعالى: {لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}[عبس:37] عن النظر في شأن غيره، وكل ذلك أمارة على عظم الأهوال وشدتها.

(ولكنكم نسيتم ما ذكّرتم): من أمور الآخرة وأهوالها، أو من(6) عظمة الله تعالى، وخوف سطوته.

(وأمنتم ما حذِّرتم): من جميع ذلك، فلا التفات إليه منكم في حالة واحدة.

(فتاه عنكم رأيكم): أي ذهبتم فيه متحيرين.

(وتشتَّت عليكم أمركم): أي تفرَّق وصار في جهات كثيرة.

(لوددت أن الله فرَّق بيني وبينكم): لما أقاسيه من اعوجاجكم، وأحتمله من مشاقكم.

---

(1) في (ب): وتلدمون.
(2) في (أ): فعلته.
(3) في (أ): لا خالف.
(4) قوله: عنها، سقط من (أ).

(5) العبارة في النهج: ولهمت كل امرئ منكم نفسه، لا يلتفت إلى غيرها.

(6) في (ب): ومن.

(737/2)

(وألحق(1) بمن هو أحق بي منكم): أعرف بقدري، وأكثر اعترافاً بحقي، أراد قرن الصحابة رضي الله عنهم، وإلحاقه بهم، إما ناصرين له على جهة التقدير لو كانوا أحياء، وإما إلحاقه(2) بالموت، والكون معهم في الآخرة.

(قوم والله ميامين الرأي): آراءهم مباركة صادقة.

(مراجيح(3) الحلم): أي أن حلومهم راجحة عن أن يعتريها الطيش(4)، أو يزعجها عن الحق الفشل.

(مقاويل الحق(5)): ولو على أنفسهم لا يخالفون فيه.

(متاريك الغي(6)): أي لايفعلونه، ولا يخطر لهم على بال قط.

(مضوا قُدُماً): بضمتين، أي متقدمين لم يسبقهم أحد غيرهم.

(على الطريقة): المرضية.

(وأوجفوا على المحجة): الوجيف: ضرب من سير الإبل والخيل، قال تعالى: {فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ}[الحشر:6] أي أعملتم فيه الوجيف.

قال العجاج:

ناجٍ طواه الأينُ فما وَجَفَا

طيَّ الليالي زُلَفاً فزُلفَا(7)

(فظفروا بالعقبى الدائمة): وهي الدار الآخرة، سميت عقبى؛ لأنها في عقب الدنيا وعلى إثرها.

(والكرامة الباردة(8)): وهي الجنة؛ بسبب ما قدموه من الأعمال الصالحة.

(أما والله ليسلطنَّ الله عليكم): التسليط: هو القهر والغلبة.

(غلام ثقيف): أراد الحجاج، واستيلاءه على الكوفة.

---

(1) في النهج: وألحقني.

(2) في (ب): بإلحاقه.

(3) في (أ): مراجح.

(4) في (أ): البطش.

(5) في شرح النهج: بالحق.

(6) في شرح النهج: للبغي، وفي نسخة أخرى: البغي.

(7) في (ب): زلفاً. والبيت في لسان العرب 882/3، وقوله هنا في الشطر الأول: (فما) في اللسان: (مما).

(8) في (أ): البادرة، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج.

(738/2)
